
السلسلة الذهبية
فضيلة الشيخ
محمود المصري
أبو عمار
الجزء الثاني
التقوى
ضياء سعيدة
www.iqra.ahlamontada.com
منتدى اقرأ الثقافي

السلسلة الذهبية

الجُزْءُ الثَّانِي

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٦٠٩٨ / ٢٠٠٤



للطبع والنشر والتوزيع

الإدارة: ٤٤٧١٥٥٠٦ - ٠١٠٠١٦٦٨٠٦٧

١٥ ش ١٥ مايو - شبرا الخيمة

ف / ت / ٤٤٧١٥٥٠٦ - م / ٠١٠٠١٥٩٢٢٧١

٥ ش ابن البيطار خلف الجامع الأزهر

ت / ٢٥١٤١٧٠٤

موقعنا على الإنترنت:

www-daraltakoa.com

E-mail: webmaster@daraltakoa.com

التوزيع

اليقين - شبرا الخيمة: ٤٤٧٣١٨٢٤

المدينة المنورة - مدينة نصر: ٢٧٥٥٣٠٤

مكتبة الشامي - بالإسكندرية: ٠٣٤٩٦٠٦٢٠

السلسلة الذهبية

فضيلة الشيخ



أبو عمار

الجزء الثاني





بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد:

* فلقد قدمت لإخوانى وأخواتى فى السنوات الماضية أكثر من مائة وثمانين كتابًا - ما بين مجلد وكُتيب صغير - فأشار علىَّ الشيخ الحبيب الغالى الذى أحبه من أعماق قلبى... وهو فضيلة الشيخ/ وحيد عبد السلام بالي.. حفظه الله.

أشار علىَّ بأن أجمع الرسائل الصغيرة فى مجموعة من المجلدات حفاظًا

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

عليها وتيسيراً على من أراد أن يقتنى تلك المجموعة كاملة.

- وبدأت بالفعل فى جمع تلك الكتيبات فى مجموعة من المجلدات تحت مُسمًّى (السلسلة الذهبية) عسى الله أن ينفع بها وأن يجعلها فى ميزان حسناتى يوم أُدرج فى أكفانى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة يونس: الآية: (٥٨).



قصص وعبر

(الجزء الأول)

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد:

فإن للقصة أثراً عميقًا فى النفوس؛ لما تحتويه من عناصر التشويق، وجوانب الاعتبار والاتعاظ، وهى وسيلة يستخدمها الدعاة، والهداة، والمصلحون للوصول إلى قلوب الناس وعقولهم؛ كى يرتقوا بهم من الظلمات إلى النور، ويأخذوا بأيديهم إلى الطريق القويم، فيُسلموا وجوههم لله عز وجل.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠-٧١).

ولا ينتفع بهـذا القصص إلا أصحـاب القلوب التقيـة النقية وأصـحاب الفطر والعقـول السوية.. قـال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ (١).

فمن خلال القصص تظهر السنن الربانيـة واضحة جلية حيث يجعل الله (عـز وجل) النصر والتـمكين للمـؤمنين ويجـعل الهلاك والعـذاب والنكال للكافرين والمكذبين كما قال رب العالمين: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

فالقصص وسيلة عظيمة من وسائل تربية الأمة وتثبيتها على طريق الحق.

*** ومن أهداف القصص:**

* تنبيـه الإنسان من الغـفلة والرقود، وإبعـاده عن مهاوى الانـحراف، والسقوط.

* التحذير من أخطار البعد عن الاستقامة، والصلاح، والحق.

* تصويب مناهج الآداب والسلوك، والدفع إلى الحيـاة الإيجابية بهـمة وعزيمة.

* تصحيح العقيدة، وغرس بذور الإيمان بالله ربًّا واحدًا.

* تربية النفس، وتقويم السلوك، وغرس الشعور الفياض بالإيمان المتوقد بمشاعر الود والخير.

* التـذكيـر بأحداث الأمم الغـابرة والأقوام البـائدة، الذين تنكَّبوا عن صراط الهداية، وهدى الأنبياء والمصلحين.

* بيـان حسن عـاقبـة المؤمنين؛ الذين ثبتـوا على الحق، وابتعـدوا عن الباطل، وتابوا توبة صادقة، وشكروا الله على نعمـه؛ بأن استعملوها فـيما يُرضى الله تعالى.

(١) سورة يوسف: الآية: (١١١).

(٢) سورة هود: الآية: (١٢٠).

* بيان سوء عاقبة المكذبين؛ الذين أصروا على كفرهم واستحبوا العمى على الهدى، وجحدوا نعم الله بأن استعملوها فيما يُسخط الله عز وجل[1] .

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تلك السلسلة الجديدة (قصص وعبر) عسى الله أن يوقظ بها قلوبنا من غفلتها وأن يرزقنا حسن الخاتمة وأن يجمعنا في الجنة إخوانًا على سُرر متقابلين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

(١) قصص القرآن / مجموعة علماء (ص: ٧، ٨) ط. مكتبة التربية.

التوبة الصادقة

كان يقطن مدينة الرياض، يعيش فى ضياع، ولا يعرف الله إلا قليلاً، منذ سنوات لم يدخل المسجد، ولم يسجد لله سجدة واحدة، ويشاء الله - عز وجل- أن تكون توبته على يد ابنته الصغيرة!

يروى القصة فيقول:

كنت أسهر حتى الفجر مع رفقاء السوء فى لهو ولعب وضياع تاركًا زوجتى المسكينة، وهى تعانى من الوحدة والضيق والألم، ما الله به عليم، لقد عجزت عنى تلك الزوجة الصالحة الوفية، فهى لم تدخر وسعًا فى نصحى وإرشادى ولكن دون جدوى.

وفى إحدى الليالى، جئت من إحدى سهراتى العابثة، وكانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحًا، فوجدت زوجتى وابنتى الصغيرة وهما تغطان فى سُبات عميق، فاتجهت إلى الغرفة المجاورة لأكمل ما تبقى من ساعات الليل فى مشاهدة بعض الأفلام الساقطة من خلال جهاز الفيديو، تلك الساعات التى ينزل فيها ربنا - عز وجل-، فيقول: «هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه سؤله؟..».

وفجأة، فُتح باب الغرفة، فإذا هى ابنتى الصغيرة التى لم تتجاوز الخامسة، نظرت إلىَّ نظرة تعجب واحتقار، وبادرتنى قائلة: عيب عليك يا والدى اتق الله (رددتها ثلاث مرات)، ثم أغلقت الباب وذهبت، أصابنى ذهول شديد، فأغلقت جهاز الفيديو، وجلست حائرًا، وكلماتها لا تزال تتردد فى مسامعى وتكاد تقتلنى، فخرجت فى إثرها، فوجدتها قد عادت إلى فراشها،... أصبحت كالمجنون، لا أدرى ما الذى أصابنى فى ذلك الوقت وما هى إلا لحظات حتى انطلق صوت المؤذن من المسجد القريب؛ ليمزق سكون الليل الرهيب، مناديًا لصلاة الفجر.

توضأت، وذهبت إلى المسجد، ولم تكن لدىَّ رغبة شديدة فى الصلاة، وإنما الذى كان يشغلنى ويقلق بالى كلمات ابنتى الصغيرة.

وأقيمت الصلاة، وكبر الإمام، وقرأ ما تيسر له من القرآن، وما إن سجد وسجدت خلفه ووضعت جبهتى على الأرض حتى انفجرت ببكاء شديد، لا أعلم له سببًا، فهذه أول سجدة أسجدها لله - عز وجل- منذ سبع سنين.

كان ذلك البكاء فاتحة خير لى، لقد خرج مع ذلك البكاء كل ما فى قلبى من كفر ونفاق وفساد، وأحسست بأن الإيمان بدأ يسرى بداخلى.

وبعد الصلاة جلست فى المسجد قليلاً، ثم رجعت إلى بيتى، فلم أذق طعم النوم حتى ذهبت إلى العمل، فلما دخلت على صاحبى استغرب حضورى مبكرًا، فقد كنت لا أحضر إلا فى ساعة متأخرة بسبب السهر طوال ساعات الليل، ولما سألنى عن السبب أخبرته بما حدث لى البارحة، فقال: احمد الله أن سخر لك هذه البنت الصغيرة التى أيقظتك من غفلتك، ولم يرسل إليك ملك الموت؛ ليقبض روحك على تلك الحالة.

ولما حان وقت صلاة الظهر كنت مرهقًا، حيث لم أنم منذ وقت طويل، فطلبت من صاحبى أن يتسلم عملى، وعدت إلى بيتى لأنال قسطًا من الراحة، وأنا فى شوق لرؤية ابنتى الصغيرة التى كانت سببًا فى هدايتى ورجوعى إلى الله[1].

قال: ورجعت إلى البيت وأنا فى شوقٍ شديد لرؤية تلك الإبنة المباركة، فكنت أشعر بأن أقدامى تسابق الريح، فلما وصلت إلى البيت، وجدت زوجتى واقفة أمام باب المنزل -على غير عادتها- وصرخت فى وجهى قالت: أين كنت؟ قلت: كنت فى العمل. قال: اتصلنا بك كثيرًا

(١) العائدون إلى الله. محمد عبد المسند (ص: ٢٢٧، ٢٢٨) بتصرف.

فلم نجدك فأين كنت؟

قال: كنت فى المسجد الذى فى مكان العمل، فما الذى حدث، وما الذى جعلك تقفين أمام الباب فى تلك الساعة؟

قالت: لقد ماتت ابنتك.

قال الرجل: لم أتمالك نفسى من هول الصدمة، فانفجرت فى البكاء، ولم أتذكر إلا كلمتها: «عيب عليك يا والدى! اتق الله، عيب عليك يا والدى! اتق الله».

قال: اتصلت على صاحبى وقلت له: لقد ماتت ابنتى التى جعلها الله سببًا لخروجى من الظلمات إلى النور.

فجاء صاحبه إليه مسرعًا، ودخل الرجل فغسل ابنته وكفنها وذهبوا بها إلى المسجد، فصلوا عليها ثم ذهبوا إلى المقبرة، فقال له صاحبه: خذ ابنتك وضعها تحت التراب.

فكل باكٍ فسيُبكى وكل ناعٍ فسيُنعى

وكل مذخور سيفنى وكل مذكور سيُنسى

ليس غير الله يبقى مَنْ علا فالله أعلى

فأخذ الرجل ابنته ودفنها وهو يقول للناس من حوله: أنا لا أدفن ابنتى، وإنما أدفن النور الذى أضاء لى الطريق إلى الله - جل وعلا - هذه البنت جعلها الله سببًا لهدايتى وأنا أسأل الله أن يجمعنى بها فى جنته.

فبكى الناس من حوله بكاءً مريرًا حتى كادت قلوبهم أن تتقطع حزنًا على تلك الإبنة المباركة.

وهكذا أيها الإخوة الكرام، لا يدرى الإنسان متى يأتيه ملك الموت، فالموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١].

فلنسرع الخُطا إلى الله ولنعلنها توبة صادقة عساها أن تكون آخر ساعة فى العمر ويكون الجزاء فى جنة الرحمن.

إن تصدق الله يصدقك

عن شداد بن الهاد ﷺ أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبى ﷺ فآمن به واتَّبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبى ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غَنِم النبى ﷺ سبيًا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسْمٌ قَسَمه لك النبى ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبى ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمته لك**» قال: ما على هذا تبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرمَى ههنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأدخل الجنة، فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**».

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا فى قتال العدو، فأُتى به النبى ﷺ يُحمل قد أصابه السهم حيث أشار، فقال النبى ﷺ: «**أهو هو؟**». قالوا: نعم. قال: «**صدق الله فصدقه**».

ثم كفَّنه النبى ﷺ فى جُبته ﷺ ثم قدَّمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فقُتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك**»[٢].

نعم والله: ما أجمل أن يصدق العبد مع الله (جل وعلا).

فلو جاء العبد يوم القيامة بقليل من العمل مع كثير من الصدق والإخلاص

(١) سورة النحل: الآية: (٦١).

(٢) صحيح: رواه النسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٣٣٦).

لكان أفضل من أن يأتى بكثير من العمل بغير صدق ولا إخلاص.

أيها الأخ الحبيب: ألا تعلم أنك قد تصل إلى مرتبة الشهداء بالنية الصادقة وإن مُتَّ على فراشك... قال ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**».

الرحيم (جل وعلا) لا يرد من رجاه

كان هناك رجل سِكِّير، دعا قومًا من أصحابه ذات يوم، فجلسوا، ثم نادى على خادمه ودفع إليه أربعة دراهم وأمره أن يشترى بها شيئًا من الفاكهة للمجلس.

وفى أثناء سير الخادم مر بالزاهد منصور بن عمار وهو يقول: من يدفع أربعة دراهم لفقير غريب دعوت له أربع دعوات، فأعطاه الغلام الدراهم الأربعة.

فقال له منصور بن عمار: ما تريد أن أدعو لك؟

فقال الغلام: لى سيد قاسٍ أريد أن أتخلص منه، والثانية: أن يخلف الله علىَّ الدراهم الأربعة، والثالثة: أن يتوب الله على سيدى، والرابعة: أن يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم، فدعا له منصور بن عمار، وانصرف الغلام ورجع إلى سيده الذى نهره وقال له: لماذا تأخرت وأين الفاكهة؟ فقصَّ عليه مقابلته لمنصور الزاهد وكيف أعطاه الدراهم الأربعة مقابل أربع دعوات، فسكن غضب سيده وقال: وما كانت دعوتك الأولى؟

قال: سألت لنفسى العتق من العبودية.

فقال السيد: قد أعتقتك فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى، وما كانت دعوتك الثانية؟

قال: أن يخلف الله علىَّ الدراهم الأربعة.

قال السيد: لك أربعة آلاف درهم.

قال: وما كانت دعوتك الثالثة؟

قال: أن يتوب الله عليك.

فطأطأ السيد رأسه وبكى وأزاح بيديه كئوس الخمر وكسرها وقال: تبت إلى الله لن أعود أبدًا.

وقال: فما كانت دعوتك الرابعة؟

قال: أن يغفر الله لىّ ولك وللقوم.

قال السيد: هذا ليس إلىّ وإنما هو للغفور الرحيم.

فلما نام السيد تلك الليلة، سمع هاتفًا يهتف به أنت فعلت ما كان إليك، أتظن أنا لا نفعل ما كان إلينا؟ لقد غفر الله لك وللغلام ولمنصور بن عمار ولكل الحاضرين.

الوقت هو الحياة

إن أغلى ما يمتلكه العبد فى تلك الحياة هو الوقت، فالوقت هو الحياة وهو الكنز الحقيقى؛ لأن الدنيا مزرعة للآخرة فما تزرعه هنا ستحصد ثماره هناك، ولذا كان النبى ﷺ يحض أمته دائمًا على اغتنام كل لحظة فى طاعة الله (جل وعلا).

قال ﷺ: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»**[1].

وقال ﷺ: **«اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك»**[2].

قال الحسن البصرى: أدركت أقوامًا كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه.

يقول صاحب هذه القصة:

طفلى الصغير منذ مساء أمس وصحته ليست على ما يرام، عندما عدت

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه الحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

مسـاء هذا اليوم من عـملى قررت الذهـاب به إلى المستـشفى، رغم التعب والإرهاق إلا أن التعـب لأجله راحة، حـملته وذهبت لـقد كـان المنتظرون كثـيرًا، ربما نتـأخر أكـثر من سـاعة، أخذت رقـمًا للدخول عـلى الطبيب وتوجهت للجلوس فى غرفة الانتظار.

وجوه كثيرة مختلفة، فيهم الصغير والكبير، الصمت يخيم على الجميع، يوجد عدد من الكتيبات الصغيرة استأثر بها بعض الإخوة.

أجلت طرفى فى الحـاضرين، البـعض مغـمض العـينين لا تعرف فـيم يفكر، . . . آخر يتـابع نظرات الجـميع، آخرون تحس على وجـوههم القلق والملل من الانتظار.

يقطع السكون الطويل، صوت المنادى، برقم كذا. . . الفرحة على وجه المنادَى، يسير بخطوات سريعة، ثم يرجع الصمت للجميع.

لفت نظرى شاب فى مقتبل العمر لا يعنيه أى شىء حوله، لقد كان معه مصحف جيب صغير، يقرأ فيه لا يرفع طرفه، نظرت إليه ولم أفكر فى حاله كثيرًا لكننى عندما طال انتظارى عن ساعـة كاملة تحول مجرد نظرى إليه إلى تفكير عميق فى أسلوب حياته ومحافظته على الوقت.

ساعة كاملة من عمرى ماذا استفدت منها وأنا فارغ بلا عمل ولا شغل، بل انتظار ممل.

أذَّن المؤذن لصلاة المغرب، ذهبنا للصلاة فى مصلى المسـتشفى، حاولت أن أكون بجوار صـاحب المصحف بعد أن أتممنا الصلاة سرت معـه وأخبرته مباشرة بإعجابى به من محافظته على وقته.

وكان حديثه يتـركز على كثرة الأوقات التى لا نستفـيد منها إطلاقًا وهى أيام وليالى تنقضى من أعمارنا دون أن نحس أو نندم.

قال. . . إنه أخذ مـصحف الجيب هذا منذ سنة واحدة فقط عندمـا حثَّه

صديق له بالمحافظة على الوقت.

وأخبرني.. أنه يقرأ في الأوقات التي لا يستفاد منها كثيرًا أضعاف ما يقرأ في المسجد أو في المنزل بل إن قراءته في المصحف زيادة على الأجر والمثوبة إن شاء الله تقطع عليه الملل والتوتر، وأضاف محدثي قائلاً: إنه الآن في مكان الانتظار منذ ما يزيد على الساعة والنصف.

وسألني: متى ستجد ساعة ونصف لتقرأ فيها القرآن، تأملت كم من الأوقات تذهب سُدى، كم لحظة في حياتك تمر ولا تحسب لها حساب، بل كم من شهر يمر عليك ولا تقرأ القرآن، أجلت ناظري وجدت أني مُحاسَب والزمن ليس بيدي فماذا أنتظر؟ قطع تفكيري صوت المنادي، ذهبت إلى الطبيب أريد أن أحقق شيئًا الآن.

بعد أن خرجت من المستشفى، أسرعت إلى المكتبة اشتريت مصحفًا صغيراً. قررت أن أحافظ على وقتي، فكرت وأنا أضع المصحف في جيبي كم من شخص سيفعل ذلك. وكم من الأجر العظيم يكون للدال على ذلك[1].

أينما تكونوا يدرككم الموت

ذكرت جريدة «القصيم» - وهي جريدة قديمة كانت تصدر في البلاد - ذكرت أن شابًّا في دمشق حجز ليسافر، وأخبر والدته أن موعد إقلاع الطائرة في الساعة كذا وكذا، وعليها أن توقظه إذا دنا الوقت، ونام هذا الشاب، وسمعت أمه الأحوال الجوية في أجهزة الإعلام، وأن الرياح هوجاء، وأن الجو غائم، وأن هناك عواصف رملية، فأشفقت على وحيدها وبخلت بابنها، فما أيقظته أملاً منها أن تفوته الرحلة؛ لأن الجو لا يساعد على السفر، وخافت من الوضع الطارئ، فلما تأكدت من أن الرحلة قد فاتت، وقد

(١) الزمن القادم (ص: ٢٠-٢٢).

أقلعت الطائرة بركابها، أتت إلى ابنها توقظه فوجدته ميتًا فى فراشه.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] . . . . وذكر الشيخ على الطنطاوى فى سماعاته ومشاهداته: أنه كان بأرض الشام رجل له سيارة لورى، فركب معه رجل فى ظهر السيارة، وكان فى ظهر السيارة نعش مُهيأ للأموات، وعلى هذا النعش شراع لوقت الحاجة، فأمطرت السماء وسال الماء فقام هذا الراكب فدخل فى النعش وتغطى بالشراع، وركب آخر فصعد فى ظهر الشاحنة بجانب النعش، ولا يعلم أن فى النعش أحدًا، واستمر نزول الغيث، وهذا الرجل الراكب الثانى يظن أنه وحده فى ظهر السيارة، وفجأة يُخرج هذا الرجل يده من النعش؛ ليرى: هل كف الغيث أم لا؟ ولما أخرج يده أخذ يلوح بها، فأخذ هذا الراكب الثانى الهلع والجزع والخوف، وظن أن هذا الميت قد عاد حيًّا، فنسى نفسه وسقط من السيارة، فوقع على أم رأسه فمات.

الحياة الطيبة

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

يقول أحد أذكياء الإنكليز: بإمكانك وأنت فى السجن من وراء القضبان الحديدية، أن تنظُر إلى الأُفُق، وأن تُخرج زهرةً من جيبك فتشُمَّها وتبتسم، وأنت مكانك، وبإمكانك وأنت فى القصر على الديباج والحرير، أن تحتدَّ وأن تغضب وأن تثورَ ساخطًا من بيتك وأسرتك وأموالك.

إذًا السعادة ليستْ فى الزمان، ولا فى المكان، ولكنَّها فى الإيمان، وفى طاعة الديَّان، وفى القلب. والقلب محلُّ نظرِ الربِّ، فإذا استقرَّ اليقين فيه،

---

(١) سورة الجمعة: الآية: (٨).

(٢) سورة النحل: الآية: (٩٧).

انبعثت السعادة، فأضفَتْ على الروح وعلى النفس انشراحًا وارتياحًا، ثم فاضت على الآخرين، فصارت على الظِّراب وبطون الأودية ومنابت الشجر.

أحمد بن حنبل عاش سعيدًا، وكان ثوبه أبيض مرقَّعًا، يخيطه بيده، وعنده ثلاث غُرَفٍ من طين يسكنها، ولا يجد إلا كسر الخبز مع الزيت، وبقيَ حذاؤه - كما قال المترجمون عنه - سبع عشرة سنة يرقِّعها ويخيطها، ويأكل اللحم فى كل شهر مرَّةً، ويصوم غالبَ الأيام، يذرع الدنيا ذهابًا وإيابًا فى طَلَب الحديث، ومع ذلك وجدَ الراحة والهدوء والسكينة والاطمئنان؛ لأنه ثابت القَدَم، مرفوع الهامة، عارفٌ بمصيره، طالبٌ لثوابٍ، ساعٍ لأجرٍ، عاملٌ لآخِرةٍ، راغب فى جنَّةٍ.

وكان الخلفاء فى عهده - الذين حكموا الدنيا - المأمون، والواثق، والمعتصم، والمتوكل، عندهم القصور والدُّور والذهب والفضة والبنود والجنود، والأعلام والأوسمة والشارات والعقارات، ومعهم ما يشتهون، ومع ذلك عاشوا فى كَدَر، وقَضَوْا حياتهم فى همٍّ وغمٍّ، وفى قلاقلَ وحروبٍ وثورات وشغبٍ وضجيجٍ، وبعضهم كان يتأوَّه فى سكرات الموت نادمًا على ما فرَّط، وعلى ما فعلَ فى جنبِ الله.

ابن تيمية شيخ الإسلام، لا أهل ولا دار ولا أسرة ولا مال ولا منصب، عنده غرفةٌ بجانب جامع بنى أمية يسكنها، وله رغيفٌ فى اليوم، وله ثوبان يغيِّر هذا بهذا، وينام أحيانًا فى المسجد، ولكن كما وَصَف نفسه: جنَّتُه فى صدره، وقَتْله شهادة، وسجْنه خلوةٌ، وإخراجهُ من بلده سياحةٌ؛ لأن شجرة الإيمان فى قلبه استقامتْ على سُوقها، تُوتى أُكُلَها كلَّ حين بإذن ربِّها، يمدُّها زيت العناية الربانية، ﴿يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾[1]، ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[2]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا

(١) سورة النور: الآية: (٣٥).

(٢) سورة محمد: الآية: (٢).

زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[(١)] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[(٢)].

خرج أبو ذرّ رضى الله عنه وأرضاه إلى الرَّبذة، فنصبَ خيمتَهُ هناك، وأتى بامرأته وبناته، فكان يصوم كثيرًا من الأيام، يذكُر مولاه، ويسبِّح خالقه، ويتعبَّد ويقرأ ويتلو ويتأمَّل، لا يملك من الدنيا إلا شَمْلةً أو خيمة، وقطعةً من الغنم، مع صحفةٍ وقصعةٍ وعصا، زاره أصحابُه ذات يوم، فقالوا: أين الدنيا؟ قال: فى بيتى ما أحتاجه من الدنيا، وقد أخبرنا ﷺ أن أمامنا عقبة كئودًا لا يجيزها إلا المُخفُّ.

كان منشرح الصدر، ومنثلج الخاطر، فعنده ما يحتاجه من الدنيا، أما ما زاد على حاجته، فأشغالٌ وتَبِعاتٌ وهمومٌ وغمومٌ.

سفينة النجاة

يقول أحدهم: خرجت ذات يوم، وفى إحدى الطرق الفرعية الهادئة قابلنى شاب يركب سيارة صغيرة، لم يرنى؛ لأنه كان مشغولاً بملاحقة بعض الفتيات فى تلك الطريق الخالية من المارة، كنت مسرعًا فتجاوزته، فلما سرت غير بعيد، قلت فى نفسى: أأعود فأنصح ذلك الشاب؟ أم أمضى وأدعه يفعل ما يشاء؟ وبعد صراع داخلى دام عدة ثوانٍ فقط اخترت الأمر الأول، عدت ثانية، فإذا به قد أوقف سيارته وهو ينظر إليهن، ينتظر منهن نظرة، أو التفاتة، فدخلن فى أحد البيوت.

أوقفت سيارتى بجوار سيارته، ونزلت واتجهت إليه، سلمت عليه أولاً، ثم نصحته، فكان مما قلته له: تخيل أن هؤلاء الفتيات، أخواتك، أو بناتك، أو قريباتك، فهل ترضى لأحد من الناس أن يلاحقهن، أو يؤذيهن؟ كنت أتحدث إليه وأنا أشعر بشىء من الخوف، فقد كان شابًّا ضخمًا ممتلئ

(١) سورة محمد: الآية: (١٧).

(٢) سورة المطففين: الآية: (٢٤).

الجسم، كان يستمع إلىَّ وهو مطرق الرأس لا يتكلم، وفجأة التفت إلىَّ، فإذا دمعة قد سالت على خده فاستبشرت خيرًا، وكان ذلك دافعًا لمواصلة النصيحة، لقد زال الخوف منى تمامًا فشددت عليه فى الحديث حتى رأيت أنى قد أبلغت فى النصيحة، ثم ودعته، لكنه استوقفنى وطلب منى رقم هاتفى وعنوانى وأخبرنى أنه يعيش فراغًا نفسيًّا قاتلاً فكتبت له ما أراد، وبعد أيام جاءنى فى البيت، لقد تغير وجهه، وتبدلت ملامحه، فقد أطلق لحيته وشعَّ نور الإيمان فى وجهه، جلست معه، فجعل يحدثنى عن تلك الأيام التى قضاها فى التسكع فى الشوارع والطرقات، وإيذاء المسلمين والمسلمات، فأخذت أسليه، وأخبرته بأن الله سبحانه وتعالى واسع المغفرة، وتلوت عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١).

فانفرجت أسارير وجهه واستبشر، ثم ودعنى وطلب منى أن أزوره، فهو فى حاجة إلى من يساعده على السير فى الطريق المستقيم، فوعدته بالزيارة، مضت الأيام وجعلت أُسوِّف فى الزيارة، ولما وجدت فرصة ذهبت إليه وطرقت الباب، فإذا بشيخ كبير يفتح الباب وقد ظهرت عليه آثار الحزن والأسى، إنه والده، سألته عن صاحبى أطرق برأسه إلى الأرض، وصمت برهة، ثم قال بصوت خافت: يرحمه الله ويغفر له، لقد مات، ثم استطرد قائلاً: حقًّا إن الأعمال بالخواتيم، ثم أخذ يحدثنى عن حاله وكيف أنه كان مفرطًا فى جنب الله، بعيدًا عن طاعة الله، فمنَّ الله عليه بالهداية قبل موته بأيام، لقد تداركه الله برحمته قبل فوات الأوان، فلما فرغ من حديثه، عزيته ومضيت، وقد عاهدت الله أن أبذل النصيحة لكل مسلم.

انتهت القصة!!

تأمل معى (أخى الحبيب): كيف أن تلك الكلمة الصادقة التى خرجت

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٣٥).

من فم هذا الأخ الكريم حين بذل النصيحة الغالية لأخيه المسلم كانت سببًا فى إيقاظه من غفلته وعودته إلى ربه - جل وعلا -، وكأن تلك الكلمة كانت بمثابة سفينة النجاة التى أنقذت هذا الشاب من بحار الفتن، فعاد إلى شاطئ الطاعة ليلقى الله - عز وجل- تائبًا نادمًا مستغفراً.

فاحرص على أن تبذل النصيحة لكل مسلم عسى الله أن ينفع بك وأن يجعل عملك فى ميزان حسناتك، فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

بركة الصدق

ومن طرائف ما يُروى فى تعويد السلف أولادهم على الصدق ومعاهدتهم عليه هذه القصة: يقول أحدهم: «بنيت أمرى من حين نشأت على الصدق، وذلك أنى خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتنى أمى أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة وعاهدتنى على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان، خرج علينا جماعة من اللصوص، فأخذوا القافلة، فمر واحد منهم وقال لى: ما معك؟ قلت: أربعون ديناراً، فظن أنى أهزأ به، فتركنى فرآنى رجل آخر، فقال: ما معك؟ فأخبرته بما معى فأخذنى إلى كبيرهم فسألنى، فأخبرته، قال: ما حملك على الصدق؟

قلت: عاهدتنى أمى على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها!!

فأخذت الخشية رئيس اللصوص فصاح ومزق ثيابه، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟!!

ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه من اللصوص: أنت كبيرنا فى قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا فى التوبة فتابوا جميعًا ببركة الصدق.

نعم أيها الأخ الحبيب: إن الصدق منجاة، وإن العبد إذا كان صادقًا فإنه يجنى ثمار الصدق فى دنياه وآخرته.

أما سمعت قول الله - جل وعلا -: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١).

كن راضيًا عن الله

خرج رجل من بنى عبس، يبحث عن إبله التى ضلت، فذهب والتمسها، ومكث ثلاثة أيام فى غيابه، وكان هذا الرجل غنيًا، أعطاه الله ما شاء من المال والإبل والبقر والغنم والبنين والبنات، وكان هذا المال والأهل فى منزل رحب، على ممر سيل فى ديار بنى عبس، فى رغد وأمن وأمان، لم يفكر والدهم ولم يفكر أبناؤه أن الحوادث قد تزورهم، وأن المصائب قد تجتاحهم.

يا راقد الليل مسرورًا بأوله

إن الحوادث قد يطرقن أسحارًا

نام الأهل جميعًا كبارهم وصغارهم، معهم أموالهم فى أرض مستوية، ووالدهم غائب يبحث عن ضالته، وأرسل الله عليهم سيلاً جارفًا لا يلوى على شيء، يحمل الصخور كما يحمل التراب، ومر عليهم فى آخر الليل، فاجتاحهم جميعًا، واقتلع بيوتهم من أصلها، وأخذ الأموال معه جميعًا، وأخذ الأهل جميعًا، وزهقت أرواحهم مع تدفق الماء، وصاروا أثرًا بعد عين، فكأنهم لم يكونوا، صاروا حديثًا يُتلى على اللسان.

وعاد الأب بعد ثلاثة أيام إلى الوادى، فلم يحس أحدًا، ولم يسمع رافدًا، لا حى ولا ناطق ولا أنيس، المكان قاع صفصف، يا الله!! يا للداهية الدهياء!! لا زوجة لا ابن، لا ابنة، لا ناقة، لا شاة، لا بقرة، لا درهم، لا

١) سورة المائدة: الآية: (١١٩).

دينار، لا ثوب لا شىء، إنها مصيبة!!

وزيادة فى البلاء: إذا جمل من جماله قد شرد، فحاول أن يدركه وأخذ بذيله، فرفسه الجمل على وجهه فأعمى عينيه، وأخذ الرجل يصيح فى الصحراء لعله أن يجد رجلاً يقوده إلى مكان يأوى إليه، وبعد حين ووقت من هذا اليوم سمعه أعرابى آخر، فأتى إليه وقاده، وذهب به إلى الوليد بن عبد الملك الخليفة فى دمشق، وأخبره الخبر، فقال: كيف أنت؟ قال: رضيت عن الله.

صنائع المعروف تقى مصارع السوء

قال ﷺ: «صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد فى العمر»[1].

حُكى أن رجلاً جلس يومًا يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره وطرده.

ودارت الأيام وافتقر هذا الرجل وزالت نعمته حتى إنه طلق زوجته، وتزوجت من بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب، فقال الرجل لزوجته: ادفعى إليه هذه الدجاجة، فخرجت بها إليه فإذا به زوجها الأول فأعطته الدجاجة ورجعت وهى تبكى إلى زوجها فسألها عن بكائها، فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الأول وطرده فقال لها زوجها: ومم تعجبين وأنا والله السائل الأول!

فتأمل معى - أخى الحبيب - كيف أن الرجل لما انتهر السائل وطرده حدث له ما حدث . . . ولو كان رد السائل بلطف ورحمة، أو أعطاه شيئًا يسيراً فلربما كان الأمر على خلاف ذلك - والله أعلم.

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٩٧).

افعل الخير ولا تنشغل بالنتائج

إن المؤمن يفعل الخير ولا يشغل نفسه أبدًا بالنتائج فهو إذا تصدق فإنه يأخذ بالأسباب ويتحرى بصدقته من تزكو نفسه بتلك الصدقة من الفقراء واليتامى والمساكين.. وهو فى الوقت نفسه يحسن الظن بالله (جل وعلا) أنه سيتقبل منه تلك الصدقة.

فإن لم تصل الصدقة إلى من يستحقها فعليه أن يحسن الظن بالله أنه سيتقبلها منه؛ لأنه بذل ما فى وسعه وأخذ بالأسباب.

ولعل تلك القصة توضح ذلك:

*** فلقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ: «قال رجل: لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته، فوضعها فى يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على سارق.**

فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها فى يدى زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية! لأتصدقن بصدقة.

فخرج بصدقته، فوضعها فى يدى غنى، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على غنى، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية، وعلى غنى!! فأُتى، فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغنى فلعله يعتبر، فينفق مما أعطاه الله» (١).

* * *

---

(١)أخرجه البخارى (١٤٢١) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٢٢) كتاب الزكاة.

قل هذه سبيلى

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(١).

فمن كان من أتباع الحبيب ﷺ فلا بد أن يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ.

وتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع هذه القصة التى نرى من خلالها حرص الدعاة على الدعوة إلى الله (جل وعلا).

سكن داعية مسلم شهير مدينة ميونخ الألمانية، وعند مدخل المدينة توجد لائحة كبرى مكتوب عليها بالألمانية: «أنت لا تعرف كَفَرات يوكوهاما» - نوع من أنواع إطارات السيارات - فنصب هذا الداعية لوحة كبرى بجانب هذه اللوحة كتب عليها: «أنت لا تعرف الإسلام»، إن أردت معرفته، فاتصل بنا على هاتف كذا وكذا». وانهالت عليه الاتصالات من الألمان من كل حدب وصوب، حتى أسلم على يده فى سنة واحدة عدد كبير من الشعب الألمانى ما بين رجل وامرأة، وأقام مسجداً ومركزاً إسلاميًّا، وداراً للتعليم.

فاحرص أخى الحبيب على أن تكون داعيًا إلى الله بعلمك أو بحالك أو بأخلاقك فقد قال ﷺ: **«ولأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم»(٢).**

وقال ﷺ: «من دَلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»(٣).

وقال ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير»(٤).

---

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٩) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٩٣) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح: رواه الترمذى والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٣٨).

ومن يؤمن بالله يهد قلبه

قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[١] .

فهـذا كاتب أمـريكي لامع، اسـمه «بودلي» مـؤلف كتـاب «رياح على الصحراء»، و«الرسول ﷺ» وأربعة عشـر كتابًا أخرى، وقد استوطن عام ١٩١٨م أفريقـيا الشمـالية الغـربية، حيث عاش مع قـوم من الرُّحَّل البدو المسلمين، يصلون ويصومـون ويذكرون الله، يقول عن بعض مـشاهده وهو معـهم: هبَّت ذات يوم عاصفة عـاتية، حملت رمال الصحـراء وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط، ورمت بها وادى الرون فى فرنسا، وكانت العاصفة حارة شديدة الحرارة، حتى أحسست كأن شعر رأسى يتزعزع من منابته لفرط وطأة الحر، فأحـسست من فـرط الغيظ كـأننى مدفـوع إلى الجنون، ولكن العرب لم يشكوا إطلاقًا، فقد هزُّوا أكتافهم وقالوا: قضاء مكتوب. واندفعوا إلى العمل بنشاط، وقال رئيس القبيلة الشيـخ: لم نفقد الشيء الكثير، فقد كنا خليـقين بأن نفقـد كل شيء ولكن الحمـد لله وشكرًا، فإن لدينـا نحو أربعين فى المائة من ماشيتنا، وفى استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد.

* وثمة حادثة أخرى.. فقد كنا نقطع الصحراء بالسيارة يومًا فانفجر أحد الإطارات، وكان السائق قد نسى استحضار إطار احتياطى، وتولانى الغضب، وانتابنى القلق والهم، وسألت صـحبى من الأعـراب: ماذا عسـى أن نفعل؟ فذكرونى بأن الانـدفاع إلى الغضب لن يُجدى فـتيلاً، بل هو خليق أن يدفع الإنسان إلى الطيش والحمق، ومن ثم درجت بنا السيارة وهى تجرى على ثلاثة إطارات ليس إلا، لكنها ما لبثـت أن كفَّت عن السير، وعلمت أن البنزين قد نفد، وهناك أيضًا لم تثر ثائرة أحد من رفاقى الأعراب، ولا فارقهم هدوءهم، بل مضوا يذرعون الطريق سيرًا على الأقدام، وهم يترنمون بالغناء!

---

[١] سورة التغابن: الآية: (١١).

وخلاصة القول: إننى بعد انقضاء سبعة عشر عامًا على مغادرتى الصحراء، ما زلت أتخذ موقف العـرب حيال قضـاء الله، فأقابل الحـوادث التى لا حيلة لى فيها بالهدوء والامتثال والسكينة، ولقد أفلحت هذه الطباع التى اكتسبتها من العرب فى تهدئة أعصابى أكثر ما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير. اهـ[1].

من ثمرات الورع

قال ﷺ : «اشترى رجل من رجـل عقاراً له، فوجد الرجـل الذى اشترى العقار فى عقـاره جرة فيها ذهب، فقال الذى اشتـرى العقار: خذ ذهبك منى، إنما اشتـــريت منك الأرض، ولم أبتع الـذهب. وقـال الذى له الأرض: إنما بـعـتك الأرض وما فيـها. فتحـاكما إلى رجل، فقال الذى تحـاكما إليه: ألكـما ولد؟ قال أحدهما: لى غلام. وقـال الآخر لى جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه، وتصدَّقا»[2].

ولا شك أن أول شىء تلاحـظه فى هذين الرجلـين هو الورع والتـــقـوى والحرص على البـعد عن المال الحرام. وهذا أمر نادرٌ فى زمـاننا ومع ذلك فإن من يسلك مـسلك هذين الرجلين فـإنه يجنى ثمـار الورع فى الدنيا والآخـرة ويرى البركة فى كل شىء حوله؛ لأن الطاعة لا تجلب للإنسان إلا الخير دائمًا.

أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه

روى أن رجلاً من أصـحاب النبى ﷺ من الأنصار يـكنى أبا مغلق، كان تاجـرًا يتجـر بمال له ولغيـره يسيـر به فى الآفاق، وكان نـاسكًا ورعًا، فخرج مرة فلقيه لص مُقنَّع معه سلاح.

فقال له اللص: ضع ما معك فإنى قاتلك.

---

(١) لا تحزن (ص: ٤٢٠-٤٢٢) بتصرف.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٧٢١) كتاب الأقضية.

قال: فما تريد إلا دمى فشأنك والمال.

قال: أما المال فلى ولست أريد إلا دمك.

قال: أما إذا أبيت فدعنى أصلى أربع ركعات.

قال اللص: ما شئت.

فتوضأ، ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه فى آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما تريد، أسألك بعزك الذى لا يرام، وبملكك الذى لا يُضام، وبنورك الذى ملأ أركان عرشك أن تكفينى شر هذا اللص يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى ثلاث مرات.

فإذا هو بفارس أقبل وبيده حربة قد وضعها بين أذنى فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه فقتله، ثم أقبل هذا الفارس إلى التاجر الورع الناسك، وقال له: قم، فقال التاجر: من أنت بأبى وأمى فقد أغاثنى الله بك اليوم؟

فقال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثانى فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث، فقيل لى: دعاء مكروب فسألت الله أن يولينى قتله.

قال الحسن: فمن توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبًا كان، أو غير مكروب.

هكذا تفعل الدنيا بأهلها

قال وهب بن مُنبِّه: خرج عيسى - عليه السلام- يسيح فى الأرض فصحبه يهودى وكان معه رغيفان ومع عيسى رغيف، فقال له عيسى: تشاركنى فى طعامك؟ قال اليهودى: نعم، فلما علم أن ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم، فقام عيسى (عليه السلام) إلى الصلاة. فذهب صاحبه وأكل رغيفًا، فلما أتم عيسى قدما طعامهما.

فقـال عيـسى لصاحـبه: أين الرغيف الآخـر؟ فقال: مـا كان إلا رغيـفًا واحدًا، فأكل عيـسى رغيفًا وصاحبـه رغيفًا، ثم انطلقا فـجاؤوا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه: لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال: افعل.

فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له: أرأيت إن أنا عالجتك حتى يرد الله بصرك فهل تشكره؟ قال: نعم.

فمس بصره ودعا الله له فأبصر.

فقـال عيـسى لليـهودى: بالذى أراك الأعـمى يبصـر أما كان مـعك من رغيف؟ فـقال: والله ما كان إلا رغـيفًا واحـدًا، فسكت عيسى عنه، فـمرا بظباء ترعى فدعا عيسى - عليه السلام - ظبيًا منها فذبحه، ثم أكلا منه، ثم قال عيسى للظبى: قم بإذن الله فقام فقال الرجل: سبحان الله!

فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية، مَنْ أكل الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلا رغيفًا واحدًا.

فمـضيا فـمرا بنهـر عظيم فأخذ عـيسى بيـده فمشى به عـلى الماء حتى جاوزاه، فقال الرجل: سبحـان الله! فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟

فقال الرجل: والله ما كان إلا رغيفًا واحدًا.

فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خـربة وإذا قريب منهما ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب فقـال عيسى - عليـه السلام -: واحدة لى وواحـدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث.

فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى.

فقال عيسى: هى لك كلها... وفارقه، فأقام الرجل عليها ليس معه ما يحملها عليه، فمر به ثلاثة نفر، فقتلوه وأخذوا الذهب.

فقال اثنان منهم لواحد: انطلق إلى القرية فائتنا بطعام.

فقال أحد الباقين: نقتل هذا إذا جاء ونقسم هذا بيننا.

قال الآخر: نعم.

قال الذى ذهب يشترى الطعام: أجعل فى الطعام سمًّا فأقتلهما وآخذ الذهب وحدى، ففعل ما أملاه عليه شيطانه، فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه فماتا هما أيضًا بجوار الذهب، فمر سيدنا عيسى عليه السلام بعد ذلك وعندما رأى الأربعة صرعى عند الذهب أشار إليهم وإلى الذهب قائلاً لمن معه من الحواريين: هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها... أ.هـ.

* ولقد حذرنا النبى ﷺ من أن تتعلق قلوبنا بالدنيا فقال ﷺ: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم، كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم»(١).

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله.

فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»(٢).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»(٣).

وعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس، فقال: «ازهد فى الدنيا؛ يحبك الله، وازهد فيما عند الناس؛ يحبك الناس»(٤).

وعن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٥٨) كتاب الجزية، ومسلم (٢٩٦١) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٥) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٢) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء.

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٤٤).

كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه وعالمًا ومتعلمًا»(٢).

وعن عبيد الله بن محصن الأنصارى الخطمى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا فى سربه، معافىً فى جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا، وقنعه الله بما آتاه»(٤).

الإحسان إلى الناس من أسباب السعادة

إن الإحسان إلى الناس من أعظم أسباب السعادة.. وحسبك أن تتأمل معى قوله تعالى كما فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تَعُدْنى، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانًا مَرِض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عُدته لوجدتنى عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى، فقال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه؛ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٩٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٩٧).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٣٤٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٤١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣١٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٠٥٤) كتاب الزكاة.

فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى»[1].

وكان ابن المبارك له جار يهودى، فكان يبدأ فيطعم اليهودى قبل أبنائه، ويكسوه قبل أبنائه، فقالوا لليهودي: بعنا دارك. قال: دارى بألفى دينار، ألفٌ قيمتها، وألفٌ جوار ابن المبارك؟ فسمع ابن المبارك بذلك، فقال: اللهم هده إلى الإسلام. فأسلم بإذن الله!

ومر ابن المبارك حاجًّا بقافلة، فرأى امرأة أخذت غرابًا ميتًا من مزبلة، فأرسل فى إثرها غلامه فسألها، فقالت: ما لنا منذ ثلاثة أيام إلا ما يلقى بها. فدمعت عيناه، وأمر بتوزيع القافلة فى القرية، وعاد وترك حجته تلك السنة، فرأى فى منامه قائلاً يقول: حج مبرور، وسعى مشكور، وذنب مغفور.

وعاد إلى أمه الحنون

يقول أحدهم.. مات والدى وأنا صغير فأشرفت أمى على رعايتى، عملت خادمة فى البيوت حتى تستطيع أن تصرف علىَّ، فقد كنت وحيدها، أدخلتنى المدرسة وتعلمت حتى انتهيت من الدراسة الجامعية كنت بارًّا بها، وجاءت بعثتى إلى الخارج فودعتنى أمى والدموع تملأ عينيها وهى تقول لى انتبه يا ولدى على نفسك ولا تقطعنى من أخبارك، أرسل لى رسائل حتى أطمئن على صحتك.. أكملت تعليمى بعد زمن طويل، ورجعت شخصًا آخر قد أثرت فىَّ الحضارة الغربية، رأيت فى الدين تخلُّفًا ورجعية، وأصبحت لا أؤمن إلا بالحياة المادية وتحصلت على وظيفة عالية، وبدأت أبحث عن الزوجة حتى حصلت عليها، وكانت والدتى قد اختارت لى فتاة متدينة محافظة، ولكنى أبيت إلا تلك الفتاة الغنية الجميلة، لأنى كنت أحلم بالحياة (الأرستقراطية) كما يقولون، وخلال ستة أشهر من زواجى كانت زوجتى

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب.

تكيد لأمى حتى كرهت والدتى، وفى يوم من الأيام، دخلت البيت وإذا بزوجتى تبكى، فسألتها عن السبب فقالت لى: شوف يا أنا يا أمك فى هذا البيت، لا أستطيع أن أصبر أكثر من ذلك!! جُنَّ جُنونى وطردت أمى من البيت فى لحظة غضب، فخرجت وهى تبكى وتقول: أسعدك الله يا ولدى.

وبعد ساعات خرجت أبحث عنها ولكن بلا فائدة رجعت إلى البيت، واستطاعت زوجتى بمكرها وجهلى أن تُنسينى تلك الأم الغالية الفاضلة، انقطعت أخبار أمى عنى فترة من الزمن أُصبت خلالها بمرض خبيث، دخلت على إثره المستشفى، وعلمت أمى بالخبر، فجاءت تزورنى وكانت زوجتى عندى وقبل أن تدخل علىَّ طردتها زوجتى وقالت لها: ابنك ليس هنا، ماذا تريدين منا؟ اذهبى عنا، رجعت أمى من حيث أتت!! وخرجت من المستشفى بعد وقت طويل انتكست فيه حالتى النفسية، وفقدت الوظيفة وتراكمت علىَّ الديون، وكل ذلك بسبب زوجتى، فقد كانت ترهقنى بطلباتها الكثيرة، وفى آخر المطاف أنكرت زوجتى الجميل وقالت: ما دمت قد فقدت وظيفتك ومالك ولم يعد لك مكان فى المجتمع، فإنى أعلنها لك صريحة: أنا لا أريدك، طلقنى، كان هذا الخبر بمثابة صاعقة وقعت على رأسى، وطلقتها بالفعل فاستيقظت من السُّبات الذى كنت فيه، خرجت أهيم على وجهى أبحث عن أمى، وفى النهاية وجدتها، ولكن أين وجدتها؟ كانت تقبع فى إحدى الأربطة تأكل من صدقات المحسنين!! دخلت عليها، وجدتها وقد أثَّر عليها البكاء فبدت شاحبة، وما إن رأيتها حتى ألقيت بنفسى عند رجليها وبكيت بكاءً مرًّا. فما كان منها إلا أن شاركتنى البكاء بقينا على هذه الحالة ساعة كاملة، بعدها أخذتها إلى البيت وعاهدت نفسى أن أكون طائعًا لها، وقبل ذلك أكون متبعًا لأوامر الله مجتنبًا لنواهيه، وها أنا الآن أعيش أحلى أيامى وأجملها مع حبيبة العمر أمى.. انتهت القصة!!

أرأيتم ماذا يفعل العقوق، حيث وصل بهذا الشاب أن طرد أمه من البيت الذى تسكنه، وذلك لأنه لم يتبع أمر الرسول ﷺ باختيار الزوجة الصالحة المتدينة حين قال ﷺ: «تُنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[١].

والعقوق من الكبائر.. قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[٣].

وعن عبد الله بن مسعود ؓ أن رجلاً سأل النبى ﷺ: «أى الأعمال أفضل قال: الصلاة لوقتها، قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد فى سبيل الله»[٤].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ عن النبى ﷺ قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»[٥][٦].

رجل يشترى نفسه من الله

إن على المؤمن أن يدعو إلى الله (جل وعلا) فى كل وقتٍ وحين، فإنه لا يدرى لعل الله ينفع الناس بكلمة صادقة خرجت منه.

عن أبى نعيم الحافظ، قال: كان سبب إقبال حبيب أبى محمد على الآجلة

١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٩٠) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٦٦) كتاب الرضاع.

٢) سورة الإسراء: الآيتان: (٢٣-٢٤).

٣) سورة لقمان: الآية: (١٤).

٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٣٤) كتاب التوحيد، ومسلم (٨٥) كتاب الإيمان.

٥) صحيح: رواه البخارى (٦٦٧٥) كتاب الأيمان والنذور.

٦) قصص وآثار (ص٣٤ - ٣٧) بتصرف.

وانتقاله عن العاجلة، حضوره مجلس الحسن، فوقعت موعظته فى قلبه، فخرج عما كان يتصرف فيه، ثقة بالله ومكتفيًا بضمانه، فاشترى نفسه من الله، فتصدق بأربعين ألف درهم فى أربع دفعات، تصدق بعشرة آلاف درهم فى أول النهار، فقال: يا رب، قد اشتريت نفسى منك بهذا، ثم أتبعها بعشرة آلاف أخرى، وقال: هذه شكرًا لما وفقتنى له، ثم أخرج عشرة آلاف أخرى؛ وقال: يا رب؛ إن لم تقبل منى الأولى والثانية فاقبل منى هذه، ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى، فقال: يا رب، إن قبلت منى الثالثة فهذه شكرًا لها[1].

نعمة الرضا بقضاء الله

إن من أعظم وأجلّ النعم: الرضا بقضاء الله.

قال ﷺ: «لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحد ذهبًا فى سبيل الله ما قَبِله الله منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مُتَّ على غير هذا لدخلت النار»[2].

وقال بعضهم: ما أبالى على أى الراحلتين ركبت، إن كان الفقر لهو الصبر، وإن كان الغنى لهو الشكر.

ومات لأبى ذؤيب الهذلى ثمانية من الأبناء بالطاعون فى عام واحد، فماذا عسى أن يقول؟ إنه آمن وسلَّم وأذعن لقضاء ربه، وقال:

وتجلدى للشامتين أريهمو
أنى لريب الدهر لا أتضعضعُ
وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفعُ

---

(١) التوابين (ص: ٢٠١).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٤٤).

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1].

وفقد ابن عباس بصره فقال - معزيًا نفسه-:

إن يأخذ الله من عينيَّ نورهما
ففى فؤادى وقلبى منهما نورُ
قلبى ذكيٌّ وعقلى غير ذى عوج
وفى فمى صارم كالسيف مشهورُ

وهو التسلِّى بما عنده من النعم الكثيرة إذا فقد القليل منها.

وبُترت رجل عروة بن الزبير، ومات ابنه فى يومٍ واحد، فقال: اللهم لك الحمد، إن كنت أخذت فقد أعطيت، وإن كنت ابتليت فقد عافيت، منحتنى أربعة أعضاء، وأخذت عضوًا واحدًا، ومنحتنى أربعة أبناء وأخذت ابنًا واحدًا.

احذروا من النميمة

رُوى أن رجلاً رأى غلامًا يباع وليس به عيب إلا أنه نمام فقط، فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أيامًا، ثم قال لزوجة سيده: إن سيدى يريد أن يتزوج عليك وقال: إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه، فإذا نام خذى الموسى واحلقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك، فقالت فى نفسها: نعم.

وعزمت على ذلك إذا نام زوجها، ثم جاء زوجها وقال له: إن سيدتى زوجتك قد اتخذت لها صديقًا ومحبًّا غيرك وتريد أن تتخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقنى فتظاهر بالنوم الليلة وانظر كيف تجىء إليك وفى يدها شىء تريد أن تذبحك به.

وصدقه سيده، فلما جاء الليل جاءت المرأة بالموسى؛ لتحلق الشعرات

(١) سورة التغابن: الآية: (١١).

من تحت لحيته والرجل يتظاهر بالنوم، فقال في نفسه: والله لقد صدق الغلام، فلما وضعت الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموس منها وذبحها به، فجاء أهلها فوجدوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد النمام.

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام» (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين، فقال: **«إنهما يُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير، بلى إنه كبير: أما أحدهما، فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»** (٢).

فاحذر يا أخي! من السعي بين الناس بالنميمة، فإن النميمة من أسباب عذاب القبر، ومن أسباب حرمان العبد من دخول الجنة.

خمسة أشياء تبعدك عن معصية الله (جل وعلا)

ذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم وقد كان من أطباء القلوب، وقال له: إني مسرف على نفسي فاعرض عليَّ ما يكون زاجرًا لها.

فقال له إبراهيم: إن قدرت على خمس خصال، لن تكون من العصاة.

فقال الرجل - وكان متشوقًا لسماع موعظته -: هات ما عندك يا إبراهيم.

فقال: الأولى: إذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئًا من رزقه، فتعجب الرجل، ثم قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والأرزاق كلها من عند الله؟

فقال: إذا كنت تعلم ذلك، فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟!

قال: لا، يا إبراهيم هات الثانية.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٥٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢١٦) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٩٢) كتاب الطهارة.

فتعجب الرجل أكثر من تعجبه السابق، ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والبلاد كلها ملك الله.

فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه؟!

قال: لا، يا إبراهيم، هات الثالثة.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فانظر مكانًا لا يراك فيه فاعصه فيه.

قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعلم بالسرائر (يعلم السر وأخفى) ويسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء.

فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك، فهل يجدر بك أن تعصيه؟!

قال: لا، يا إبراهيم هات الرابعة.

فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت؛ ليقبض روحك، فقل له: أخرنى إلى أجل معدود.

فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة؟

قال: نعم، هات الخامسة يا إبراهيم.

فقال: إذا جاءك الزبانية وهم ملائكة جهنم؛ ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم.

فما كاد الرجل يستمع إلى الخامسة حتى قال باكيًا: كفى يا إبراهيم، أنا أستغفر الله وأتوب إليه... ولزم العبادة حتى فارق الحياة.

* * *

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٤).

الرجل على دين خليله

يقول التائب: كنت أتمايل طربًا، وأترنح يمنة ويسرة، وأصرخ بكل صوتى وأنا أتناول مع «الشلة» الكأس تلو الكأس، وأستمع إلى صوت «مايكل جاكسون» فى ذلك المكان الموبوء، المليء بالشياطين، الذى يسمونه «الديسكو».

كل ذلك فى بلد عربى، أهرب إليه كلما شجعنى صديق أو رفيق، فأصرف فيه مالى وصحتى، وأبتعد عن أولادى وأهلى، وأرتكب أعمالاً عندما أتذكرها ترتغد فرائصى، ويتملكنى شعور بالحزن والأسى، لكن تأثير الشيطان علىَّ كان أكبر من شعورى بالندم والتعب.

استمرت هذه الحال، وانطلق بى هوى النفس إلى أبعد من ذلك البلد العربى، وأصبحت من عشاق أكثر من عاصمة أوربية، وهناك أجد الفجور بشكل مكشوف وسهل ومرن.

وفى يوم من أيام أواخر شهر شعبان أشار علىَّ أحد الأصدقاء بأن نسافر إلى «بانكوك» وقد عرض علىَّ تذكرة مجانية، وإقامة مجانية أيضًا، ففرحت بذلك العرض، وحزمت حقائبى وغادرنا إلى «بانكوك» حيث عشت فيها انحلالاً لم أعشه طوال حياتى.

وفى ليلة حمراء اجتمعت أنا وصديقى فى أحد أماكن الفجور، وفقدنا فى تلك الليلة عقولنا، حتى خرجنا ونحن نترنح، وفى طريقنا إلى الفندق الذى نسكن فيه أصيب صديقى بحالة إعياء شديدة، ولم أكن فى حالة عقلية تسمح لى بمساعدته، لكنى كنت أغالب نفسى، فأوقفت سيارة أجرة حملتنى إلى الفندق.

وفى الفندق. استُدعى الطبيب على عَجَل، وأثناءها كان صديقى يتقيأ دمًا، فأفقت من حالتى الرثة، وجاء الطبيب ونقل صديقى إلى المستشفى، وبعد ثلاثة أيام من العلاج المُركَّز عُدنا إلى أهلينا وحالة صديقى الصحية

تزداد سوءًا، وبعد يوم من وصولنا نُقل إلى المستشفى، ولم يبقَ على دخول رمضان غير أربعة أيام.

وفى ذات مساء ذهبت لزيارة صديقى فى المستشفى، وقبل أن أصل إلى غرفته لاحظت حركة غريبة، والقسم الذى فيه صديقى «مقلوب» على رأسه، وقفت على الباب فإذا بصراخ وعويل.

لقد مات صاحبى لتوِّه بعد نزيف داخلى عنيف، فبكيت، وخرجت من المستشفى، وأنا أتخيل أننى أنا ذلك الإنسان الذى ضاعت حياته وانتهت فى غمضة عين، وشهقت بالبكاء وأنا أتوب إلى الله، وأنا أستقبل رمضان بالعبادة، والاعتكاف، والقيام، وقراءة القرآن، وقد خرجت من حياة الفسق والمجون إلى حياة شعرت فيها بالأمن والأمان والاطمئنان والاستقرار، وقد كنت بعيدًا عن ذلك أستمرئ المجون والفجور، حتى قضى صاحبى نحبه أمامى، فأسأل الله أن يتوب علىَّ[1].

أخى الحبيب: احرص على صحبة الصالحين الذين يأخذون بيديك إلى مرضاة الله (جل وعلا).. والذين يشفعون لك يوم القيامة بعد أن يأذن لهم الحق (جل وعلا).

أما سمعت قول رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[2].

* * *

---

(١) العائدون إلى الله (ص: ١٦٢-١٦٣).

(٢) حسن: رواه أبو داود والترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).

روشتة سفيان الثورى

أُهدى إليك أيها الأخ الحبيب تلك الروشتة من صيدلية الإمام الجليل سفيان الثورى - رحمه الله - فقد جاءه رجل يشكو إليه أنه مريض بمرض البعد عن الله، فقال له سفيان الثورى: يا هذا! عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر، وعصير التواضع، ضعْ هذا كله فى إناء التقوى، وصُب عليه ماءَ الخشية، وأوقد عليه نار الحزن على المعصية وصفِّه بمصفاة المراقبة له، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع وابعد عن الحرص والطمع، يُشفى مرض قلبك بإذن الله.

اجعل عملك خالصًا لله

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾(١).

فاجعل عملك خالصًا لوجه الله ولا تنتظر شكرًا من البشر، ولا تغتم إذا جحد الناس إحسانك فأنت لا تريد الثواب إلا من الله.

قُتل شهداءُ بقندهار، فقال عمر للصحابة: مَن القتلى؟ فذكروا له الأسماء، فقالوا: وأُناس لا تعرفهم. فدمعت عينا عمر، وقال: ولكن الله يعلمهم.

وأطعم الربيع بن خُثيم رجلاً أعمى فالوذجًا (من أفخر الأكلات)، فقال أهله: هذا الأعمى لا يدرى ماذا يأكل! فقال: لكن الله يدرى!

* * *

(١) سورة الإنسان: الآية: (٩).

المؤمن يستمد قوته من إخلاصه لله (جل وعلا)

كانت هناك شجرة تُعبد من دون الله، فقام رجل مؤمن من بنى إسرائيل وأخذ فأسًا؛ ليقطعها فلقيه إبليس فقال له: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع تلك الشجرة التى تُعبد من دون الله.

فقال له إبليس: لا تستطيع لأننى سأمنعك من ذلك.

فقام الرجل العابد وضربه وطرحه أرضًا، وسار إلى الشجرة؛ ليقطعها فاعترضه إبليس مرة ثانية فضربه العابد وطرحه أرضًا، فاعترضه إبليس للمرة الثالثة، وقال له: هل لك فيما هو خير لك، لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك.

قال: فمن أين لى ذلك؟

قال: أنا لك. فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئًا فقام غضبًا؛ ليقطعها فتمثل له الشيطان فى صورته وقال: ما تريد؟

قال: أريد قطع هذه الشجرة التى تُعبد من دون الله تعالى.

قال: كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل، فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد أن يقتله.

قال: أتدرى من أنا؟ أنا الشيطان... جئتَ أول مرة غضبًا لله فلم يكن لى عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين، فتركتها فلما جئت غضبًا للدينارين سُلطت عليك.

ومن هنا نعلم أن العمل إذا لم يكن خالصًا لوجه الله تعالى فإن صاحبه لا ينتفع بثمرة هذا العمل فى الدنيا، أو الآخرة، وأن العبد يستمد قوته من إيمانه بالله وإخلاص العمل له - جل وعلا.

* * *

هكذا كان العلماء العاملون

لما اشتدت الجفوة بين المنذر بن سعيد والخليفة الناصر لدين الله نتيجة محاسبة المنذر له على إسرافه فى بناء مدينة الزهراء، أراد ولده الحكم أن يزيل ما وقع بينهما فاعتذر له عند الخليفة. فقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح، وما أراد إلا خيراً، ولو رأى ما أنفقت وحسن تلك البنية (أى القبة التى شيَّدها الناصر بالزهراء واتخذ قراميدها من فضة، وبعضها مغشى بالذهب، وجعل سقفها نوعين، صفراء فاقعة إلى بيضاء ناصعة، يستلب الأبصار شعاعها) فلما قال له ولده ذلك أمر ففُرشت بفرش الديباج، وجلس فيها لأهل دولته، ثم قال لقرابته ووزرائه: أرايتم أو سمعتم ملكًا كان قبلى صنع مثل ما صنعت؟ فقالوا: لا والله يا أمير المؤمنين، وإنك الأوحد فى هذا الشأن، فبينما هم على ذلك، إذ دخل المنذر بن سعيد ناكسًا رأسه، فلما أخذ مجلسه قال له ما قال لقرابته، فأقبلت دموع المنذر تنحدر على لحيته لسوء ما رأى. وقال: والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادتك هذا التمكن، مع ما آتاك الله تعالى وفضَّلك به على المسلمين، حتى ينزلك منازل الكافرين فاقشعر الخليفة من قوله. وقال له: انظر ما تقول كيف أنزلنى الله منازلهم؟! فقال: نعم، أليس الله تعالى يقول: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ﴾[1] فوجم الخليفة ونكَّس رأسه مليًا، وجعلت دموعه تنحدر على لحيته، ثم أقبل على المنذر وقال له: جزاك الله خيراً، وعن الدين خيراً، فالذى قلت هو الحق، ثم قام من مجلسه وأمر بنقض سقف القبة، وأعاد قراميدها ترابًا على صفة غيرها[2].

---

(١) سورة الزخرف: الآيات: (٣٣-٣٥).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٨٨-٢٨٩).

فبمُر الحق كان العلماء العاملون يقرعون الخلفاء والحكام، فربما أفاق حاكم من غفلته، وعاد إليه رشده ونزاهته، لأن الغالب أن هؤلاء الحكام ما كانوا يقصدون مخالفة الحق عنادًا واستكبارًا، وإن كان الأمر كذلك لازدادوا غيًا وفسادًا، ولكنهم كانوا يحكمون شرع الله عز وجل، ويدعون إليه، وقد يقع من بعض الحكام شيء من الظلم أو البغي غافلين، أو متغافلين، فإذا واجههم العلماء بالحق استفاقوا من غفلتهم، ورجعوا إلى الحق صاغرين. ونُصح الحاكم عزيز لأن أكثر من يخالطونهم يوافقونهم على الخطأ والصواب، ولا يخلصون لهم النصيحة، فمن هنا كانت هذه المواقف الإيمانية التي يدفع فيها الإيمان الصادق هؤلاء العلماء للجهر بكلمة الحق، فيهدى الله عز وجل بهم من يشاء، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم[١].

همة عالية

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مَرَّ بين أبى بكر وعمر، وعبد الله قائم يصلى، فافتتح سورة النساء يَسجلها[٢] فقال ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أُنزل، فليقرأ قراءة ابن أم عبد» - أى ابن مسعود -. فأخذ عبد الله فى الدعاء، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «سَلْ تُعط» فكان فيما سأل: «اللهم إنى أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ فى أعلى جنان الخلد» فأتى عمر عبد الله يبشره، فوجد أبا بكر خارجًا فقد سبقه، فقال: إنك لسبَّاق بالخير»[٣].

وهكذا كان أصحاب الرسول ﷺ يتسابقون إلى كل خير وإلى كل طاعة فقد علموا أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأنها ميدان فسيح يتسابق فيه

---

(١) مواقف إيمانية / أحمد فريد (ص: ١٥٢-١٥٣).

(٢) أى: يقرؤها قراءة مفصلة.

(٣) حسن: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٣٠١).

الصالحون للفوز بالمغفرة والرضوان وجنة الرحيم الرحمن (جل وعلا).

وتأمل معى هذا المثال لتعلم كيف كانت همتهم.. فلقد كان رسول الله ﷺ جالسًا بين أصحابه فقال لهم: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة**»[1] فتأمل كيف أن أبا بكر رضي الله عنه كان حريصًا على كل ما يقربه إلى الله جل وعلا.

أمنية غالية

عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه أن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال له يوم أُحد: ألا تدعو الله؟ فخلوا فى ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب، إذا لقيت العدو فلقِّنى رجلاً شديداً بأسه شديداً حَرَدُه أقاتله ويقاتلنى، ثم ارزقنى الظفر عليه، حتى أقتله وآخذ سلبه، فأمَّن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقنى رجلاً شديداً حَرَدُه شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلنى، ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى، فإذا لقيتك غداً قلت: مَن جَدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفى رسولك ﷺ فتقول: صدقت. قال سعد: يا بنى، كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتى لقد رأيته آخر النهار، وإن أنفه وأذنه لمعلقان فى خيط.

وأخرج البخارى عن أسلم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد رسولك ﷺ[2].

وأخرجه الإسماعيلى عن حفصة رضي الله عنها قالت: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: «اللهم قتلاً فى سبيلك، ووفاةً ببلد نبيك ﷺ قالت: فقلت: وأنَّى يكون هذا؟ قال: يأتى به الله إذا شاء».

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٢٨) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٨٩٠) كتاب الحج.

أرأيت أيها الأخ الحبيب كيف كانت قلوب أصحاب النبى ﷺ متعلقة بالآخرة... فهم لا يريدون شيئًا من حطام الدنيا الزائل؛ لأن النبى ﷺ أخبرهم بأن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة، وبأنها سجن المؤمن وجنة الكافر، وأن المؤمن سينسى كل شقاء وبلاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن (جل وعلا).. فجعلوا همهم الأكبر فى الفوز بالجنان ورضوان الرحيم الرحمن (جل وعلا).

عشرة أسباب لعدم إجابة الدعاء

حُكى أن ابراهيم بن أدهم - رحمه الله - مر بسوق البصرة، فاجتمع الناس إليه وقالوا له: يا أبا إسحاق! ما لنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟! قال: لأن قلوبكم ماتت بعَشرة أشياء:

الأول: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

والثانى: زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

والثالث: قرأتم القرآن فلم تعملوا به.

والرابع: أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها.

والخامس: قلتم: إن الشيطان عدو لكم ولم تخالفوه.

والسادس: قلتم: إن الجنة حق ولم تعملوا لها.

والسابع: قلتم: إن النار حق ولم تهربوا منها.

والثامن: قلتم: إن الموت حق ولم تستعدوا له.

والتاسع: انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.

والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

وقال بعضهم فى هذا المعنى:

نحن ندعو الإله فى كل كرب

ثم ننساه عند كشف الكروبِ

كــيف نــرجــو إجــابــة لدعـــاء

قــد ســـدنا طريقـــهـــا بـالذنوب

اتقوا دعوة المظلوم

قال ﷺ : «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتى وجلالى لأنصرنَّك ولو بعد حين»(١) .

وقال ﷺ : «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»(٢) .

وقــال ﷺ : «اتقــوا دعــوة المظلوم، وإن كــان كــافــرًا، فــإنه ليس دونهــا حجاب»(٣) .

وتأمل معى أخى الحبيب هذه القصة العجيبة:

خرج أحد الصيــادين صبيحة يومه يطلب رزقًا حــلالاً فرمى شبكته فلم يُخرج شيئًا فأخذ يبتهل إلى الله فــأولاده يصرخون جوعًا فى بيته، واقتربت الشمس من المغيب، فرزقه الله سمكة ضخــمة، فحمد الله تعالى، وأخذها مســرورًا إلى بيته وإذا بمــلك قد خرج للنزهة فــرآه فأحضــره وعلم ما مــعه فأعجبــته السمكة، فأخذها عنوة، وذهب إلى قــصره فأراد أن يدخل سرورًا على الملكة فأخرج الــسمكة أمامها فــاستدارت السمكة وعضت أصــبعه فلم يسترح ليلته ولم ينم فأحضر الأطباء فأشاروا بقطع أصبعه، ولكنه لم يسترح بعــدها؛ لأن السم كــان قد تســرب إلى يده، فــأشاروا بــقطع يده ولكنه لم يستــرح أيضًا بل أخذ يصرخ ويســتغيث فــأشاروا بقطع ذراعه فاســتراح من الآلام الجســدية، ولم تهدأ نفــسه فعلم الأمــر فأشاروا علــيه أن يذهب إلى طبيب من أطباء القلوب - العلماء الحكماء - فــذهب وأخبره قصة السمكة،

---

(١) **صحيح:** رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٧).

(٢) **صحيح:** رواه الحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٨).

(٣) حسن: رواه أحمد وأبو يعلى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٩).

فقال لـه: لن تهدأ إلا إذا عفى عنك الصيـاد فبحث الملك عن الصيـاد حتى وجده وشكى إليه أمره واستحلفه أن يصفح عنه فعفـا عنه، وصفح فقال له الملك: ماذا قلت فيَّ؟ فـقال: ما قلت سوى كلمـة واحدة: «اللهم إنه أظهر عليّ قوته فأرنى فيه قدرتك».

فاحذر يا أخى من ظلم العباد فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام

قال ﷺ: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»[١].

فـالأرملة التى تُوفى عنهـا زوجهـا وترك لهـا أولادًا يتامى قـد تجرعـوا غصص اليتم منذ نعومة أظفارهم، فـهم أحوج ما يكون إلى يد حانية تمتد؛ لتمسح جراحـاتهم من على صفـحات قلوبهم المنكسـرة، ومن هذا المنطلق حثَّ النبى ﷺ أصحاب القلوب الرحيمة على أن يتسابقوا من أجل هؤلاء اليتامى، ومن أجـل تلك الأم التى انكسر فؤادها بموت زوجهـا، فمن سعى عليهـا وعلى أولادها فهـو كالمجاهد فى سـبيل الله، وكالـذى يقوم الليل؛ ليناجى ربه، وهو كذلك كالذى يصوم النهار، فـأين أصحاب العقول، وأين المشمرون للفوز بهذا الأجر العظيم وتلك المكانة السامية؟!!

رُوى أنه كان هناك رجل قد نزل فى بلد من بلاد العجم، وله زوجة وله منها بنات، وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة.

فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شـماتة الأعداء، واتفق خروجها فى شدة البـرد، فلما دخلت ذلك البلـد، أدخلت بناتها فى بعض المسـاجد المهجورة ومضت تبحث لهم عن القوت، فمرت بجمعين؛ جمع على رجل

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٥٣) كتاب النفقات، ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد والرقائق.

مسلم، وهــو شيخ البلد، وجمع عــلى رجل مجوسى، وهو ضــامن البلد، فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له.

وقالت: أنا امــرأة مسلمــة ومعى بنات أيــتام أدخلتــهم بعض المساجــد المهجورة، وأريد الليلة قُوتهم - أى طعامًا-، فــقال لها: أقيمى عندى البينة أنك مسلمة شريفة.

فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى، . . . فأعرض عنها.

فمــضت من عنده منكسرة الــقلب، فجاءت إلى ذلك الــرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معهــا بنات أيتامًا، وهى امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم، فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها، وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده فى نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل، رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامــه كأن القيامة قد قــامت، وقد عُقــد اللواء على رأس النبى ﷺ وإذا القصــر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت، وفــيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله! لمن هذا القصر؟

قال: لرجل مسلم موحد.

فقال: يا رسول الله! أنا رجل مسلم موحد.

فقال رسول الله ﷺ: **«لما قصدتك المرأة العلوية قلت أقــيمى عندى البينة أنك مسلــمة شريفــة فكذا أنت أقم عندى البينة أنــك مسلم؟!»**، فانتــبه الرجل حزينًا على ردِّه المرأة خائبة، ثم جــعل يطوف بالبلد، ويسأل عنها، حتى دُلَّ عليــها أنهــا عند المجوسى، فــأرسل إليه فــأتاه، فقــال له: أريد منك المرأة المسلمة الشريفة وبناتها.

فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى.

قال: خذ منى ألف دينار وسلمهن إلىَّ.

فقال: لا أفعل. لا بد منهن.

فقال له: إن الذى تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذى رأيته فى منامك خُلق لى، أتدل علىَّ بالإسلام؟ فـوالله ما نمت البارحـة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد هذه المرأة المسلمة، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك، وقال لى رسول الله ﷺ: **«المرأة وبناتها عندك»** قلت: نعم يا رسول الله.

قال: **«القصر لك ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمنًا فى الأزل»**.

قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبـة ما لا يعلمه إلا الله، فانظر -رحمك الله- إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتـام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا[١].

فاحرص أخى الحبيب على الإحسان إلى اليتامى والأرامل؛ لتفوز بصحبة النبى ﷺ فى الجنة.

قال ﷺ كـما عند البـخارى: «أنا وكافل اليـتيم فى الجنة هكذا - وأشار بالسبابة والوسطى - **وفرج بينهما»**.

وفى رواية مسلم: **«أنا وكافل الـيتيم له، أو لغـيره فى الجنة، والسـاعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله»**.

ثمرة الأمانة

يقول الشيخ الطحان: مَنْ صبر على شىء لله عوّضه الله خيرًا منه، يروى مشايخنا أن طالبًا من طلاب الأزهر قدم من بلاد الصعيد، فجلس فى حلقة شيـخه، وتأخرت نفقـته من الصعـيد، ففارق حلقـة الشيخ عسـاه يُحصّل

(١) الكبائر للإمام الذهبى (ص: ١٢١، ١٢٢).

كسيـرات من الخبز ولقيمـات يقتات بها ويتقـوّى عليها، فبينمـا هو يسير إذ دخل فى شارع ضيق، فوجد بابًا مفتوحًا، ووجد خزانة من طعام، فمدّ يده إلى الطعام، وكان من المحشى، ثم بعد أن تناول قطعة منه ووضعها فى فمه تذكـر أنه جاء ليطـلب العلم، والعلم نور، والأكل من هذا الطعـام دون أن يستحلّ صاحبه يظلم الـقلب، ولا يمكن أن يجتمع النور والظلمة، وسيطرد أحدهما الآخر، فـترك هذا الطعام، وعاد لحلقة شيـخه وبه من الجوع ما لا يعلمه إلا الله، وبعـد أن انتهى الدرس إذا بامرأة تأتى، وتكلم الشـيخ كلامًا لم يفهـمه الحاضرون، ثـم قال الشيخ لطالب العلم هذا: يا عـبد الله، ألك رغـبة فى الزواج؟ فـقـال: أتهزأ بى، والله من ثلاثـة أيام ما دخل جـوفى طعام، فكيف أتزوّج؟!!

قال الشيخ: إن هذه المرأة تذكر أن زوجها تُوفى، وترك بنتًا واحدة، وكان ذا ثروة ومال كثـير، وتريد أن يتزوج ابنتـها رجلٌ صالح، يعيش مـعها ومع ابنتهـا، وينمّى المال ويرعاه. فقال: إن كـان كذلك فلا بأس. فخـرج الشيخ والتلميذ والمرأة والحاضرون يسيرون حتى دخلوا البيت الذى دخله هذا الشاب من قبل، فلما وُضع الطعام بكى هذا الشاب، فقال له الشيخ: لِمَ تبكى؟ هل أكرهناك عـلى الزواج؟ قال: لا، ولكنى قـبل سُويعات دخلت هـذا البيت؛ لآكل من هذا الطعام الذى وُضِعَ بين أيدينا، فـتذكرت أنه حرام فتـركته لله، فـأعـاده الله إلىّ، ومعـه غـيـره عـن طريق حـلال. ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾[1] . والجزاء من جنس العمل.

* * *

---

(١) سورة الطلاق: الآيتان: (٢، ٣).

من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه

قال القاضى أبو بكر بن عبد الباقى بن محمد البزار الأنصارى المتوفى سنة (٥٣٥ هـ) ببغداد:

كنت مجاورًا بمكة - حرسها الله تعالى-، فأصابنى يومًا من الأيام جوع شديد لم أجد شيئًا أدفع به عنى الجوع، فوجدت كيسًا من أبريسم مشدودًا شرابة من إبريسم أيضًا، فأخذته وجئت به إلى بيتى، فحللته فوجدت فيه عقدًا من لؤلؤ لم أر مثله.

فخرجت فإذا بشيخ ينادى عليه، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار، وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأرد عليه الكيس.

فقلت له: تعال إلىّ، فأخذته وجئت به إلى بيتى، فأعطانى علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذى هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه، فسلم إلىَّ خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب علىَّ أن أعيده إليك، ولا آخذ له جزاءً.

فقال لى: لا بد أن تأخذ وألحَّ علىَّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركنى ومضى.

وأما ما كان منى، فإنى خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسَلِمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة فى البحر لا أدرى أين أذهب؟ فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت فى بعض المساجد، فسمعونى أقرأ، فلم يبق فى تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلىَّ وقال: علمنى القرآن، فحصل لى من أولئك شىء كثير من المال.

ثم إنى رأيت فى ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لى: تُحسن تكتب؟

فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاؤوا بأولادهم من الصبيان

والشباب، فكنت أعلمهم، فحصل لى أيضًا من ذلك شىء كثير، فقالوا لى بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة، ولها شىء من الدنيا، نريد أن تتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لا بد، وألزمونى فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إلىَّ، مددت عينى أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا فى عنقها، فما كان لى حينئذٍ شغل إلا النظر إليه.

فقالوا: يا شيخ، كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم؟

فقالوا: ذلك الشيخ الذى أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت فى الدنيا مسلمًا أتقى من هذا الرجل الذى ردَّ علىَّ هذا العقد.

وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بينى وبينه حتى أزوجه بابنتى.

والآن قد حصلت... قال: فبقيت معها مدة، ورُزقت منها بولدين، ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداى، ثم مات الولدان، فحصل العقد لى، فبعته بمائة ألف دينار، وهذا المال الذى ترونه معى من بقايا ذلك المال.

الدعاء بصالح الأعمال عند الشدائد

قال ﷺ: «**انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.**

قال رجلٌ منهم: اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق[1]

---

(١) وقوله: (لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً): أى: ما كنت أقدّم عليهما أحدًا فى شُرب نصيبهما عشاء من اللبن.

الغبوق: شُرب العشاء. الصبوح: شُرب أول النهار.

فلم أرح: أى: فلم أرجع. يتضاغون: أى: يصيحون ويستغيثون من الجوع.

قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بى طلب الشجر يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرج شيئًا لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلىَّ، وفى رواية: «كُنت أحبها كأشدّ ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها، فامتنعت منى حتى ألَّت بها سَنَة من السنين، فجاءتنى، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها»، وفى رواية: «فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقِّه، فانصرفت عنها وهى أحبُّ الناس إلىَّ وتركت الذهب الذى أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم استأجرت أُجَراء وأعطيتهم أجرهم غير رجلٍ واحد ترك الذى له وذهب، فثمَّرت أجره حتى كَثُرَت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ إلىَّ أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بى، فقلت: لا أستهزأ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[(١)].

هذه القصة ترشدنا إلى سبيل الخلاص عندما تحيط بنا الكربات، وينقطع حبل الرجاء من العباد، ففى هذه الأحوال هناك باب من لا ينقطع منه الرجاء، فهو حاضر أبدًا، وقادر أبدًا، يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف

(١) صحيح: اخرجه البخارى (٤/ ٢٢١٥/ فتح) البيوع/ باب: إذا اشترى شيئًا لغيره، ومسلم (٢٧٤٣) فى الذكر والدعاء / باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة.

السوء، وقد أخبرنا رسولنا ﷺ في هذا الحديث بقصة أصحاب الغار الذين وقعت صخرة على فم غارهم فأغلقته، فتوسل كل واحد منهم إلى ربه بأرجى عمل عَمِله، ودعا الله به، فاستجاب الله دعاءهم، وكشف بلاءهم، وفرج كربهم.

فأين عملك الصالح (أخي الحبيب) الذي تعده ليوم الشدائد؟

كلمات على فراش الموت

قيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(١) ثم مات.

ولما حضرت معاذاً رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك. اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حِلَق الذكر.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: وا حزناه، فقال: بل وا طرباه، غداً نلقى الأحبَّة محمداً وحزبه.

وحُكى أن هارون الرشيد انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾(٢).

هكذا كانوا يرون الحقيقة الكبرى (الموت) واضحة جلية جلاء الشمس في رابعة النهار.

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٤).

(٢) سورة الحاقة: الآيتان: (٢٨-٢٩).

بل هذا الإمام ابن الجوزى يبكى عند الموت فيقول له تلاميذه: يا إمام ت قد فعلت كذا وكذا؟! فقال: والله إننى أخشى أن أكون فرطت ونافقت فيحق علىَّ قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1].

ثم قال: ولقد تاب على يدىَّ فى مجالس الذكر أكثر من مائتى ألف. وأسلم على يدىَّ أكثر من مائتى نفس.

وكم سالت عين متجبرٍ بوعظى لم تكن تسيل. ويحق لمن تلمَّح هذا لإنعام أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظرى إلى تقصيرى وزللى.

ولقد جلست يومًا فرأيت حولى أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا مَن قد رَقَّ قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسى: كيف بك إن نجوا وهلكت: فصحت بلسان وجدى: إلهى وسيدى إن قضيت علىَّ بالعذاب غدًا فلا تُعلمهم بعذابى، صيانة لكرمك لا لأجلى، لئلاً يقولوا: عذَّب الله مَن دَلَّ عليه.

* * *

(١) سورة الزمر: الآيتان: (٤٧-٤٨).

وأخيرًا

فـإنى أسأل الله (جل وعـلا) أن يرزقنا الصـدق والإخلاص فى القـول والعمل وأن يوقظ قلوبنا من غفلتها وأن يجعل قلوبنا وجوارحنا تنقاد لطاعته ومرضاته والعمل لنصرة دينه.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



قصص وعبر

(الجزء الثانى)

إنـذار

يقول صاحب هذه القصة:

عشت مرحلتى الدراسية الأولى مع والدى.. فى بيئة صالحة أسمع دعاء ـمى وأنا عائد من سهرى آخر الليل.

أسمع صـوت أبى فى صلاته الطـويلة.. طالما كنت أقف متـعجـبًا من ـونها.. خـاصةً عندما يحلو النوم أيام الشـتاء البارد.. أتعـجب فى نفسى ـقول.. مـا أصبـره.. كل يوم هكذا.. شىء عجيـب، لم أكن أعرف أن ـه هى راحـة المؤمن وأن هذه هى صلاة الأخـيـار.. يهبُّـون من فُرشـهم ـجاة الله.

بعد المرحلة التـى قطعتهـا فى دراستى العسكرية.. ها قـد كبرت وكـبر ـعى بُعـدى عن الله.. على الرغم من النصـائح التى أسـمعـهـا وتطرق ـسامعى بين الحين والآخـر.. عُينت بعد تخـرجى فى مدينة غيـر مدينتى ـتبعد عنها مسافة بعيدة.. ولكن معرفتى الأولى بزملائى فى العمل خففت ـ الغربة على نفسى.. انقطع عن مسـامعى صوت القرآن.. انقطع صوت ـمى التى توقظنى للصلاة وتحثنى عـليها.. أصبحت أعيش وحـيدًا.. بعيدًا عن الجو الأسـرى الذى عشـته من قبل.. تم توجـيهى للعـمل فى مراقـبة ـطرق السـريعة.. وأطراف المدينـة للمحـافظة على الأمن ومـراقبـة الطرق ـمساعدة المحـتاجين.. كان عملى متجددًا وعـشت مرتاحًا.. أؤدى عملى ـجد وإخلاص.. ولكن عشت مرحلة متـلاطمة الأمواج.. تتقاذفنى الحيرة ـى كل اتجاه.. لكثرة فراغى.. وقلة معارفى.

وبدأت أشعر بالملل.. لم أجـد من يعيننى على دينى.. بل العكس هو ـصحيح.. من المشـاهدة المتكررة فى حياتى العمليـة الحوادث والمصابين..

ولكن كان يومًا مميزًا.. في أثناء عملنا توقفت أنا وزميلي على جانب الطريق.. نتجاذب أطراف الحديث.. فجأة سمعنا صوت ارتطام قوي. أدرنا أبصارنا.. فإذا بها سيارة مرتطمة بسيارة أخرى كانت قادمة من الاتجاه المقابل.. قمنا مسرعين لمكان الحادث لإنقاذ المصابين.. حادث لا يكاد يوصف.. شخصان في السيارة في حالة خطيرة.. أخرجناهما من السيارة، ووضعناهما ممدين.. أسرعنا لإخراج صاحب السيارة الثانية.. الذي وجدناه فارق الحياة.. عدنا للشخصين فإذا هما في حالة الاحتضار.

هَبَّ زميلي يلقنهما الشهادة.

قولوا: لا إله إلا الله. لا إله إلا الله.

لكن ألسنتهما ارتفعت بالغناء.. أرهبني الموقف.. وكان زميلي على عكسي يعرف أحوال الموت.. أخذ يعيد عليهما الشهادة.. وقفت مُنصتًا.. لم أحرك ساكنًا شاخص العينين أنظر.. لم أرَ في حياتي موقفًا كهذا.. بل قل لم أرَ الموت من قبل وبهذه الصورة.. أخذ زميلي يردد عليهما كلمة الشهادة.. وهما مستمران في الغناء..

لا فائدة..

بدأ صوت الغناء يخفت شيئًا فشيئًا. سكت الأول وتبعه الثاني.. لا حِراك.. فارقا الدنيا.

حملناهما إلى السيارة.. وزميلي مطرق لا ينبس ببنت شفة.. سرنا مسافة قطعها الصمت المطبق. قطع هذا الصمت صوت زميلي فذكر لي حال الموت وسوء الخاتمة.. وأن الإنسان يُختم له إما بخير أو شر.. وهذا الختام دلالة لما كان يعمله الإنسان في الدنيا غالبًا.. وذكر لي القصص الكثيرة التي رويت في الكتب الإسلامية.. وكيف يُختم للمرء على ما كان عليه بحسب ظاهره وباطنه.

قطعنا الطريق إلى المستشفى فى الحديث عن الموت والأموات. وتكتمل الصورة عندما أتذكر أنا نحمل أمواتًا بجوارنا.. خفت من الموت واتعظت من الحادثة.. وصليت ذلك اليوم صلاة خاشعة.. ولكن نسيت هذا الموقف بالتدريج.

بدأت أعود إلى ما كنت عليه.. وكأنى لم أشاهد الرجلين وما كان منهما.. ولكن للحقيقة أصبحت لا أحب الأغانى.. ولا أتلهف عليها كسابق عهدى.. ولعل ذلك مرتبط بسماعى لغناء الرجلين حال احتضارهما.

من عجائب الأيام.. بعد مدة تزيد على ستة أشهر.. حصل حادث عجيب.. شخص يسير بسيارته سيرًا عاديًّا.. وتعطلت سيارته.. فى أحد الأنفاق المؤدية إلى المدينة.

ترجَّل من سيارته لإصلاح العطل فى أحد العجلات.. عندما وقف خلف سيارته، لكى يُنزل العجلة السليمة جاءت سيارة مسرعة، وارتطمت به فى الخلف سقط مصابًا إصابات بالغة.

حضرت أنا وزميل آخر غير الأول، وحملناه معنا فى السيارة وقمنا بالاتصال بالمستشفى لاستقباله.

شاب فى مقتبل العمر، متدين يبدو ذلك من مظهره عندما حملناه سمعناه يُهمهم، ولعجلتنا فى سرعة حمله لم نميز ما يقول، ولكن عندما وضعناه فى السيارة وسرنا. سمعنا صوتًا مميزًا.

إنه يقرأ القرآن، وبصوت ندى، سبحان الله لا تقول هذا مصاب، الدم قد غطى ثيابه، وتكسرت عظامه، بل هو على ما يبدو على مشارف الموت.

استمر يقرأ بصوت جميل يرتل القرآن، لم أسمع فى حياتى مثل تلك القراءة، كنت أحدث نفسى وأقول سألقنه الشهادة مثل ما فعل زميلى الأول،

خاصة وأن لى سابق خبرة كما أدَّعى، أنصتُّ أنا وزميلى لسماع ذلك الصوت الرخيم، أحسست أن رعشة سرت فى جسدى، وبين أضلعى فجأة، سكت ذلك الصوت التفتُّ إلى الخلف، فإذا به رافع أصبع السبابة يتشهد.

ثم انحنى رأسه.

قفزت إلى الخلف.

لمست يده.

قلبه.. أنفاسه.. لا شىء.. فارق الحياة.

نظرت إليه طويلاً سقطت دمعة من عينى أخفيتها عن زميلى التفتُّ إليه وأخبرته أن الرجل قد مات، انطلق زميلى فى البكاء، أما أنا فقد شهقت شهقة وأصبحت دموعى لا تقف... أصبح منظرنا داخل... السيارة مؤثراً.

وصلنا المستشفى أخبرنا كل من قابلنا عن قصة الرجل... الكثير تأثروا من حادثة موته وذرفت دموعهم، أحدهم بعدما سمع قصة الرجل ذهب وقبَّل جبينه، الجميع أصروا على عدم الذهاب حتى يعرفوا متى يُصلَّى عليه ليتمكنوا من الصلاة عليه.

اتصل أحد الموظفين فى المستشفى بمنزل المتوفى، كان المتحدث أخوه، قال عنه: إنه كان يذهب كل اثنين لزيارة جدته الوحيدة فى القرية وكان يتفقد الأرامل والأيتام، والمساكين، كانت تلك القرية تعرفه فهو يُحضر لهم الكتب والأشرطة الدينية، وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسكر لتوزيعها على المحتاجين.. وحتى حلوى الأطفال لا ينساها ليفرحهم بها، وكان يرد على من يُثنيه عن السفر ويذكر له طول الطريق: إننى أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته وسماع الأشرطة والمحاضرات الدينية، وإننى أحتسب إلى الله كل خطوة أخطوها.

من الغد، غُصَّ المسجد بالمصلين.. صليت عليه مع جموع المسلمين كثيرة، وبعد أن انتهينا من الصلاة حملناه إلى المقبرة، أدخلناه فى تلك الحفرة الضيقة، وجَّهوا وجهه للقبلة، بسم الله وعلى ملة رسول الله، بدأنا نهيل عليه التراب.

اسألوا لأخيكم التثبيت فإنه يُسأل.

استقبل أول أيام الآخرة، واستقبلت أول أيام الدنيا، تبت مما عملت عسى الله أن يعفو عما سلف وأن يثبتنى على طاعته وأن يختم لى بخير، وأن يجعل قبرى وقبر كل مسلم روضة من رياض الجنة[١].

إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم

عن إبراهيم النخعى قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد، فنزل فى جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل بالفتى، فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مُسماة لابن عمٍ لها، فلما اشتد عليهما ما يقاسياته من ألم الهوى أرسلت إليه الجارية: قد بلغنى شدة محبتك لى، وقد اشتد بلائى بك. فإن شئت زرتك، وإن شئت سهَّلت لك أن تأتينى إلى بيتى، فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين **﴿قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**[٢]، أخاف نارًا لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهيبها، فلما بلغها الرسول قالت: وأراه مع هذا يخاف الله!! والله ما أحد أحق بهذا من أحد، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، وجعلت تتعبد[٣].

---

(١) الزمن القادم. عبد الملك القاسم (ص: ٣٠-٣٦) بتصرف.

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٥).

(٣) العفة ومنهج الاستعفاف (ص: ١١٢).

أيها الأخ الحبيب: إذا حدثتك نفسك بأى معصية فيا ليتك ترفع شعار ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[(١)] .

إنه شعار لا يرفعه إلا من وصل إلى مرتبة الإحسان، وهى: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

صدقوا ما عاهدوا

- يقول «أنس بن مالك»: غاب عمى «أنس بن النضر» عن قتال يوم بدر فقال: غبت عن أول قتال مع رسول الله ﷺ لئن أشهدنى الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون - انهزموا - فقال:- اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل هؤلاء يعنى -المشركين - وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المسلمين - ثم -مشى بسيفه فلقيه (سعد بن معاذ) فقال: أى سعد، والله إنى لأجد ريح الجنة دون أحد! ثم قاتل حتى قُتل، فقال سعد يا رسول الله ﷺ ما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، فما عرفناه حتى جاءت أخته فعرفته ببنانه - رؤوس -الأصابع قال أنس فكنا نتحدث أن هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ نزلت فيه وفى أصحابه[(٢)] .

* وفي رواية: أنه لما شاع خبر مقتل النبى ﷺ ألقى بعض الصحابة أسلحتهم فمرَّ بهؤلاء أنس بن النضر وقد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ ، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله. ثم قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المسلمين- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعنى

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٠٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩٠٣) كتاب الإمارة.

ـشـركين - ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال أين يا أبا عمر؟ فقال أنس واهًا
ـريح الجنة يا سعد إنى أجده دون أُحد . . . ثم مضى فقاتل القوم حتى قُتل
ـما عُرف حتى عرفته أختــه بعد نهاية المعركة ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين
طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم[١].

فهذا أنس بن النـضر رضي الله عنه يقوده صدقه إلى تلك الخـاتمة السعيدة فـيجد
ريح الجنة قبل أن يقاتل.

وهكذا فإن العبـد إذا صدق مع الله، فإن الله يحفظ عليـه إيمانه ويثبت
ـه على التوحيد ويرزقه حسن الخاتمة.

بل هو خير لكم

قال تعالى: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٢].

طُرد الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة، فأقام فى المـدينة دولة ملأت سمع التاريخ
ـصره.

سُجن أحـمد بن حنـبل وجُلد، فصـار إمام السنة، وحُـبس ابن تيمـية
فأخرج من حبسه علمًا جمًّا، ووُضع السرخسى فى قعر بئر معطلة، فأخرج
عشرين مجلدًا فى الفقه.

سجنت فرنسا قبل ثورتهـا العارمة شاعرين مجيدين (متفـائلاً ومتشائمًا)
فأخرجا رأسيـهما من نافـذة السجن. فأمـا المتفائل فنظـر نظرة فى النجوم
فضحك، وأما المتشائم فنظر إلى الطين فى الشارع المجاور فبكى.

فاعلـم أيها الأخ الحبـيب: أن الله (جل وعلا) أرحم بك من رحـمة الأم
بطفلها الرضيع. . فإذا جاءك البلاء فاحمد الله عليه واعلم أن الخير كل الخير
فيما يختاره ويقدره الله لك وإن لم تظهر لك الحكمة من وراء هذا البلاء.

---

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) سورة النور: الآية: (١١).

موت على الطريق

شاب يقول: كنت غافلاً عن الله، بعيدًا غارقًا فى لُجج المعاصى والآثام، فلما أراد الله لى الهداية قدَّر لى حادثًا أعادنى إلى رشدى وردَّنى إلى الصواب.. ففى يوم من الأيام وبعد أن قضينا أيامًا جميلة فى نزهة عائلية فى مدينة الدمام، انطلقت بسيارتى عبر الطريق السريع بين الدمام والرياض ومعى أخواتى الثلاث، وبدلاً من أن أدعو بدعاء السفر المأثور استفزنى الشيطان بصوته وأجلب علىَّ بخيله ورَجِله وزيَّن لى سماع الأغانى لأظل سادرًا غافلاً عن الله، ولم أكن حينذاك أحرص على سماع إذاعة القرآن الكريم، أو الأشرطة الإسلامية النافعة للمشايخ والعلماء؛ لأن الحق والباطل لا يجتمعان فى قلب واحد أبدًا.

إحدى أخواتى كانت صالحة مؤمنة ذاكرة لله حافظة لحدوده، طلبت منى أن أُسكت الأغانى وأستمع إلى صوت الحق، ولكن أنَّى لى أن أستجيب لذلك، وقد استحوذ علىَّ الشيطان وملك علىَّ جوارحى وفؤادى، فأخذتنى العزة بالإثم فرفضت طلبها وقد شاركنى فى ذلك أختاى الأخرتان، وكررت أختى المؤمنة طلبها، فازددت عنادًا وإصرارًا، وأخذنا نسخر منها ونحتقرها، بل إنى قلت لها ساخرًا: إن أعجبك الحال وإلا أنزلتك على قارعة الطريق!! فصمتت أختى على مضض وقد كرهت هذا العمل بقلبها وأدَّت ما عليها، والله سبحانه وتعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

وفجأة حصل ما لم يكن فى الحسبان وبقدر من الله سبق، انفجرت إحدى عجلات السيارة ونحن نسير بسرعة شديدة، فانحرفت السيارة عن الطريق وهوت فى منحدر جانبى فأصبح أسفلها أعلاها بعد أن انقلبت عدة مرات، وأصبحنا فى حالٍ لا يعلمها إلا الله العلى العظيم، فاجتمع الناس

حول سيارتنا المنكوبة، وقام أهل الخير بإخراجنا من بين الحطام والزجاج المتناثر، ولكن ما الذى حدث؟ لقد خرجنا جميعًا سالمين، إلا من بعض الإصابات الخفيفة ما عدا أختى المؤمنة الصابرة المحتسبة الطيبة فقد توفيت، نعم لقد ماتت أختى الحبيبة التى كنا نستهزئ بها واختارها الله إلى جواره، وإنى لأرجو أن تكون فى عداد الشهداء الأبرار وأسأل الله أن يرفع منزلتها ويعلى درجتها فى جنات النعيم.

أما أنا فقد بكيت على نفسى قبل أن أبكى على أختى، وانكشف عنى الغطاء فأبصرت حقيقة نفسى، وما كنت فيه من الغرور والغفلة والضياع، وعلمت أن الله جل وعلا قد أراد بى خيرًا وكتب لى عمرًا جديدًا لأبدأ حياة جديدة ملؤها الإيمان بالله والعمل الصالح.

وكلما تذكرت أختى أذرف دموع الحزن والندم، وأتساءل فى نفسى: هل سيغفر الله لى؟ فأجد الجواب فى كتاب الله - عز وجل- فى قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**(١) انتهت القصة!!

هذا ما تفعله الغفلة عن الله، واتباع سبيل الشيطان والاستماع إلى الأغانى، حيث إن صاحبها فى سُكْرٍ دائم يجعله غافلاً عن ذكر الله، ولقد حرم الله الغناء فى مكة المكرمة قبل الهجرة وقبل أن تُفرض كثير من الفرائض، وقبل أن تُحرم سائر المحرمات من خمرٍ وغيره، وذلك لخطورته على الأخلاق والسلوك، وذلك لكى يشب القلب ويُبنى على الطهارة والفضيلة من البداية.

وأضرار الغناء لا يجهلها عاقل، فهو يفسد العقل وينقض الحياء، ويهدم المروءة، وهو سبب ذهاب الغيرة ونور الإيمان من القلوب، ويقرب من يستمعه من الشيطان ويبعده عن الله وهو بريد الزنا والفواحش، وهو الذى ألهى الأمة

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

عن القرآن وعن الذكر وعن الطاعة وأنبت النفاق فى قلوب مستمعيه.

والغناء محرم بالكتاب والسنة... فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[١].

قال ابن مسعود فى تفسير هذه الآية: «والله الذى لا إله إلا الله إنه الغناء» وأقسم على ذلك ثلاث مرات.

وقال ﷺ: «ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحرَ والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم - أى: جبل - يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم الفقير لحاجة فيقولون ارجع إلينا غداً فيُبيتهم الله ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»[٢]. والحِر: المقصود به الزنا، والمعازف: هى آلات الطرب.

فلو كان الغناء والمعازف حلالاً لما ذمَّهما رسول الله ﷺ باستحلالهما، ولما جعل عقوبتهما كعقوبة من يستحل الخمر والزنا، ولما توعد بهذا الوعيد الشديد، فمن استمع الغناء فهو مُهدَّد بهذه العقوبة الفظيعة فى الدنيا قبل عذاب الآخرة.

فالله سبحانه وتعالى خلق السمع لنسمع به ما ينفع وما يرضى الله، فلماذا تسمع به ما يغضب ربنا من ساقط الكلام وردىء الأشعار؟ أهذا هو شكر النعمة؟! أما يخشى العاصى من عقوبة الله؟! هل نسينا الموت وسكرته والقبر وظلمته والصراط ودقته والحساب وشدته؟! ألسنا مسلمين؟! إن المسلم لم يُخلق لتوافه الأمور كاللهو واللعب وسماع الغناء، وإنما خُلق ليعبد الله وينشر دينه ويجاهد فى سبيله[٣].

---

(١) سورة لقمان: الآية: (٦).

(٢) صحيح: رواه البخارى تعليقًا وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٤٦٦).

(٣) قصص وآثار. ناصر الفهيد (ص: ٥-٩) بتصرف.

إرادة فولاذية

ذهب طالب من بلاد الإسلام يدرس فى الغرب - وفى لندن بالذات - فسكن مع أسرة بريطانية كافرة، ليتعلم اللغة، فكان متدينًا، وكان يستيقظ مع الفجر الباكر، فيذهب إلى صنبور الماء ويتوضأ، وكان الماء باردًا، ثم يذهب إلى مُصلاه، فيسجد لربه ويركع ويسبح ويحمد، وكانت عجوز فى البيت تلاحظه دائمًا، فسألته بعد أيام: ماذا تفعل؟ قال: أمرنى دينى أن أفعل هذا. قالت: فلو أخرت الوقت الباكر حتى ترتاح فى نومك ثم تستيقظ. قال: لكن ربى لا يقبل منى إذا أخرت الصلاة عن وقتها، فهزت رأسها، وقالت: إرادة تكسر الحديد!! ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾[1] .

إنها إرادة الإيمان، وقوة اليقين، وسلطان التوحيد. هذه الإرادة هى التى أوحت إلى سحرة فرعون، وقد آمنوا بالله رب العالمين فى لحظة الصراع العالمى بين موسى وفرعون، قالوا لفرعون: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾[2] . وهو التحدى الذى ما سُمع بمثله، وأصبح عليهم أن يؤدوا هذه الرسالة فى هذه اللحظة، وأن يبلغوا الكلمة الصادقة القوية إلى هذا الملحد الجبار.

* لقد دخل حبيب بن زيد إلى مسيلمة الكذاب يدعوه إلى التوحيد، فأخذ مسيلمة يقطعه بالسيف قطعة قطعة، فما أنَّ ولا صاح ولا اهتز حتى لقى ربه شهيدًا ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[3] .

* ورُفع خُبيب بن عدى على مشنقة الموت، فأنشد:

---

(١) سورة النور: الآية: (٣٧).

(٢) سورة طه: الآية: (٧٢).

(٣) سورة الحديد: الآية: (١٩).

ولست أبالى حين أُقتل مسلمًا

على أى جنبٍ كان فى الله مصرعى(١)

ربما صحّت الأجسام بالعلل

ذكر أهل السير: أن رجلاً أصابه الشلل، فأُقعد فى بيته، ومرت عليه سنوات طوال من الملل واليأس والإحباط، وعجز الأطباء عن علاجه، وبلّغوا أهله وأبناءه، وفى ذات يوم نزلت عليه عقرب من سقف منزله، ولم يستطع أن يتحرك من مكانه، فأتت إلى رأسه وضربته برأسها ضربات ولدغته لدغات، فاهتز جسمه من أخمص قدميه إلى مشاش رأسه، وإذا بالحياة تدب فى أعضائه، وإذا بالبرء والشفاء يسير فى أنحاء جسمه، وينتفض الرجل ويعود نشيطًا، ثم يقف على قدميه، ثم يمشى فى غرفته، ثم يفتح بابه، ويأتى أهله وأطفاله، فإذا الرجل واقفًا، فما كانوا يصدقون، وكادوا من الذهول يُصعقون، فأخبرهم الخبر.

فسبحان الذى جعل علاج هذا الرجل فى هذا!!

وفى السماء رزقكم

قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(٢).

لكننا نجد كثيراً من الناس يتعجلون الحصول على الرزق من الحرام مع أنهم لو صبروا لنالوا هذا الرزق من الحلال.

تُذكرنى هذه القصة بقصة لعلى ﷺ وقد دخل مسجد الكوفة ليصلى ركعتى الضحى، فوجد غلامًا عند الباب، فقال: يا غلام، احبس بغلتى حتى أصلى. ودخل علىٌّ المسجد، وهو يريد أن يعطى هذا الغلام درهمًا عند

(١) لا تحزن. الشيخ عائض القرنى (ص: ٢٥٣ - ٢٥٤).

(٢) سورة الذاريات: الآية: (٢٢).

خروجه من المسجد جزاء حبسه للبغلة، فلما دخل عليٌّ المسجد، أتى الغلام إلى خطام البغلة، فاقتلعه من رأسها وذهب به إلى السوق ليبيعه، وخرج عليٌّ فما وجد الغلام، ووجد البغلة بلا خطام، فأرسل رجلاً في إثره، وقال: اذهب إلى السوق، لعله يبيع الخطام هناك. وذهب الرجل، فوجد هذا الغلام يبيع الخطام، فاشتراه بدرهم، وعاد يخبر عليًّا، قال: سبحان الله! والله لقد نويت أن أعطيه درهمًا حلالاً، فأبَى إلا أن يكون حرامًا.

طعامٌ بطعامٍ

كان شيخ كريم، فقير في حاله لكنه لا يرد سائلاً قط، ولطالما لبس الجبة أو الفروة، فلقى رجلاً يرتجف من البرد، فنزعها فدفعها إليه وعاد إلى البيت بالإزار، وطالما أخذ السفرة من بين أولاده فيعطيها السائل، وفي يوم من أيام رمضان وقد وُضعت المائدة انتظارًا للأذان فجاءه السائل يقسم أنه وعياله بلا طعام، فابتغى الشيخ غفلة من امرأته وفتح له وأعطاه الطعام كله، فلما رأت ذلك امرأته صرخت وأقسمت - من الغضب - أنها لا تبقى عنده بينما هو ساكت، ولم تمر نصف ساعة حتى قرع الباب وجاء من يحمل الأطباق فيها ألوان الطعام والحلوى والفاكهة، فسألوا: ما الخبر؟ وإذا به يقول أن أحد الأغنياء كان قد دعا بعض الكبار فاعتذروا، فغضب وحلف ألا يأكل أحد من الطعام، وأمر بحمله كله إلى دار الشيخ الفقر الكريم.

أخي الحبيب: أنفق ولا تخشَ الفاقة فلقد قال (جل وعلا) كما في الصحيحين: **«أنفق أُنفق عليك»** وقال تعالى: **﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**(١).

وقال ﷺ: «ثلاثٌ أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة...»(٢).

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

ويرزقه من حيث لا يحتسب

دخل أحد السلف أحد المزارع وكان جائعًا مُتعبًا فشدته نفسه لأن يأكل، وبدأت المعدة تقرقر فأطلق عينيه فى الأشجار فرأى تفاحة، فمد يده إليها ثم أكل نصفها بحفظ الله ورعايته، ثم شرب من ماء النهر بجانب المزرعة، لكن انتبه بعد ذلك من غفلته بسبب الجوع، وقال لنفسه: ويحك! كيف تأكل من ثمار غيرك دون استئذان. . . وأقسم ألا يرحل حتى يدرك صاحب المزرعة يطلب منه أن يحلل له ما أكل من هذه التفاحة، فبحث حتى وجد داره، فطرق عليه الباب، فلما خرج صاحب المزرعة، استفسر عن ما يريد.

قال صاحبنا: دخلت بستانك الذى بجوار النهر وأخذت هذه التفاحة وأكلت نصفها، ثم تذكرت أنها ليست لى وأريد منك أن تعذرنى فى أكلها، وأن تسامحنى عن هذا الخطأ.

فقال الرجل: لا أسامحك ولا أسمح لك أبدًا إلا بشرط واحد.

قال صاحبنا: وهو ثابت بن النعمان: وما هو هذا الشرط؟

قال صاحب المزرعة: أن تتزوج ابنتى.

قال ثابت: أتزوجها!

قال الرجل: ولكن انتبه، إن ابنتى عمياء لا تبصر، خرساء لا تتكلم، وصماء لا تسمع.

وبدأ ثابت بن النعمان يفكر ويقدر - أنعِم بها من ورطة - ماذا يفعل؟ ثم علم أن الابتلاء بهذه المرأة وشأنها وتربيتها وخدمتها خير من أن يأكل الصديد فى جهنم، جزاء ما أكله من التفاحة وما الأيام وما الدنيا إلا أيامًا معدودات، فقبل الزواج على مضض وهو يحتسب الأجر والثواب من الله رب العالمين.

وجاء يوم الزفاف وقد غلب الهم على صاحبنا كيف أدخل على امرأة لا تتكلم ولا تبصر ولا تسمع، فاضطرب حاله وتمنى أن لو ابتلعته الأرض قبل هذه الحادثة، ولكنه توكل على الله، وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ودخل عليها يوم الزفاف، فإذا بهـذه المرأة تقوم إليه، وتقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فلما نظر إليها، تذكر ما يتخيله عن الحور العين فى الجنة.

قال بعد صمت: ما هذا؟ إنها تتكلم وتسمع وتبصر فأخبرها بما قال عنها أبوها.

قالت: صدق أبى، ولم يكذب.

قال: اصدقينى الخبر.

قالت: أبى قال عنى: إننى خرسـاء؛ لأننى لم أتكلم بكلمة حرام، ولا تكلمت مع رجل لا يحل لى، وإننى صماء لأننى ما جلست فى مجلس فيه غيبة ونميمة ولغو، وإننى عمياء؛ لأننى لم أنظر إلى أى رجل لا يحل لى.

فانظر واعتبر بحال هذا الرجل التقى وهذه المرأة التقية وكيف جمع الله بينهما.

محنة واختبار

قال الراوى: أخبـرنى أحد أعـيان مدينة الرياض أنـه فى عام ١٣٧٦هـ، ذهب مجـموعـة من البحـارة من أهل الجبيـل إلى البحر، يريـدون اصطياد السمك، ومكثوا ثلاثة أيام بلياليهـن لم يحصلوا على سمكة واحدة، وكانوا يصلون الصلوات الخمس، وبجانبـهم مجموعة أخرى لا تسـجد لله سجدة، ولا تصلى صلاة، وإذا هم يصيدون، ويحصلون على طلبهم من هذا البحر، فقال بعض هؤلاء المجموعة: سبحان الله! نحن نصلى لله - عز وجل - كل

صلاة، وما حصلنا على شيء من الصيد، وهؤلاء لا يسجدون لله سجدة وها هو صيدهم!!

فوسوس لهم الشيطان بترك الصلاة، فتركوا صلاة الفجر، ثم صلاة الظهر، ثم صلاة العصر، وبعد صلاة العصر أتوا إلى البحر فصادوا سمكة، فأخرجوها وبقروا بطنها، فوجدوا فيها لؤلؤة ثمينة، فأخذها أحدهم بيده، وقلبها ونظر إليها، وقال: سبحان الله! لما أطعنا الله ما حصلنا عليها، ولما عصيناه، حصلنا عليها!! إن هذا الرزق فيه نظر.

ثم أخذ اللؤلؤة ورمى بها فى البحر، وقال: يعوضنا الله، والله لا آخذها وقد حصلت لنا بعد أن تركنا الصلاة، . . . هيا ارتحلوا بنا من هذا المكان الذى عصينا الله فيه، فارتحلوا ما يقارب ثلاثة أميال، ونزلوا هناك فى خيمتهم، ثم اقتربوا من البحر ثانية، فصادوا سمكة الكنعد، فبقروا بطنها فوجدوا اللؤلؤة فى بطن تلك السمكة، وقالوا: الحمد لله الذى رزقنا رزقًا طيبًا. بعد أن بدؤوا يصلون ويذكرون الله ويستغفرونه، فأخذوا اللؤلؤة. اهـ[١].

لا خير فى مُلك لا يساوى شربة ماء

دخل ابن السماك الواعظ على هارون الرشيد، فظمئ هارون وطلب شربة ماء، فقال ابن السماك: لو مُنعت هذه الشربة يا أمير المؤمنين، أتفتديها بنصف مُلكك؟ قال: نعم. فلما شربها، قال: لو مُنعت إخراجها، أتدفع نصف ملكك لتخرج؟ قال: نعم. قال ابن السماك: فلا خير فى مُلك لا يساوى شربة ماء.

أجل والله إن الحياة لا تستحق أن نحزن على فواتها. . . فالدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل لا تساوى عند الله جناح بعوضة فلماذا الحزن عليها، فالحياة لا تستحق الحزن.

---

(١) لا تحزن (ص: ٤٢٦ - ٤٢٧).

قال نابليون فى «سانت هيلينا»: «لم أعرف ستة أيام سعيدة فى حياتى»!!

قال هشام بن عبد الملك - الخليفة - : «عددت أيام سعادتى فوجدتها ثلاثة عشر يومًا».

وكان أبوه عبد الملك يتأوه ويقول: «يا ليتنى لم أتولَّ الخلافة».

قال سعيد بن المسيب: الحمد لله الذى جعلهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم.

كما تزرع تحصد

إن الذى تزرعه هنا، ستحصده هناك، وما أدراك ما هناك. يوم أن تدخل قبرك وحدك فتجد هناك حصاد الخير الذى زرعته فى الدنيا، أو تجد حصاد الشر الذى زرعته فى الدنيا، فإن كنت تريد النجاة من النيران وإن كنت تريد النعيم فى الجنان، والفوز برضوان الرحيم الرحمن -جلَّ وعلا-، فعليك أن تغتنم كل لحظة من عمرك فى غرس الخير؛ لتجنى حصاده فى الآخرة.

ها هو رجل كان له عبد يعمل فى مزرعته، فيقول هذا السيد لهذا العبد: ازرع هذه القطعة (بُرًّا)... وذهب وتركه، وكان هذا العبد لبيبًا عاقلاً، فما كان منه إلا أن زرع شعيرًا بدل (البُرِّ) ولم يأتِ ذلك الرجل إلا بعد أن استوى وحان وقت حصاده، فجاء فإذا هى قد زُرعت شعيرًا، فما كان منه إلا أن قال: أنا قلت لك ازرعها بُرًّا لِمَ زرعتها شعيرًا؟ قال: رجوت من الشعير أن ينتج بُرًّا، قال: يا أحمق! أَوَ ترجو من الشعير أن ينتج بُرًّا؟!!

قال: يا سيدى أفتعصى الله وترجو رحمته، أفتعصى الله وترجو جنته، فذُعر وخاف واندهش، وتذكر أنه إلى الله قادم، فقال: تبت إلى الله وأنبت إلى الله، أنت حرٌّ لوجه الله.

* * *

من كان لله كما يريد كان الله له كما يريد

كان رئيس مرو وقاضيها رجل اسمه: نوح بن مريم، وكان له نِعَمٌ كثيرة وحال موفور، وكانت له بنت ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، خطبها منه جماعة من أكابر الرؤساء وذوى النعمة وأكثروا فلم ينعم بها لأحد منهم، وتحيَّر فى أمرها ولم يدر لأيهم يزوجها، وقال: إن زوَّجتها بفلان أسخطتُ فلانًا.

وكان له غلام هندى ديِّن تقى اسمه: مبارك، وكان له بستان عامر غامر الأشجار والفاكهة والثمار، فقال للغلام: أريد أن تمضى وتحفظ البستان، فمضى وأقام فى البستان شهرين، فجاء سيده فى بعض الأيام إلى البستان فقال له: يا مبارك، ناولنى عنقود عنب، فناوله عنقودًا فوجده حامضًا، فقال له سيده: أعطنى غير هذا، فناوله عنقودًا حامضًا، فقال سيده: ما السبب فى أنك لا تناولنى من هذا البستان الكبير إلا الحامض.

فقال: لأنى لا أعلم الحامض من الحلو.

فقال سيده: سبحان الله! لك مدة شهرين مقيمًا فى البستان، ولا تعرف الحلو من الحامض.

فقال: والله يا سيدى إننى ما ذقته ولا أعلم أحامض هو أم حلو، فقال: لِمَ لم تأكل منه؟

فقال: لأنك أمرتنى بحفظه ولم تأمرنى بأكله، فما كنت أخونك.

فتعجب القاضى منه وقال: حفظ الله عليك أمانتك، وعلم القاضى أن الغلام غزير العقل، فقال له: أيها الغلام قد وقع لى فيك رغبة وينبغى أن تفعل ما آمرك، فقال الغلام: أنا طائع لله ثم لك، فقال القاضى: اعلم أن لى بنتًا جميلة، وقد خطبها كثير من الأكابر والمتقدمين ولم أعلم لمن أزوجها، فأشِر علىَّ بما ترى.

فقال الغلام: اعلم أن الناس فى زمن الجاهلية كانوا يريدون الأصل

والحسب والنسب، واليهود والنصارى يطلبون الحسن والجمال، وفى عهد رسول الله ﷺ كان الناس يطلبون الدين والتقى، وفى زمننا هذا يطلبون المال، فاختر الآن من هذه الأشياء الأربعة ما تريد.

فقال له القاضى: يا غلام، قد اخترت الدين والتقى، وأريد أن أزوجك ابنتى؛ لأنى قد وجدت فيك الدين والصلاح، وجربت منك التقى والأمانة.

فقال الغلام: أيها السيد، أنا عبد رقيق هندى، وابتعتنى بمالك، كيف تزوجنى بابنتك وكيف تختارنى لابنتك وترضانى؟

فقال له القاضى: قم بنا إلى البيت لندبر هذا الأمر، فلما صارا إلى المنزل قال القاضى لزوجته: اعلمى أن هذا الغلام الهندى دَيِّنٌ تقى، وقد رغبت فى صلاحه وأريد أن أزوجه بابنتى فما تقولين؟

قالت: الأمر إليك، ولكن أمضى وأُعلم الصبية وأعيد عليك جوابها، فجاءت الأم إلى الصبية فأدت إليها رسالة أبيها فقالت: ما أمرتمانى به فعلته وما أخرج عن حكم الله وحكمكما ولا أعقكما بالمخالفة لأمركما.

فزوَّج القاضى ابنته بمبارك وأعطاهما مالاً عظيمًا، وكان من ثمرة هذا الزواج المبارك عبد الله بن المبارك صاحب العلم والزهد ورواية الحديث وما دامت الدنيا فالحديث عنه يُروى.

سبحان الله عَفَّ المبارك عن رمانة من البستان فسيق إليه البستان وصاحبته، والجزاء من جنس العمل، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، ومن هذا البيت خرج شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك الذى كان يقول: لأن أردَّ درهمًا من شبهة خير لى من أن أتصدق بمائة ألف درهم، ومائة ألف درهم، حتى عد ستمائة ألف درهم ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾[1].

من كان لله كما يريد كان الله له كما يريد.

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٥٨).

أيها الأخ الحبيب: إن تقوى الله ومراقبته وخشيته في السر والعلن من أعظم الأسباب الميسرة للعفاف، فعليك بتقوى الله وسوف يسوق الله (عز وجل) لك زوجة صالحة تعينك على أمر دينك ودنياك.

(الله أكبر)... نداء أحيا قلبًا ميتًا

قال الشاب التائب ما مُلخصه: مَرَّ عشرون خريفًا من عمرى وأنا بظلام دامس، أتخبط خبط العشواء، لا أحس للدنيا طعمًا، المال كثير أخلائى كثير، ماذا ينقصنى؟ فى نفسى جوعة وفى صدرى ضيق، ماذا يُشبع تلك الجوعة ومن ذا يشرح هذا الضيق؟ لم تشبع نفسى قط، المعازف لم تشرح صدرى، على العكس تمامًا فالجوعة زادت، والضيق ازداد، بدلت أخلائى، سافرت وعدت، سهرت كثيرًا وشربت، ولهوت كثيرًا وتعبت، والجوعة دائمًا تزداد والضيق كذلك، أحسست كأنى مسجون فى دنياى، وأن الأرض برحابتها ضاقت، فكرت كثيرًا وطويلاً، وأخيرًا ظهر الحل.. الآن سأشعر بالراحة، وهذه سكينى بيدى تلمع باسمة راضية عن هذا الحل، الناس هجوع والأهل نيام، لم يبق سوى لحظات وأعيش ساعات الراحة.

لكن وأنا فى تلك اللحظات وسكينى فى يدى تقترب من قلبى الميت، جاء من أقصى الصمت صوت يسعى ويقول: الله أكبر.. الله أكبر. سقطت سكينى من يدى، وتحرك قلب الميت، وكأنه كان بغيبوبة، واستيقظ بعد طول سبات، ويح نفسى ماذا جَدَّ؟ أغريب هذا الصوت؟ عشرون خريفًا تسمعه، أما أحسست معناه إلا الآن! وشرعت أحقق رغبة نفسى بإجابة هذا الصوت، أخذت وَضوءًا [1] وبدأت وُضوئى أسلت الماء على وجهى المرهق.. فارتاح

(١) الوضوء هو الماء الذى يتوضأ به، أما الوضوء بضم الواو فهو نفس الفعل.

..رَاح براحته نفسى، خرجت إلى الشارع متجهًا نحو المسجد، والكون مخيف بهدوئه، لا صوت يعلو لا ضوضاء.. دخلت المسجد مع تثويب[١] صلاة الفجر.. وقفت فى الصف مع الناس.. طراز من الناس لم أعهده حياتى.. وجوه بيضاء يشع منها نور، ونفوس طيبة مرتاحة.

تقدم بين الناس إمام أقبل عليهم بوجهه يحثهم على تسوية الصف، شرعت أصلى خلفه.. ونفسى مرتاحة، وصدرى مشروح، بدأ يقرأ آيات ..نا أنصت، فى تلك اللحظات نزلت دمعة أحسست ملوحتها، وشعرت ..سعتها، أجهشت ببكاء صادق، صنع فى نفسى أزيزًا كأزيز المرجل، فنزل الدمع غزيرًا، وسال على خدى، وسقى أرضًا جدباء فى قلبى الميت، فأحيا بهذا الدمع، - بعد كلام الله - موت فؤادى، وكان بمعية هذا الغيث، صوت نحيبى وبكائى من خشية رب الناس[٢].

نعم أيها الحبيب: إنه لا راحة ولا نعيم إلا فى ظل الإيمان والطاعة.. أما سمعت قول الله (عز وجل): **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٣].

أما سمعت قول رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان مَن رضى بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً»[٤].

وقوله ﷺ: «ثلاث مَن كُن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما....»[٥].

---

(١) التثويب هو: إقامة الصلاة، وهو المقصود هنا، ويطلق التثويب كذلك على قول المؤذن: «الصلاة خير من النوم».

(٢) من رسائل الدعوة الإسلامية جامعة الإسكندرية.

(٣) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٣٤) كتاب الإيمان.

(٥) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٦) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

ويرزقه من حيث لا يحتسب

وقد ذكر التنوخي في كتابه «الفرج بعد الشدة» ما يناسب هذا المقام: أن رجلاً ضاقت عليه الحيل، وأُغلقت عليه أبواب المعيشة، وأصبح ذات يوم هو وأهله لا شيء في بيتهم، قال: فبقيت أنا وأهلي اليوم الأول جوعى وفي الثاني، فلما دنت الشمس للمغيب، قالت لي زوجتي: اذهب وانطلق، والتمس لنا رزقًا أو طعامًا أو أكلاً، فقد أشرفنا على الموت. قال: فتذكرت قريبة لي امرأة، فذهبت إليها، وأخبرتها الخبر، قالت: ما في بيتنا إلا هذه السمكة وقد أنتنت قلت: عليَّ بها، فإنَّا قد أشرفنا على الهلاك، وذهبت بها وبقرت بطنها، فأخرجت منها لؤلؤة، بعتها بآلاف الدنانير، وأخبرت قريبتي، قالت: لا آخذ معكم إلا قسمي. قال: فاغتنيت فيما بعد، وأثثت من ذلك بيتي، وأصلحت حالي، وتوسعت في رزقي. فهو لطف الله سبحانه وتعالى ليس غيره.

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[1].

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[2].

وهو الذي يُنزل الغيث من بعد ما قنطوا

حدثنا أحد الفضلاء من العُباد: أنه كان بأهله في الصحراء، في جهة البادية، وكان عابدًا قانتًا منيبًا ذاكرًا لله. قال: فانقطعت المياه المجاورة لنا، وذهبت ألتمس ماءً لأهلي، فوجدت أن الغدير قد جَفَّ، فعدت إليهم، ثم التمسنا الماء يمنة ويسرة، فلم نجد ولو قطرة، وأدركنا الظمأ، واحتاج أطفالي للماء، فتذكرت رب العزة - سبحانه - القريب المجيب، فقمت فتيممت، واستقبلت القبلة وصليت ركعتين، ثم رفعت يدي وبكيت، وسالت

(١) سورة النحل: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٩).

دموعى، وسألت الله بإلحاح، وتذكرت قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ.....﴾[١] الآية، ووالله ما هو إلا أن قمت من مقامى، وليس فى السماء من سحاب ولا غيم، وإذا بسحابة قد توسطت مكانى ومنزلى فى الصحراء، واحتكمت على المكان، ثم أنزلت ماءها، فامتلأت الغدران من حولنا وعن يميننا وعن يسارنا، فشربنا واغتسلنا وتوضأنا، وحمدنا الله سبحانه وتعالى، ثم ارتحلت قليلاً خلف هذا المكان، وإذا الجدب والقحط، فعلمت أن الله ساقها لى بدعائى، فحمدت الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٢][٣] .

وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها

يُحكى أن ابن أبشاذ النحوى كان يومًا على سطح جامع مصر وهو يأكل شيئًا وعنده ناس، فحضرهم قطٌ فقدموا له لقمة فأخذها فى فمه وغاب عنهم ثم عاد إليهم، فرموا له شيئًا آخر ففعل كذلك وتردد مرارًا وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب، ثم يعود من فوره حتى عجبوا من ذلك القط، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته، فلما شكوا فى أمره تبعوه فوجدوه يصعد إلى حائط فى سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضع بين خراب وفيه قط آخر أعمى وكل ما يأخذ من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله.

فعجبوا من تلك الحال، فقال ابن أبشاذ: إذا كان هذا حيوان أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلى؟!!

---

(١) سورة النمل: الآية: (٦٢).

(٢) سورة الشورى: الآية: (٢٨).

(٣) لا تحزن (ص: ٤٢٩).

بل لقد رأى رجل عصفوراً صغيراً يحمل طعامًا فى فمه ويصعد إلى نخلة عالية ثم يرجع ويأخذ طعامًا ويصعد به إلى تلك النخلة فصعد الرجل إلى بناية عالية ليرى ما يصنع ذلك العصفور فإذا به يرى العصفور قد وقف أما حية عمياء ويُصدر لها صوتًا فتفتح فمها فيضع لها الطعام فى فمها فتعجب الرجل وقال: إذا كان الله (عز وجل) سخَّر عصفوراً لتلك الحية فكيف أحمل هم الرزق وأنا من أهل التوحيد والإيمان.

أليس الله بكافٍ عبده؟

وذكر بزر جمهر حكيم فارس: أن عجوزاً فارسية كان عندها دجاج فى كوخ مجاور لقصر كسرى الحاكم، فسافرت إلى قرية أخرى، فقالت: يا رب أستودعك الدجاج. فلما غابت، عدا كسرى على كوخها ليوسع قصره وبستانه، فذبح جنوده الدجاج، وهدموا الكوخ، فعادت العجوز فالتفتت إلى السماء وقالت: يا رب، غبت أنا فأين أنت! فأنصفها الله وانتقم لها، فعدا ابن كسرى على أبيه بالسكين فقتله على فراشه.

العلماء.. وزمن العزة

قدم هشام بن عبد الملك حاجًّا إلى مكة، فلما دخلها قال: ائتونى برجل من الصحابة. فقيل: يا أمير المؤمنين قد تفانوا. قال: فمن التابعين، فأتوه بطاوس اليمانى، فلما دخل عليه، خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلم بإمرة أمير المؤمنين، ولكن قال: السلام عليك. ولم يُكنِّه ولكن جلس بإزائه. قال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب هشام غضبًا شديداً، حتى همَّ بقتله، فقيل له: أنت فى حرم الله ورسوله، فلا يمكن ذلك فقيل له: يا طاوس! ما الذى حملك على ما صنعت؟ قال: وما الذى صنعت؟! فازداد هشام غضبًا، وقال: لقد خلعت نعليك بحاشية بساطى، ولم تُقبل يدى، ولم تسلم بإمرة أمير المؤمنين ولم تُكننى

ـجست بإزائى بغير إذنى، وقلت: كيف أنت يا هشام، فقال: أمـا ما خلعت ـعى بحاشية بساطك؛ فإنى أخلـعها بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات، ـلا يعـاتبنى ولا يغضب علىَّ. وأما قولك: لم تُقـبل يدى؛ فإنى سمعـت أمير ـؤمنين على بن أبى طـالب ﷺ يقول: لا يحل لرجـل أن يقبل يد أحـد، إلا ـرأته من شهوة أو ولده برحمة، وأما قولك: لم تسلم بإمرة أمير المؤمنين، فليس ـل الناس راضيـن بإمرتك، فكرهت أن أكذب، وأما قـولك: جلست بإزائى؛ ـإنى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل ـن أهل النار، فانظر إلى رجل جالس وحوله ناس قيام، وأما قولك: لم تكننى ـإن اللـه عز وجل سمـى أولياءه، وقال: يا داود، يا يـحيى، يا عيـسى، وكنى ـعداءه، فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾. فقال هشام: عظنى. فقـال: سمعت أمير ـؤمنين عليًّا ﷺ يقول: «إن فى جهنم حيات كأمثال القلال، وعقارب كالبغال، ـلدغ كل أميرٍ، لا يعدل فى رعيته»، ثم قام وذهب[(١)].

كلمة الحق أغلى من كل شيء

رُوى أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخارى، فدخل المدينة ليزورَ أخًا له، وكان غلمـان الأمير نـصر بن محـمد، ومعهم المُغَنُّون والملاهى، يخرجون من داره، فلما رآهم أبو غيـاث الزاهد قال: يا نفس، وقع أمرٌ إن سكتِّ فأنت شـريكةٌ. فرفع رأسه إلى السـماء واستـعان بالله وأخذ العـصا فَحَمَلَ عليهم حملةً واحدة، فولُّوا منهزمين مدبرين إلى دار السلطان، وقصُّوا على الأميـر، فـدعـا بـه، وقـال له: أما علمتَ أنه من يخرج على السلطان يتـغدى فى السـجن؟ فقـال له أبو غيـاث: أما علمت أنه من يخـرج على الرحمن يتعـشَّى فى النيران؟ فقال له: من ولاك الحسبـة؟ فقال: الذى ولاك

(١) مواعظ ومواقف للعلماء والصالحين أمـام الحكام والسلاطين، ص(٦٢) نقلاً من كتاب نزهة الناظرين لعبيد الضرير.

الإمارة. فقال الأمير: ولانى الخليفةُ. فقال أبو غياث: ولانى الحسبة ربُّ الخليفة. فقال الأمير: ولَّيتُكَ الحسبةَ بسمرقند. فقال: عزلتُ نفسى عنها. فقال الأميرك العجَب فى أمرِك، تحتسب حين لم تؤمر، وتمتنع حيث تؤمر؟! قال: لأنك إن وليتنى عزلتنى، وإذا ولانى ربى لم يعزلنى أحد. فقال الأمير: سل حاجتك؟ فقال: حاجتى أن تردَّ علىّ شبابى! فقال: ليس ذلك إلىّ فهل لك حاجة أخرى؟ قال: أن تكتب إلى مالكٍ خازنِ النار أن لا يعذبنى. قال ليس لى ذلك أيضًا. قال: هل لك حاجة أخرى؟ قال: أن تكتب إلى رضوان خازن الجنان يدخلنى الجنة. قال: ليس ذلك إلىّ أيضًا. قال أبو غياث فإنها مع الربّ الذى هو مالك الحوائج كلها، لا أسأله حاجة إلا أجابنى إليها. فخلّى الأميرُ سبيله[1].

ما ذنب البخارى؟ وما حيلة العلماء؟!!

لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة، وتوالتِ الهزائم على مصر -لوقوع الخلاف بين قُواد جيوشها- ضاق صدر الخديوى لذلك، فركب يومًا مع شريف باشا، وهو مُحرج، فأراد أن يفرج عن نفسه، فقال: لشريف باشا: ماذا تصنع حينما تلم بك مُلمة تريد أن تدفعها؟ فقال: يا أفندنيا، إن الله عودنى إذا حاق بى شىء من هذا أن ألجأ إلى «صحيح البخارى»، يقرؤه لى علماء أطهارُ الأنفاس، فيفرج الله عنى. قال: فكلَّم شيخ الأزهر، وكان الشيخ العروسى فجمع له من صلحاء العلماء جمعًا، أخذوا يتلون فى البخارى أمام القبلة القديمة فى الأزهر. قال: ومع ذلك، ظلت أخبار الهزائم تتوالى، فذهب الخديوى ومعه شريف باشا إلى العلماء، وقال لهم محنقًا: إما أن هذا الذى تقرءونه ليس بـ«صحيح البخارى»، أو أنكم لستم

---

(١) انظر كتاب «من أخلاق العلماء».

العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح؛ فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئًا. فَوَجَم العلماء لذلك. وابتدره شيخ من آخر الصف يقول له: منك يا إسماعيل، فإنا روينا عن النبى ﷺ ، أنه قال: **«والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده ثم لتدعنَّه فلا يستجيب لكم»**[١].

وانصرف الخديوى ومعه شريف باشا، ولم يَنبسَا بكلمة. وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه. فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد دعا يسأل: أين الشيخ القائل للخديوى ما قال؟ فقال: أنا. فأخذه وقام، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يَلُومون الشيخ يُودِّعونه وداع من لا يأملون أن يرجع. وسار شريف باشا بالشيخ إلى أن دخلا على الخديوى فى قصره، فإذا به قاعد فى البهو وأمامه كرسى، أجلس عليه الشيخ وقال: أَعِد يا أستاذ ما قلته لى فى الأزهر. فأعاد الشيخ كلمته وردد الحديث وشرحه، فقال له الخديوى: وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟ قال له: يا أفندينا، أليست المحاكم المختلطة قد فُتحت بقانون يُبيح الربا؟! أليس الزنا برخصة؟! أليس الخمر مباحًا؟! وعدد له منكراتٍ تجرى بلا إنكارٍ، وقال: فكيف تنتظر النصر من السماء؟! فقال الخديوى: وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب، وهذه مدنيَّتهم؟ قال: إذن، فما ذنب البخارى، وما حيلة العلماء؟! ففكر الخديوى مليًّا، وأطرق طويلاً، ثم قال: صدقت. وأمر، فرُتِّبت له فى الرزنامجة ثلاثون جنيهًا[٢].

* * *

(١) حسن: رواه أحمد والترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٠٧٠).

(٢) من كتاب «من أخلاق العلماء» بتصرف.

الحمد لله على نعمة الإسلام

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (١).

فأعظم وأجلّ نعمة فى الكون كله هى نعمة الإسلام.. واعلم أخى الحبيب أننا يجب علينا جميعًا أن نفتخر بأننا ننتسب لهذا الدين العظيم فيكون لسان حالنا ومقالنا فى كل وقت:

أبى الإسلام لا أب لى سواه

إذا افتخروا بقيس أو تميم

وها هو شاب أظهر هويته الإسلامية وافتخر بانتسابه لهذا الدين فأكرمه الله (عز وجل) ويسر له كل أسباب الخير.

يُحدث أحد الشباب وهو من الذين ذهبوا للدراسة فى أوروبا أن هناك رجلاً أسلم من الأوروبيين وحَسُن إسلامه وصار حريصًا على تطبيق شعائر الإسلام كلها... حريصًا على أن يُظهر إسلامه ويعتز به أمام الكفار دون خجل أو حياء أو تردد حتى ولو لم يكن هناك مناسبة فإنه يحرص على ذلك يقول: فأُعلن فى إحدى المؤسسات الكافرة عن فرصة وظيفية فتقدم لها هذا المسلم الفخور بإسلامه وكان لابد من المقابلة الشخصية والتنافس قائم على هذه الوظيفة فلما بدأت المقابلة سألته اللجنة الخاصة بالمؤسسة عدة أسئلة كان منها هل تشرب الخمر؟ فأجاب قائلاً: لا أشرب الخمر لأننى أسلمت ودينى يمنعنى من معاقرة الخمر وشربها. قالت اللجنة: «هل لك خليلات وصديقات؟» قال صاحبنا: «لا.. لأن دينى الإسلام الذى أنتسب إليه يحرم علىَّ ذلك ويقصر علاقتى على زوجتى التى نكحتها بمقتضى شريعة الله عز وجل» وخرج وهو شبه يائس من أن ينجح فى هذه المسابقة ولكن النتيجة أن

(١) سورة المائدة: الآية: (٣).

جميع هؤلاء المتسابقين وكان عددهم كبيرًا فشلوا ونجح هو وحده فى هذه المسابقة فذهب إلى مسئول اللجنة وسأله قائلاً: «كنت أنتظر أن تحرمونى من هذه الوظيفة عقابًا لى على مخالفتى لكم فى دينكم وعلى اعتناق الإسلام، ولكنى فوجئت بقبولى على إخوانكم من النصارى فما سر ذلك؟! قال: إن المرشح لهذه الوظيفة كان يُشترط فيه أن يكون شخصًا منتبهًا فى جميع الحالات حاضر الذهن، والشخص الذى يتعاطى الخمر لا يمكن أن يكون كذلك، فكنا نترقب شخصًا من الذين لا يشربون الخمر ونظرًا لتوفر هذا فيك فلقد وقع الاختيار عليك فى هذه الوظيفة.

فما الذى منع هذا المسلم من أن يكذب أو يخفى أمره أو يتلاعب بالألفاظ؟... إنها التقوى فما كان من بركة الله للمتقين أمثاله إلا التيسير والرزق من حيث لا يحتسبون.

هكذا كانت نخوة الرجال

* وها هى أم سلمة ﵂ تحكى قصة هجرتها إلى المدينة المنورة وتحكى قصة الابتلاء الشديد الذى تعرضت له عند الهجرة وتقول: لما أجمع أبو سلمة ﵁ الخروج إلى المدينة، (أى فى الهجرة)، رَحَّل لى بعيره، ثم حملنى عليه، وجعل معى ابنى «سلمة بن أبى سلمة» فى حجرى، ثم خرج يقود بى بعيره. فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، وأخذونى منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا ابنى «سلمة» بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد

الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففُرِّق بيني وبين ابني وبين زوجي.

قالت: فكنت أخرج كل غداة، فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبًا منها، حتى مَـرَّ بي رجل من بني عمي (أحد بني المغيرة) فرأى ما بي، فرحمني.

فقال لبنـي المغيرة: ألا تُخرجون هذه المسكينة، فرَّقـتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟

قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئتِ.

قالت: فردَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلتُ بعـيري، ثم أخـذت ابني، فوضعـته في حـجري، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحـد من خلق الله حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عـثمان ابن طلحة بن أبي طلحة.

فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلـت: أريد زوجي بالمدينة قال: أَوَ مَا معك أحد ؟ قلت: ما معي إلا الله وبنَيَّ هذا.

فقال: والله ! ما لك من مَترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوى بي، فوالله ! ما صحبتُ رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه. وكان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر بعيري، فحطَّ عنه، ثم قيَّده في الشجر، ثم تنحَّى إلى شجرة، فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدَّمه فرحَّله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت فـاستويت على بعيري أتي فأخذ بخطامـه، فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة.

فلمـا نظر إلى قرية بني عـمرو بن عـوف بقباء، قـال: زوجك في هذه

القرية - وكان أبو سلمة بها نازلاً - فادخليها على بركة الله.. ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة؛ وما رأيتُ صاحبًا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة[1].

نهاية ذئب بشرى

كانت هناك طالبة جامعية فى عمر الزهور فى العشرين من عمرها.. حسنة وعاطفية ومن عائلة متواضعة، ذات أخلاق كريمة، وكانت لها صديقة تحبها حبًّا شديدًا وكانت تلك الصديقة لها أخٌ ليس عنده أى رصيد من الدين أو الخلق فاستطاع بمكره أن يستميل قلب تلك الفتاة وأخذ يداعبها بكلامه المعسول حتى أخذت تلك الفتاة تذوب من كلامه.

وأخذ يخطط للإيقاع بتلك الفتاة البريئة فى مصيدته.. وبعد مراوغة وتخطيط ووعود كاذبة استطاع أن يوقع تلك الفريسة السهلة وأن يسلبها أعز ما تملكه أى فتاة فى هذه الحياة.

وأحست تلك الفتاة بضياع مستقبلها بل وضياع دينها بعد أن أصبحت حاملاً من الزنى... وظلت تتصل بهذا الذئب؛ لكى ينفذ وعوده لها بالزواج، ولكنه كان يتهرب منها.... وبدأت أعراض الحمل تظهر عليها وأحست الفتاة بأن الأرض ضاقت عليها بما رحبت وضاقت عليها نفسها ماذا تصنع فى تلك المصيبة؟!

وأخذت تطارده فى كل مكان حتى استطاعت أن تكلمه، وأن تطلب منه أن يتزوجها فما كان منه إلا أن فكر فى فكرة لا تخطر على قلب إبليس..

ترى ما هى تلك الفكرة؟

---

(1) البداية والنهاية (٣/ ١٦٩)، ابن هشام (٢/ ٧٥، ٧٦).

قال لتلك الفتاة: أنا على استعداد لأن أتزوجك ولكن بشرط أن تأتى غداً الساعة الرابعة إلى الشاليه الذى أمـتلكه فى المكان الفلانى؛ لتقابلى أمى فإن رأتك أمى ووافقت على زواجى منك فسوف أتزوجك.

وفى نفس الوقت اتفق الذئب مع مـجمـوعة من الذئاب البشـرية؛ لكى يذهبوا إلى الشاليه فى نفـس الموعد؛ ليغتصبوا تلك الفـتاة، ثم يدخل عليها بعد ذلك ليقول لها: أنا لا أستطيع أن أتزوج من فتاة فُعل بها كل هذا.

ووافقت الفـتاة على الذهاب إلى الشاليه فى المـوعد المحدد ظنًّا منها أن الله هداه وأن سيستر عرضها.. لكنها لم تكن تعلم ماذا يدبر لها.

وفى الموعد المحدد قامت تلك الفتاة؛ لتذهب إلى الشاليه للقـاء والدته -كما كان يزعم- وإذا بأخيها يصاب بألم شديد فى بطنه فكانت بين نارين.. بين أن تذهب إلى الشاليه وبين أن تذهب بأخيها الوحيد إلى المستشفى، فما كان منها إلا أن اتصلت بصديقتـها - أخت ذلك الذئب - وقالت لها: إننى على موعـد الآن مع والدتك فى الشاليـه ولكن أخى مريض وسأذهب مـعه إلى المستـشفى فأرجـو منك أن تذهبى إلى الشاليـه؛ لتخـبرى والدتك أننى سأحضر إليها بعد ساعة، فوافقت أخت هذا الشاب وهى لا تعرف ما يدبره أخوها لتلك الفتاة.

وذهبت أخت هذا الذئب إلى الشاليه ظنًّا منها أن أمها هناك وهى لا تعرف؛ لأن أمـها فى هذا الوقت كانت خارج البـيت، المهم أنها ذهبت إلى الشـاليه وبمجـرد أن دخلت؛ حـتى انقضَّ عليـها الذئاب وانتـهكوا عرضهـا وسلبوها أغلى ما تملكه أى فـتاة وتركوها جثة هـامدة.. وبعد ساعة من الزمن جاء هذا الذئب؛ ليرى مـا صنعوه بتلك الفتاة، وليكون هذا المشـهد مبـرراً له؛ لأن يرفض الزواج منهـا... ولكن كانت أكـبر مفاجأة فى انتظاره!!!

دخل الذئب وسأل أصحابه: ماذا صنعتم ؟ قالوا: فعلنا كل ما طلبت منا ...دة.. وها هى بالداخل جثة هامدة من شدة الاعتداء عليها.. فدخل ...ظر إلى الفتاة وإذا بها أخته ملقاة فى حالة بئيسة فلم يستطع أن يتكلم كلمة ...حدة، بل خرج صامتًا وأصحابه يكلمونه وهو لا يرد عليهم حتى وصل ...ى سيارته وفتح الباب، ثم دخل السيارة، وفتح التابلوه وتناول مسدسًا ...طلق الرصاص على نفسه، فمات فى التو واللحظة... ولا يحيق المكر ...سيئ إلا بأهله.

أهدى هذه القصة لكل شاب يعيش علاقة محرمة مع أى فتاة: أقول له: ...ق الله فى أعراض المسلمات واعلم أنه كما تدين تدان، والجزاء من جنس ...عمل.

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

كم رأينا أناسًا يسعى الواحد منهم ليدبر لأخيه المكائد والمصائب؛ ولكن ...ء الله -جل وعلا- أن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

* حُكى أن خدم بعض الملوك وجدوا طفلاً فى الطريق؛ فالتقطوه فأمر ...ث بتربيته وضمه إلى أهل بيته وسماه (أحمد اليتيم)، فلما نشأ ظهرت ...يه أمارات النجابة والذكاء فهذبه وعلمه ولما حضرته الوفاة أوصى به ولى ...هد فضمه إليه واصطفاه وأخذ عليه العهد أن يكون له وفيًا وخادمًا أمينًا ...عد ذلك قدمه فى أعماله فصار حاكمًا على جميع حاشية الأمير ومتصرفًا ...ى شؤون قصره. وفى أحد الأيام أمره أن يُحضر شيئًا من بعض حجراته ...ذهب ليحضر فرأى بعض جوارى الأمير الخاصة به مع شاب من الخدم ...سنان ويزنيان، فتوسلت إليه الجارية أن يكتم هذا الخبر ووعدته بكل ما ...حب وراودته عن نفسه لتأمن شره فقال لها: معاذ الله أن أخون الأمير أزنى

وقد أحسن إليَّ؟! ثم تركها وانصرف على أن يكتم السر ولكن الجارية أوجست فى نفسها خيفة وتوهمت أن أحمد اليتيم سيفشى أمرها للأمير فما كان إلا أن انتظرت الأمير حتى حضر إلى قصره ثم ذهبت إليه باكية شاكية فسألها ما خبرها؟ فقالت: إن أحمد اليتيم راودها عن نفسها وكان يريد أن يقهرها على الزنا فلما سمع الأمير ذلك غضب واشتد غضبه وعزم على قتله ثم دبر قتله فى الخفاء حتى لا يعلم الناس بقتله وبسبب هذا القتل.

فقال لكبير خدمه: إذا بعثت إليك أحدًا بطبق يطلب منك كذا وكذا فاقطع رأسه وضع الرأس فى الطبق وابعث بها إليَّ فأجاب الخادم بالسمع والطاعة وفى يوم من الأيام أحضر الأمير أحمد اليتيم، وقال له: اذهب إلى فلان الخادم وقل له: يعطيك كذا وكذا. فامتثل الأمر وذهب إلا أنه لقى فى طريقه بعض الخدم فأرادوا أن يُحكموه بينهم فى أمر فاعتذر وقال: إنه مكلف بقضاء أمر الأمير فقالوا: نبعث فلانًا الخادم نائبًا عنك ليحضر ما تطلبه حتى تفصل فى شأننا فأجابهم إلى ما طلبوا فأرسلوا واحدًا منهم هو الشاب الذى سبق له الزنا بالجارية فلما ذهب أخذه رئيس الخدم إلى المكان الذى أعده ثم قطع رأسه على غرة ثم وضعها فى الطبق وغطاها وجاء بها إلى الأمير فلما أبصر الطبق رفع الغطاء فرأى رأسًا غير رأس أحمد اليتيم فأحضر الأمير أحمد اليتيم فسأله عما فعل فأخبره بما كان فقال الأمير: أتعرف لهذا الخادم ذنبًا؟ فقال: نعم إنه فعل كذا وكذا مع الجارية وعاد وقد سألانى بالله أن أكتم الخبر فلما سمع الأمير ذلك أمر بقتل الجارية وعاد إلى ما كان عليه من محبة أحمد وإكرامه، وكانت هذه عاقبة الوفاء ونهاية الخيانة: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾[1].

* * *

(١) سورة فاطر: الآية: (٤٣).

الجزاء من جنس العمل

اعلم أيها الأخ الكريم أنه كما تدين تدان، وكما تزرع تحصد.

ذكر العلماء أن رجلاً كان عنده والد كبير، فتأفف من خدمته ومن القيام بأمره، فأخـذه وخرج إلى الصحراء؛ ليذبحه، فلمـا وصل إلى صخرة أنزله هناك فقال: يا بنى! ماذا تريد أن تفعل بى؟

قال: أريد أن أذبحك.

قال: يا بنى! هذا جزاء الإحسان؟

قال الابن: لا بد من ذبحك فقد أسأمتنى وأمللتنى . .

فقال الأب: يا بنى! إن أبيت إلا ذبحى فاذبحنى عند الصخرة التالية ولا تذبحنى هنا أو هناك؟

قال الابن: وما ضرك أن أذبحك هنا أو هناك؟!

قال: يا بنى! إن كان الجزاء من جنس العمل فاذبحنى عند الصخرة التالية فقد ذبحت أبى هناك . . ولك يا بنى مثلها.

فاحرص أخى الحبيب على بر الوالدين؛ لتظفر بالخـير فى الدنيا والآخرة فبر الوالدين سبب لتفـريج الكربات ومجلبة للتوفيق فى الدنيـا والآخرة، وهو سبب سعة الـرزق وزيادة العمر وهو سبب للفـوز برحـمة الله ومغفـرته، وهو سبب دخول جنة الرحمن، كما قال سيد الأنام ﷺ : **«الوالد أوسط أبواب الجنة»**[1].

واحذر أخى الحبيب من مغبة العقوق، فالعقوق يجلب لك العقوبة فى الدنيا والآخرة فقد قال ﷺ : **«بابان معجلان عـقوبتهما فى الدنيا: الـبغى والعقوق»**[2] والعقوق من أكبـر الكبائر . . بل إن العاق لا يقبل الله منه صرفًـا ولا عدلاً كما

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٠٠) كـتاب البر والصلة، وابن ماجه (٢٠٨٩) كتـاب الطلاق، وأحمد (٢١٢١٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩١٤).

(٢) صحيح: رواه الحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨١٠).

قال ﷺ : «ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً: عاق ومنان ومكذب بالقدر»[1] . واعلم أنه كما تدين تدان وأن الجزاء من جنس العمل.

وتأمل معى تلك الأبيات التى تجعل القلب يبكى الدماء بدل الدموع.

أغرى امرؤٌ يومًا غلامًا جاهلاً
بنقوده كيما ينال به الوطر
قال ائتنى بفؤاد أمك يا فتى
ولك الجواهر والدراهم والدُّرَر
فمضى وأغرز خنجرًا فى صدرها
والقلبَ أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى
فتدحرج القلبُ المُقطَّع إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو مُعفَّرٌ
ولدى حبيبى هل أصابك من ضرر؟
فكأن هذا الصوت رغم حُنوِّه
غضب السماء على الغلام قد انهمر
فدرى فظيع جناية لم يجنها
ولدٌ سواه منذ تاريخ البشر
فارتد نحو القلب يغسله بما
فاضت به عيناه من سيل العِبَر
ويقول يا قلب انتقم منى ولا
تغفر فإن جريمتى لا تُغتفَر
واستلَّ خنجره ليطعن قلبه
طعنًا فيبقى عبرة لمن اعتبر

(١) حسن: رواه الطبرانى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٦٥).

نــاداه قــلــب الأم كُــفَّ يــدًا، ولا
تطعــن فــؤادى مـــرتين علــى الأثر

لا تُقنط أحدًا من رحمة الله

قال ﷺ : «كـان رجلان فى بنى إسـرائيل متـواخـيان، وكـان أحدهمـا مذنبًـا، والآخر مـجتهـدًا فى العبادة، وكـان لا يزال المجتهـد يرى الآخر على الذنب، فيـقول: أقصر فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلنى وربى، أبُعثت علىَّ رقيبًا؟! فقال: والله لا يغفـر الله لك، أو لا يُدخلك الله الجنة، فقُبض روحهما، فاجـتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بى عالمًا، أو كنت على ما فى يدى قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتى، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»[١] .

اعلم أيها الأخ الحـبيب: أن الهداية منحــة ربانية يقذفـها الله فى قلب من يشاء من عـباده . . . والإنسان لا يملك هدايــة لنفسه فـضلاً عن أن يملك هداية لغيره، فقد قال تعالى لحـبيبه محمد ﷺ : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢] .

فإذا أنعم الله عليك بنعمة الهـداية فاسجد لله شكرًا على أن هداك ويسر لك الهدى، وإذا رأيت عـاصيًـا فما عليك إلا أن تتـذكر قـول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[٣] .

واعلم علم اليقـين أنك لا تدرى بم يُختم لك وله . . . فقد يُخـتم لهذا العاصى بخاتمة أهل السعادة بأن يوفقه الله فى آخر أيامه إلى توبة صادقة تمحو كل ذنوبه وآثامه بل وتبـدل سيئـاته كلها إلى حسـنات . . . وتأمل معى هذا

---

[١] صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠١) كـتاب الأدب، وأحـمد (٨٠٩٣)، من حـديث أبى هريرة ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٥٥).

[٢] سورة القصص: الآية: (٥٦).

[٣] سورة النساء: الآية: (٩٤).

الحديث لتعلم يقينًا أن العبد لا يعرف خاتمته وعليه ألا يأمن على نفسه حتى يضع قدمه فى جنة الرحمن -جل وعلا- قال ﷺ: **«إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يُختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم (له) عمله بعمل أهل الجنة»**[1].

وقال ﷺ: **«إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»**[2].

زاد الإمام البخارى: «وإنما الأعمال بخواتيمها»[3].

إنما المؤمنون إخوة

وها هو سعد بن الربيع الذى تعايش مع كل آية من آيات القرآن ومع كل حديث من أحاديث النبى ﷺ يحقق معنى الأخوة كما أرادها الحق جل جلاله.

فعن أنس ﷺ أنه قال: قَدِم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالاً سأقسم مالى بينى وبينك نصفين ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلَّت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك.

ثم ذهب عبد الرحمن بن عوف إلى السوق وأخذ يبيع ويشترى ويتاجر إلى أن أكرمه الله جل وعلا بشىء من المال فذهب وتزوج فتاة من الأنصار فلقيه النبى ﷺ وقال له: **«هل تزوجت؟»** قال: نعم يا رسول الله. فقال له: **«ما سُقت لها؟»** أى: كم قدمت مهرًا لها.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٥١) كتاب القدر، من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٨٩٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان، من حديث سهل بن سعد الساعدى ﷺ.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٦٤٩٣) كتاب الرقاق، من حديث سهل بن سعد الساعدى ﷺ.

فقال له: وزن نواة من ذهب.

فقال له النبى: «أولم ولو بشاة وأطعم إخوانك»[1] .

فانظر عندما تعفف عبد الرحمن بن عوف ورفض العطاء الذى عرضه عليه سعد بن الربيع عوَّضه الله خيراً كثيراً وتزوج فى وقت قياسى «ومن يستعفف يُعفه الله»[2] فلقد كان زواج المسلمين ميسوراً بأمر الله.

وإن إعجاب المرء بسماحة (سعد)، لا يعدله إلا إعجابه بنُبل (عبد الرحمن) حتى زاحم اليهود فى سوقهم وميدانهم، واستطاع بعد أيام أن يكسب ما يعف به نفسه ويحصن به فرجه.. ذلك أن علو الهمة من خلائق الإيمان.

* على هيئة الأمم المتحدة بنيويورك لوحة، مكتوب عليها قطعة جميلة للشاعر العالمى السعدى الشيرازى، وقد تُرجمت إلى الإنجليزية وهى تدعو إلى الإخاء والألفة والاتحاد، يقول:

قال لى المحبوب لما زُرته
مَن ببابى قلت بالباب أنا

قال لى أخطأت تعريف الهوى
حينما فرقت فيه بيننا

ومضى عام فلما جئته
أطرق الباب عليه موهنا

قال لى من أنت قلت أنظر فما
ثَم إلا أنت بالباب هنا

قال لى أحسنت تعريف الهوى
وعرفت الحب فادخل يا أنا

لابد للعبد من أخٍ مخلص يأنس إليه، ويرتاح إليه، ويشاركه أفراحه وأتراحه.

---

[1] متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٤٩) كتاب البيوع، ومسلم (١٤٢٧) كتاب النكاح.

[2] متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٢) كتاب الزكاة.

يكفيك ذلك واعمل عليه إلى الموت

قال شقيق البلخي يومًا لتلميذه، حاتم الأصم: ما الذى تعلمته منى منذ صحبتنى (٣٠ سنة)؟ فقال حاتم الأصم: ستة أشياء:

الأول: رأيت الناس فى شك من أمر الرزق وما منهم إلا وهو شحيح بما عنده، حريص عليه، فتوكلت على الله لقوله تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ..﴾(١) لأنى من جملة الدواب فلم أشغل قلبى بما تكفل به القوى المتين... فقال له: أحسنت.

الثانى: رأيت لكل إنسان صديقًا يفشى إليه سره ويشكو إليه أمره، ولكنهم لا يكتمون الأسرار، ولا يدفعون مصادمة الأقدار فجعلت صديقى العمل الصالح؛ ليكون لى عونًا عند الحساب ويثبتنى بين يدى الله عز وجل ويرافقنى فى مرورى على الصراط، فقال له: أحسنت.

الثالث: رأيت لكل واحد من الناس عدوًّا فنظرت فإذا الذى اغتابنى ليس عدوى ولا من ظلمنى ولا من أساءنى؛ لأنه إنما يهادينى بحسناته ويتحمل عنى من سيئاتى ولكن عدوى هو الذى إذا كنت فى طاعة الله تعالى أغرانى معصيته، فرأيت أن ذلك هو إبليس والنفس والدنيا والهوى فاتخذتهم أعداء واحترست منهم وأعددت العدة لمحاربتهم فلا أدع واحدًا منهم يقربنى. فقال: أحسنت.

الرابع: رأيت أن كل حى مطلوب وأن ملك الموت عليه السلام هو الطالب ففرغت نفسى لملاقاته حتى إذا ما جاء، بادرت معه بلا عائق.

فقال له: أحسنت.

الخامس: نظرت إلى الناس متحابين ومتباغضين ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئًا، فتأملت سبب المحبة والبغضاء فعلمت أنه الجسد فنفيته عنى بنفى العلائق التى بينى وبينه وهى الشهوات، فأحببت الناس كلهم فلم أرض

(١) سورة هود: الآية: (٦).

إلا ما رضيته لنفسي... فقال له: أحسنت.

السادس: رأيت أن كل ساكن لا بد له من مفارقة سكنه وأن مصير كل ساكن إلى القبر، فأعددت كل ما قدرت عليه من الأعمال التي تسرني في المسكن الجديد الذي ما وراءه إلا الجنة أو النار، فقال له شقيق البلخي: يكفيك ذلك واعمل عليه إلى الموت.

نعمة اليقين

قال ابن وهب: كان حيوة يأخذ عطاءه في السنة ستين ديناراً، فلا يطلع إلى منزله حتى يتصدق بها، ثم يجيء إلى منزله فيجدها تحت فراشه، وبلغ ذلك ابن عم له فتصدق به كله وجاء إلى تحت فراشه فلم يجد شيئاً فشكا إلى حيوة فقال: أنا أعطيته ربي بيقين وأنت أعطيته تجربة[1].

ولما قَتل أحمد بن عبد الله الخجستاني - الذي استولى على البلاد - الإمام حكيان بن الذهلي، أخذ في الظلم والعسف، وأمر بحربة رُكزت على رأس المربعة، وجمع الأعيان وحلف إن لم يصبُّوا الدراهم حتى يغيب رأس الحربة فقد أحلوا دماءهم، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم، فخُصَّ تاجر بثلاثين ألف درهم، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم، فحملها إلى أبي عثمان وقال: قد حلف هذا كما بلغك، ووالله لا أهتدي إلا إلى هذا. قال: تأذن لي أن أفعل فيها ما ينفعك؟ قال: نعم. ففرقها أبو عثمان وقال للتاجر: امكث عندي. فما زال أبو عثمان يتردد بين السكة والمسجد ليلته حتى أصبح، وأذن المؤذن، ثم قال لخادمه: اذهب إلى السوق وانظر ماذا تسمع، فذهب ورجع، فقال: لم أرَ شيئاً، قال: اذهب مرة أخرى. وهو في مناجاته يقول: وحقك لا أقمت ما لم تفرج عن المكروبين. قال: فأتى

---

(١) السير (٦/٤٠٦).

خادمه الفرغاني يقول: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[(١)] شُقَّ بطن أحمد بن عبد الله، فأخذ أبو عثمان في الإقامة.

قال الذهبي: بمثل هذا يعظم مشايخ الوقت[(٢)].

هكذا كانوا يصلون

سُئل الحسن رضي الله عنه: كيف كنتم تصلون على عهد رسول الله ﷺ؟

قال: كنا نصلي وكأننا وقوف على الصراط وكأن الجنة عن اليمين والنار عن الشمال والكعبة من أمامنا وملك الموت من خلفنا ينتظر قبض أرواحنا بعد تلك الصلاة ونحن جميعًا بين يدي الله.. ثم نصلي فإذا سلَّمنا لا ندري أقُبلت صلاتنا أم رُدَّت علينا.

ومر عصام بن يوسف على حاتم الأصم في مجلسه، فقال: يا حاتم تُحسن تصلي؟ قال: نعم. قال: كيف تصلي؟ قال حاتم الأصم: أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله - عز وجل - وأرجع على نفسي بالخوف، أخاف أن لا يقبل الله مني، وأحفظه بالجهد إلى الموت، قال: تكلم فأنت تحسن تصلي.

توبة بشر الحافي (رحمه الله)

كان بشر في زمن لهوه في داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون، فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدق الباب فخرجت إليه جارية، فقال: صاحب هذا الدار حُرٌّ أم عبد؟ فقالت: بل حر. فقال: صدقتِ؛ لو كان عبدًا لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب. فاستمع بِشر محاورتهما، فسارع إلى

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢٥).

(٢) السير (١٤/ ٦٢-٦٦).

الباب حافيًا حاسرًا، وقد ولى الرجل، فقال للجارية: ويحك! مَن كلَّمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى، فقال: أى ناحية أخذ الرجل؟ فقالت كذا. فتبعه بشر حتى لحقه، فقال له: يا سيدى، أنت الذى وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم. قال: أعد عليَّ الكلام. فأعاده عليه، فمرَّغ بِشر خديه على الأرض. فقال: بل عبد. ثم هام على وجهه حافيًا حاسرًا حتى عُرف بالحفاء. فقيل له: لِمَ لا تلبس نعلاً؟ قال: لأنى ما صالحنى مولاى إلى وأنا حافٍ، فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات[1].

عاد إلى الله بعدما رأى يوم القيامة فى منامه

يقول الشاب التائب: فى ليلة من الليالى ذهبت إلى فراشى كعادتى لأنام، فشعرت بمثل القلق يساورنى، فاستعذت بالله من الشيطان الرحيم، ونمت، فرأيت فيما يرى النائم أن شيئًا غريبًا وضخمًا قد وقع من السماء على الأرض لم أتبين ذلك الشيء، ولا أستطيع وصفه، فهو مثل كتلة النار العظيمة رأيتها تهوى، فأيقنت بالهلاك، أصبحت أتخبط فى الأرض، وأبحث عن أى مخلوق ينقذنى من هذه المصيبة، قالوا: هذه بداية يوم القيامة، وأن الساعة قد وقعت، وهذه أولى علاماتها.

فزعت وتذكرت جميع ما قدمت من أعمال: الصالح منها والطالح، وندمت أشد الندم، قرضت أصابعى بأسنانى حسرة على ما فرطت فى جنب الله. قلت والخوف قد تملَّكنى: ماذا أفعل الآن؟ وكيف أنجو؟ فسمعت مناديًا يقول: اليوم لا ينفع الندم. سوف تُجازَى بما عملت، أين كنت فى أوقات الصلوات؟ أين كنت عندما أتتك أوامر الله؟ لِمَ لَمْ تمتثل الأوامر وتجتنب النواهى، كنت غافلاً عن ربك. قضيت أوقاتك فى اللعب واللهو

(١) التوابين (ص٢١٠، ٢١١).

والغناء وجئت الآن تبكى، سوف ترى عذابك.

زادت حسرتى لما سمعت المنادى يتوعدنى بالعذاب، بكيت وبكيت، ولكن بلا فائدة، وفى هذه اللحظة العصيبة استيقظت من نومى، تحسست نفسى فإذا أنا على فراشى.

لم أصدق أنى كنت أحلم فقط حتى تأكدت من نفسى، تنفست الصعداء، ولكن الخوف ما زال يتملكنى، ففكرت وقلت: والله إن هذا إنذار من الله، ويوم الحشر لا بد منه، إذن لماذا أعصى الله؟ ولِمَ لا أصلى؟ لِمَ لا أنتهى عما حرم الله؟ أسئلة كثيرة جالت فى خاطرى، ولم أجد إلا إجابة واحدة: عُدْ إلى الله حتى تنجو فى ذلك اليوم العظيم، أصبح الصباح وصليت الفجر، فوجدت حلاوة الإيمان فى قلبى، وفى ضحى ذلك اليوم نزلت إلى سيارتى، نظرت بداخلها فإذا هى مليئة بأشرطة الغناء أخرجتها، واكتفيت ببعض الأشرطة الإسلامية النافعة، بقيت على هذه الحال فى كل يوم أتقدم خطوة إلى طريق الهداية التى أسأل الله أن يثبتنى وإياكم عليها[١].

ستة أخلاط لذهاب الحزن

ذكر صاحب **«الفرج بعد الشدة»**: أن أحد الحكماء ابتُلى بمصيبة، فدخل عليه إخوانه يعزونه فى المصاب، فقال: إنى عملت دواءً من ستة أخلاط. قالوا: ما هى؟ قال: الخلط الأول: الثقة بالله.

والثانى: علمى بأن كل مقدور كائن.

والثالث: الصبر خير ما استعمله الممتحنون.

والرابع: إن لم أصبر أنا فأى شىء أعمل، ولم أكن أعين على نفسى بالجزع.

والخامس: قد يمكن أن أكون فى شرٍّ مما أنا فيه.

والسادس: من ساعة إلى ساعة فرج.

(١) العائدون إلى الله (ص: ١٤٢، ١٤٣).

الحمد لله الذى أحياه بموت صاحبه

سقطت على الأرض مغشيًّا عليها.

ليست المرة الأولى، فهى تعانى من إرهاق نفسى متواصل منذ أن تزوجت قبل سنتين، لقد أخبروها أنه رجل طيب، وفيه خير.. تستطيعين التأثير عليه لكى يتدارك أمور دينه، ويحافظ على الصلاة مع الجماعة، وأنت يا بنيتى، قد تزوجت أختك الصغرى قبلك، وأعتقد أن هذا هو الأصلح لك.

وأصرت أمى على هذا الخاطب، فهو ميسور الحال، ومن عائلة معروفة، ومركزه الوظيفى جيد.. مظاهر براقة لا تهمنى. فقد سألت عن الدين، هذا ما يهمنى، أريد رجلاً صالحًا يعيننى على الخير وعلى الطاعة، إن أحبنى أكرمنى وإن كرهنى سرّحنى سراحًا جميلاً، فما أكثر ما نسمع من تلك القصص المبكية من ظلم الأزواج ومشاكلهم مع زوجاتهم لقلة الخلق والدين.

كنت أحلم بمن يوقظنى للصلاة فى جوف الليل، كنت أدعو الله فى ظلام الليل ودموعى تتساقط أن يرزقنى الرجل الذى يعيننى على الطاعة وأعيش معه على مرضاة الله نسير سويًّا متجهين إلى الله، نقتفى أثر الرسول ﷺ وأصحابه الطيبين.

كنت أحلم بالرجل الذى يربى أبنائى تربية إسلامية صحيحة، كأننى أقف بالباب أرمقه هو وابنى وهما ذاهبان إلى المسجد، دعوت الله أن يتردد على مسامعى قول زوجى، كم حفظت اليوم من القرآن.

وكم جزءًا قرأت، أحلم أننى أقف بطفلى أمام الكعبة وأدعو له، سأنجب أكبر عدد من الأبناء طالما أن فى ذلك أجرًا، وأننى سأُخرج للدنيا من يوحد الله.. طالما حلمت الأحلام الكثيرة، ولطالما متعت نفسى بتلك الأحلام، الحمد لله على كل حال، احتسبت الأجر وصبرت على زوجى، فى البداية

كان ينهـض للصلاة، مع مرور الأيام بدأ يتـثاقل، ماذا تريدين، الله غفور رحيم. سأصلى. . . الوقت مبكر.

هذا هو الرد السريـع عندما أحثـه على صلاة الجمـاعة حـتى لا تفوته، أحس أنه يتغير مع إلحاحى إلى الأفضل، على الأقل هذا ما أتفاءل به.

كنت أخشى رفقاء السوء فقد حدثنى عن بعضهم، أصبحت أخشى عليه من تأثيرهم، فكرت فى طريقة قد تكون مجدية أكثر من نصحى له، لماذا لا أُعرفه على الشباب الصالح فقد يتأثر بهم، زوج صديقتى شاب طيب وملتزم وصالح إن شاء الله، أسرعت للهاتف، رحبت صديقـتى بالفكرة وشجعت زوجها، أخبرته أن صـديقتى ستأتى ومعهـا زوجها. . بعد أسبوع زارتنى صديقتى هى وزوجها، قلبى يرجف من الفرح، عسى الله أن يُلقى فى قلبه حُبه، كلما طال وقت الزيارة كلما زادت دقات قلبى.

ودعت زميلتـى عند الباب، رجعت إليـه بسرعة، جلست أضغط على أصابعى بقوة، أنتظره يقول شيئًا، نظرت فى عينيه، فقال: لقد كـان لطيفًا وذو خلقٍ عال، ولكنه لم يبد حماسًا للقائهم وللذهاب لهم كما وعدهم بردٍّ الزيارة، حاولت بشتَّى الوسائل والسبل، أن أعينه على المحافظة على الصلاة فى المسجد.

الآن إلحاحى زاد بعد أن أنجبت منه ابنًا. أسـهر الليالى الطويلة لوحدى. هو يقهقـه مع زملائه وأنا أبكى مع طفلى، أكثرت من الدعـاء له بالهداية، قررت أن أصلى صلاة الليل فى غرفتنا بجواره عسى أن يستيقظ قلبه، أحيانًا يسـتـيـقظ ويرانى أصلى، وفى النهـار ألاحظ عليـه أنه يتـأثر من صـلاتى وطولها.

مساء ذلك اليوم أخبـرنى أن أجهز له ثيابه، سيسافـر إلى المدينة الفلانية فى رحلة عمل، لا أعرف صدقه من غيره، غالبًا يسافر ولا يتصل بنا، أحيانًا

أخرى يتصل ويترك رقم غرفته وهاتفه، إذا اتصل عرفت أين هو، لكن أحيانًا كثيرة لا أعلم أين ذهب، ولكنى أحسن الظن بالمسلم إن شاء الله.

فى مدة سفرته سأخصه بالدعاء، فى اليوم التالى لسفره، اتصل بنا هذا رقم هاتفى الحمد لله، اطمأننت أنه فى المملكة.

انقطع صوته ثلاثة أيام، وفى اليوم الرابع أتى صوته، لم أكد أعرفه صوت حزين، ما بك؟! قال: سأعود الليلة إن شاء الله.

فى تلك الليلة لم أنم من كثرة بكائه ماذا جرى لك؟ أخذ فى البكاء كالطفل، ثم تبعته فى البكاء وأنا لا أعلم ماذا به، وبعد فترة سادها الصمت الطويل، أخذ ينظر إلىَّ والدموع تتساقط من عينيه.

مسح آخر دمعة ثم قال: سبحان الله زميلى فى العمل، سافرنا سويًّا لإنجاز بعض الأعمال، ننام فى غرفتين متجاورتين لا يفصلنا سوى جدار واحد، تعشينا ذلك المساء وعلى المائدة، تجاذبنا أطراف الحديث، ضحكنا كثيرًا، لم يكن بنا حاجة للنوم، تمشينا فى أسواق المدينة لمدة ساعتين.

أرجلنا لم تقف عن المشى، وأعيننا لم نغضها عن المحرمات، ثم عدنا وافترقنا على أمل العودة فى الصباح للعمل لإنهائه.

نمت نومًا جيدًا. صليت الفجر عند الساعة السابعة والنصف، اتصلت عليه بالهاتف لأوقظه، لم يرد كررت المحاولة لعله فى دورة المياه، شربت كوبًا من الحليب كان قد وصل فى الحال، اتصلت مرة أخرى لا مجيب.

الساعة الآن الثامنة وقد تأخرنا عن موعد العمل، طرقت الباب لا مجيب، اتصلت باستعلامات الفندق لعله خرج، ولكنهم أجابوا: أنه موجود فى غرفته، لابد أن نفتح لنرى.

أصبح الموقف يدعو للخوف، أحضروا مفتاحًا احتياطيًّا للغرفة، دلفنا الغرفة، إنه نائم يا صالح... ناديته مرة أخرى، رفعت صوتى أكثر وأنا

أقترب منه. نائم، ولكنه عاضٌّ لسانه، ومتغير اللون، ناديته، اقتربت أكثر، لا حراك، التقرير الطبى يقول: إنه مات منذ البارحة بسكتة قلبية مفاجئة.

أين الصحة، والعافية، والشباب، البارحة كنا نسير سويًا لم يشتكِ من شىء ليس به مرض ولم يشتكِ من مرض أبدًا.

أعدت حساباتى، هذا موت الفجاءة لا نعرف متى سيأتى، بل بدون مقدمات، سألت نفسى لماذا لا أكون أنا صالح، ماذا سأواجه الله به أين عملى، ماذا قدمت، لا شىء مطلقًا.

عرفت أننى مقصر فى حق الله، سكت زوجى، بكى وأبكانى، وبكينا سويًا، حمدت الله على هذه الهداية عشنا بعدها كما كنت أحلم أو أكثر.

فى الأسبوع التالى، شكر لى جهدى معه وحرصى على هدايته، وأخبرنى أننا سوف نذهب لأداء العمرة والمكوث فى مكة نهاية الأسبوع، لنبدأ صفحة جديدة مع الاستقامة.

أكاد أطير من الفرح، فأنا لم أذهب إلى مكة منذ أن تزوجت، ضُحى ذلك اليوم ذهبت إلى الحرم، الأعداد قليلة، فترة صيف وليس هناك زحام، حقق الله ما كنت أحلم به، وقفت بابنى أمام الكعبة، لكنى لم أستطع الدعاء له لأننى بكيت وبكيت، حتى تقطَّع قلبى.

فى الغد، إن شاء الله اليوم سنطوف طواف الوداع وسنغادر هذه الأرض الطاهرة، بعد طواف الوداع، عُدنا من الحرم لنستعد للسفر ما هذا الذى معك هذا كتاب ابن رجب جامع العلوم والحكم، هذا كتاب ابن القيم زاد المعاد فى هدى خير العباد، هذا كتاب الوابل الصيب لابن القيم، هذا كتاب الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى، وهذا القرآن الكريم بحجم صغير، لن يفارق جيبى.... ثم قال لزوجته:

أيتها الحبيبة.. هذه معالم فى طريقنا إلى الدار الآخرة، ثم أخذ يردد

وهو يحمل الحقائب ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[١][٢].

يدعو لمن ضربه بالجنة!!!

خرج إبراهيم بن أدهم (رحمه الله) إلى بعض البرارى، فاستقبله رجل جندى، فقال: أنت عبد؟ قال: نعم. فقال له: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فقال الجندى: إنما أردت العمران!! فقال: هو المقبرة. فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجَّه، وردَّه إلى البلد فاستقبله أصحابه، فقالوا: ما الخبر؟ فأخبرهم الجندى ما قاله له، فقالوا: هذا إبراهيم بن أدهم!! فنزل الجندى عن فرسه وقبَّل يديه ورجليه، وجعل يعتذر إليه، فقيل بعد ذلك له: لِمَ قلت له: أنا عبد؟ فقال: إنه لم يسألنى: عبد مَن أنت، بل قال: أنت عبد؟ فقلت: نعم؛ لأنى عبد الله، فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة. فقيل: كيف وقد ظلمك؟ فقال: علمت أننى أوجر على ما نالنى منه، فلم أُرد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه منى الشر»[٣].

* «وقيل للأحنف بن قيس: من أين تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم، قيل: وما بلغ حلمه؟ قال: بينما هو جالس فى داره، إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء، فسقط من يدها فوقع على ابنٍ له صغير فمات، فدُهشت الجارية، فقال لها: لا روع عليك؛ أنت حرة لوجه الله تعالى»[٤].

نعم أخى الحبيب: إن الرفق والحلم سبب كل خير، وإن الشدة والعنف والغلظة سبب كل بلاء.

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان: (٤٠- ٤١).

(٢) العائدون إلى الله (ص: ١٤٢-١٤٣).

(٣) الإحياء (٣/ ٧٦).

(٤) الإحياء (٣/ ٧٧).

قال ﷺ : «إن الله رفيق يحب الرفق ويُعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه»(١).

وقال ﷺ : «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا يُنزع من شىء إلا شانه»(٢).

وقال ﷺ : «من كتم غيظًا وهو قادرٌ على أن يُنفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما يشاء»(٣).

قلوب تشتاق إلى الجنة

قال رجاء بن حيوة - الوزير المخلص لعمر بن عبد العزيز -: كنت مع عمر ابن عبد العزيز لما كان واليًا على المدينة، فأرسلنى لأشترى له ثوبًا، فاشتريته له بخمسمائة درهم، فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه رخيص الثمن.

فلما صار خليفة للمسلمين، بعثنى لأشترى له ثوبًا، فاشتريته له بخمسة دراهم، فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه غالى الثمن.

قال رجاء: فلما سمعت كلامه، بكيت.

فقال لى عمر: ما يُبكيك يا رجاء؟ قلت: تذكرت ثوبك قبل سنوات وما قلت عنه، فكشف عمر لرجاء بن حيوة سر هذا الموقف، وقال: يا رجاء، إن لى نفسًا تواقة، وما حققت شيئًا إلا تاقت لما هو أعلى منه. تاقت نفسى إلى الزواج من ابنة عمى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، ثم تاقت نفسى إلى الإمارة فوليتها، وتاقت نفسى إلى الخلافة فنلتها. والآن يا رجاء تاقت نفسى إلى الجنة. فأرجو أن أكون من أهلها.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩٢٧) كتاب استابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، ومسلم (٢٥٩٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) حسن: رواه أصحاب السنن، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥١٨).

أخي الحبيب: أما تاقت نفسك إلى جنة الرحمن (جل وعلا) التى فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال ﷺ: **«من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»**(١).

أسأل الله (عز وجل) أن يرزقنى وإياكم الجنة وأن يجعل خير أيامنا يوم أن نلقاه وهو راضٍ عنا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

(١) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٧٥).



صبرًا
يا أهل البلاء

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[٣].

أما بعد :

فإن الله تعالى خلق الدنيا وجعلها دار ممرٍّ وليست بدار مقر وحفَّها بالمحن والابتلاءات، وغمرها بالمصائب والفتن فقال تعالى: ﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾[٤].

فالدنيا هى دار التكليف والعمل، وليست بدار نعيم... فغفل كثيرٌ من المسلمين عن حقيقة الدنيا، بل وعن السر فى وجوده فى هذه الدنيا.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠-٧١).

(٤) سورة الملك: الآية: (٢).

فإذا أقبلت المصائب والابتلاءات (والدنيا لا تخلو منها) ترى بعض الناس يفزعون، بل ويسخطون على قدر الله، وذلك لأنهم لم يتحصنوا بالإيمان بالقضاء والقدر الذى هو أصل من أصول الإيمان.

ومن تأمل فى أحوال الخلائق عَلِم عِلْم اليقين أنه ما من مخلوق إلا وكان له نصيب من آلام الدنيا وأحزانها... كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: لكل فرحةٍ ترحة، وما مُلئ بيت فرحًا إلا مُلئ ترحًا.

والمؤمن هو الذى يعلم أنه مسافر إلى الله، وأن كل ما هو من حطام الدنيا فسوف يتركه لا محالة.. إما بالفقر أو بالموت، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (١).

بل إن المؤمن يعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأن ما يزرعه هنا فسوف يحصده هناك، ولذا قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (٢).

حين يصل المؤمن إلى تلك الحقيقة الكبرى ويوقن أنه موقوف بين يدى الله - جل وعلا - فى يوم مقداره خمسون ألف سنة، فإن الدنيا لو سجدت بين يديه لركضها برجليه طامعًا فى ساعة واحدة يناجى فيها ربه لعل الله أن يكتب له بها النجاة من تلك النار التى أُوقد عليها ألف عامٍ حتى ابيضت، وألف عامٍ حتى احمرَّت. وألف عامٍ حتى اسودَّت، فهى الآن سوداء قاتمة... فيعلم المؤمن أن كل نعيم دون الجنة سراب، وكل عذاب دون النار عافية.

هنا تهون المصائب كلها على المؤمن... بل إنه عندما يقف على الخير الذى ادخره الله لأهل الصبر على البلاء الراضين بقضائه - جل وعلا - فإنه

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٤).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٩٧).

عندها يشتهى، بل ويتمنى البلاء لينال الأجر العظيم من الكريم الوهاب.

قال ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطَى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت فى الدنيا بالمقاريض» (١).

فإلى إخوانى وأخواتى: إن هذا الكتاب دعوة للإيمان بالقضاء والقدر، ودعوة لكى نرضى بقضاء الله وقدره.

فما أجمل أن نرضى بقضاء الله تعالى لندخل جنة الرضا فى الدنيا قبل أن يُنعم الله علينا بالنعيم المقيم فى جنته ودار كرامته التى أعدها الله لعباده الصالحين.

فهيا بنا نطوف فى بساتين أهل الصبر والرضا من خلال هذا الكتيب سائلين الله - جل وعلا - أن يجعله تسلية لنا عما أصابنا فى تلك الحياة الدنيا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)

(١) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٧٧).

سنة لا تتبدل

إن البلاء سُنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير... يقول الله عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٢).

وقال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير - وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابته سراء شكَر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (٣).

أخي الحبيب... أختي الفاضلة: إن الحياة لا تخلو من الشدائد وإن الأمل والأمن، والرضا والحب، والسكينة النفسية، ثمارٌ شهية لغراس العقيدة في نفس المؤمن، وذخائر لا تنفد لإمداده في معركة الحياة، وإنها لمعركة طويلة الأمد، كثيرة التكاليف محفوفة بالأخطار والمشقات.

ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا، وطبيعة البشر فيها، تجعلان من المستحيل أن يخلو المرء فيها من كوارث تصيبه، وشدائد تحل بساحته، فكم يخفق له عمل أو يخيب له أمل، أو يموت له حبيب، أو يمرض له بدن، أو يُفقد منه مال.. أو.. أو.. إلى آخر ما يفيض به نهر الحياة.. حتى قال الشاعر يصف الدنيا.

---

(١) سورة العنكبوت: الآيات: (١-٣).

(٢) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

جُـبلت على كـدرٍ وأنت تريـدها
صـفـوًا مـن الآلام والأكـدارِ!
ومُكلف الأيام ضـد طبـاعـهـا
مـتطـلبٌ فى المـاء جـذوة نارِ

وإذا كانت هذه سُنة الله فى الحياة عامة، وفى الناس كافة، فإن أصحاب الرسالات خاصة أشد تعرضًا لنكبات الدنيا وويلاتها، . . . إنهم يدعون إلى الله فيحاربهم أنصار الباطل، ويهدون إلى الخير فيعاديهم أنصار الشر، ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل المنكر. . وبهذا يحيون فى دوامة من المحن، وسلسلة من المؤامرات والفتن، سُنة الله الذى خلق آدم وإبليس، وإبراهيم ونمرود، وموسى وفرعون، ومحمدًا وأبا جهل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾(١). ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾(٢).

هذا شأن الأنبياء، وشأن ورثتهم، والسائرين على دربهم، والداعين بدعوتهم، مع الطغاة الصادين عن سبيل الله ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(٣).

وقد أثبت الاستقراء والمشاهدة أن أشد الناس جزعًا، وأسرعهم انهيارًا أمام شدائد الحياة هم الملحدون والمرتابون وضعاف الإيمان، وقد وصف القرآن هذا النموذج من الناس فقال: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾(٤) ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾(٥). ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ

(١) سورة الأنعام: الآية: (١١٢).
(٢) سورة الفرقان: الآية: (٣١).
(٣) سورة البروج: الآية: (٨).
(٤) سورة هود: الآية: (٩).
(٥) سورة فصلت: الآية: (٤٩).

يئوسًا﴾[١] . ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[٢] .

إنهم لا يؤمنون بقدر فيرضوا به، ولا بإله فيطمئنوا إلى حكمته فى خلقه، ولا بأنبياء فيجدوا فى حياتهم القاسية قدوة وعبرة، ولا بحياة أخرى فتهُبّ عليهم نسماتها منعشة للنفس، وطاردة للكآبة، باعثة للأمل.

إنهم كسفينة فقدت الدفة والشراع، وكل عوامل الثبات أمام الأمواج والعواصف، فهى لأدنى حركة من الريح يشتد اهتزازها وتمايلها، ويحيط بها الموج من كل مكان، وسرعان ما تغوص إلى الأعماق!

ولا غرو أن نجد الانتحار أكثر ما يكون فى البيئات التى ضعف دينها أو فقدته، فإن لم يكن الانتحار فهو الألم القاتل، والجزع الهالع، والكآبة الحزينة، والحزن الكئيب، والحياة التى خلت من معنى الحياة. اهـ.

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميتُ ميت الأحياءِ
إنما الميتُ من يعيش كئيبًا
كاسفًا بالُه قليل الرجاءِ

أما المؤمن الواثق فى موعود ربه فيتسلى فى مصيبته بعلمه أن الله سوف يجبر له كل مُصاب فى الجنة[٣] .

* * *

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٨٣).

(٢) سورة الحج: الآية: (١١).

(٣) الإيمان والحياة / د. يوسف القرضاوى (ص: ١٨٤).

صبرًا يا أهل البلاء

أيها الأخ الحبيب.. أيتـها الأخت الفاضلة: إننا على يقين من أن الدنيا لا تخلو أبدًا من الآلام والأحزان، وأنها دار ابتـلاء وامتـحان، ومن أجل ذلك فنحن نحتاج إلـى صبرٍ جميل ليس فـيه ضجر ولا تسخُّط عـلى قضاء الله (جل وعلا) فإن التحلى بالصبر من شيم الأفذاذ الذين يتلقون المكاره برحابة الصدر.

فمن الناس من ابتُلى بضيق الرزق فضـاق صدره لذلك مع أنه يعلم يقينًا أن الدنيا بكل مـا فيهـا من كنوزٍ وثروات لا تساوى جناح بعـوضة عند رب الأرض والسماوات.

ومن الناس من ابتُلى فى صحتـه وعافيته فداهمتـه الأمراض حتى أصبح طريح الفراش... ولم يعلم أن الراحـة والنعيم لن يكونا إلا فى جنة الرب الرحـيم (جل وعلا).. فـهناك تجد الصـحة التى ليس مـعهـا مرض وتجـد الشباب الذى لا يتسرب إليه العجز والشيخوخة وتجد النعيم الذى لا يخالطه بؤسٌ أبدًا.

عن أبى سـعيـد وأبى هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قـال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يُنادى مُناد: إن لكم أن تحيـوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تصحُّـوا فلا تسقمُوا أبدًا، وإن لكم أن تشبُّوا فـلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فـلا تبأسوا أبدًا»[1].

وقـال ﷺ: «إن الرجل من أهل الجـنة ليُـعطَى قـوة مـائة رجل فى الأكل والشرب والشـهوة والجماع حـاجةُ أحدهم عـرقٌ يفيض من جلده، فإذا بطنُه قد ضمر»[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٢٧).

ومن الناس من ابتُلى بغير ذلك من أنواع البلاء. . . ولذلك فنحن نحتاج جميعًا أن تترسخ فى نفوسنا عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

أخى الحبيب: اصبر وما صبرك إلا بالله، اصبر صبر واثق بالفرج، عالم بحسن المصير، طالب للأجر، راغب فى تكفير السيئات، اصبر مهما ادلهمَّت الخطوب، وأظلمت أمامك الدروب، فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً.

إن هذه العقيدة إذا رسخت فى نفسك وقرَّت فى ضميرك صارت البَلية عطية، والمحنة منحة، وكل الوقائع جوائز وأوسمة **«ومن يُرد الله به خيراً يُصب منه»** فلا يصيبك قلق من مرض أو موت ابن، أو خسارة مالية، أو احتراق بيت، فإن البارى قد قدر والقضاء قد حَلَّ، والاختيار هكذا، والخيرة لله، والأجر حصل، والذنب كُفِّر[1].

يا صاحب الهم إن الهم منفرجٌ
أبشر بخيرٍ فإن الفارج اللهُ

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه
لا تيأسن فإن الكافى اللهُ

إذا بُليت فثق بالله وارضَ به
فإن الذى يكشف البلوى هو اللهُ

الله يُحدث بعد العسر ميسرةً
لا تجزعن فإن الصانع اللهُ

والله ما لك غير الله من أحد
فحسبُك الله فى كلٍ لك اللهُ

* * *

(١) لا تحزن / للشيخ عائض القرنى (ص: ٢٥).

عبق النسرين من ثواب المرضى الصابرين

قال ﷺ : «قال تعالى: إذا ابتليتُ عبداً من عبادى مُؤمنًا فحمدنى وصبر على ما بليتُه، فإنهُ يقومُ من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمهُ من الخطايا، ويقولُ الربٌّ عز وجل للحفظة: إنى أنا قيدتُ عبدى هذا وابتليته، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبل ذلك من الأجر، وهو صحيح»(١) .

وقال ﷺ : «قال الله تعالى: إذا ابتليتُ عبدى المؤمن، فلم يَشْكُنى إلى عُوَّاده أطلقته من إسارى، ثم أبدلته لحمًا خيراً من لحمه، ودمًا خيراً من دمه ثم يستأنفُ العمل»(٢).

فيا له من ربٍّ رحيم وسعت رحمته كل شيء (سبحانه وتعالى).

ما أثقلهن فى الميزان (الصبر على موت الولد)

قال ﷺ : «ما من مسلمَين يموتُ لهما ثلاثةُ أولاد، لم يبلغوا الحِنث، إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل أبوانا: فيقالُ: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم»(٣).

وقال ﷺ : «ما منكن امرأةٌ تقدمُ بين يديها ثلاثة من ولدها، إلا كانوا لها حجابًا من النار، قالت امرأةٌ: واثنين؟ قال: واثنين»(٤).

وقال ﷺ : «بخٍ بخٍ لخمسٍ ما أثقلهن فى الميزان: لا إله إلا الله، وسُبحان الله، والحمدُ لله، والله أكبرُ، والولدُ الصالحُ، يُتوفى للمرء المسلم فيحتسبه»(٥).

---

(١) حسن: رواه أحمد وأبو يعلى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٠٠).
(٢) صحيح: رواه الحاكم والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٠١).
(٣) صحيح: رواه أحمد والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٨٠).
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٢) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٣٤) كتاب البر والصلة والآداب.
(٥) صحيح: رواه البزار والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨١٧).

وقال ﷺ: «والذى نفسى بيده إن السقط ليجرُّ أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته»(١).

فيا من فقدت ثمرة فؤادك وقُرة عينك: اصبر واحتسب لتنال الأجر والمثوبة فى الدنيا والآخرة.

إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث

روى ابن أبى حاتم بإسناده فى تفسيره عن خالد بن يزيد، عن عياض، عن عقبة أنه مات له ابنٌ يقال له: يحيى، فلما نزل فى قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه؛ فقال والده: وما يمنعنى أن أحتسبه، وكان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟!

وعن محمد بن خلف قال: كان لإبراهيم الحربى ابن كان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن ولقَّنه من الفقه جانبًا كبيراً؛ قال: فمات. فجئت أعزيه فقال: كنت أشتهى موت ابنى هذا. قال: قلت له: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فى صبى قد أنجب، ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم. رأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانًا بأيديهم قلال فيها ماءٌ، يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان اليوم يومًا حارًا شديدًا حرُّه قال: فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء، قال: فنظر إلىَّ. وقال: ليس أنت أبى، قلت: فأى شىء أنتم؟ قال: فقال لى: نحن الصبيان الذين متنا فى دار الدنيا وخلفنا آباءنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء؛ قال: فلهذا تمنيت موته.

والمقصود أن هذا المقام مقام عظيم شريف لمن يطلب المصيبة ويفرح بها نظراً إلى ثوابها.

يؤيد ذلك ما ثبت فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: «إذا مات الإنسان

---

(١) حسن: رواه أحمد وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٠٦٤).

انقطع عـمله إلا من ثلاث: صدقـة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(١) .

وقال ﷺ : «سبعٌ يجرى للعـبد أجرهن، وهو فى قبره بـعد موته - فذكر منها - أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»(٢) .

بيت الحمد فى جنة الرحمن

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولدُ العبد؛ قال الله تعالى لملائكته: قبضتُم ولد عبدى؟

فيقولون: نعم. فيقولُ: قبضتُم ثمرة فؤاده؟

فيقولون: نعم: فيقول: فماذا قال عبدى؟

فيقولون: حَمدك واسترجع (أى قال: الحمد لله إنَّا لله وإنا إليه راجعون).

فيقول الله تعالى: ابنُوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسمُّوهُ بيت الحمد»(٣) .

همسة فى أذن كل محروم من نعمة الأولاد

أيها الأخ الكريم. . أيتها الأخت الفاضلة:

إن الأولاد هبـة من الله تعـالى... كـمـا قـال تعـالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(٤) .

وهم أيضًـا نعـمـة من الله (عـز وجل): ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾(٥) .

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٢) حسن: رواه البزار وسمويه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٠٢).

(٣) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥).

(٤) سورة الشورى: الآيتان: (٤٩-٥٠).

(٥) سورة الكهف: الآية: (٤٦).

وقد يكون الأولاد نقمة فى نفس الوقت.. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(١).

وقال ﷺ: «إن الولد مَبخلةٌ مَجبنةٌ مَجهلةٌ مَحزنةٌ»(٢).

وكم من أُناسٍ قد رزقهم الله بالأولاد فلما ذاقوا مرارة العقوق تمنّوا أن لو كان الله حرمهم من نعمة الأولاد.

ولذلك فإننا يجب أن نرضى بقضاء الله تعالى؛ لأنه سبحانه هو الذى يعلم ما فيه مصلحة العبد ومنفعته.

الطريق إلى الولد الصالح

ويا من حُرمت من نعمة الولد: كن راضيًا عن الله (جل وعلا) وعن قضائه فإن الله أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

ولا تقل: لماذا حرمنى الله نعمة الولد، بل تذكر كم أسبغ الله عليك من النعم.

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(٣).

- واعلم أن العبد يُبتلى على قدر دينه ولو لم يكن لك قدرٌ عند الله ما سلط عليك هذا البلاء أبدًا.

- ومع ذلك فلا مانع من أن تأخذ بالأسباب، ولكن بشرط أن تعلم أن الأسباب وحدها لا تنفع ولا تضر إلا بأمر مسبب الأسباب (جل وعلا)... فاحرص على كثرة الدعاء ولا تنسَ دعاء زكريا (عليه السلام) حينما قال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة التغابن: الآيتان: (١٤-١٥).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٩٠).

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٣٤).

(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٨٩).

- واعلم أن التقوى من أعظم الأسباب التى تجلب لك الذرية الصالحة - بإذن الله -.

لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (١) والأولاد رزق من عند الله جل وعلا... بل إن التقوى تكون سببًا لحفظ الأولاد بعد مجيئهم إلى تلك الحياة الدنيا.. قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾(٢).... والنتيجة العملية نأخذها من سورة الكهف ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾(٣).

بل عليك أيضًا أن تُكثر من الاستغفار فإن الاستغفار من أعظم الأسباب التى تعطى الرجل القدرة على إتيان زوجته «وهذا استنباط استنبطه الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله» من خلال قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾(٤) فالشاهد هو قوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ فإن الله يعطى الرجل قوة فوق قوته لكثرة استغفاره.... وكذلك فالاستغفار سبب فى جميع أنواع الرزق بعمومها وشمولها... قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⑩ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ⑫ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾(٥).

---

(١) سورة الطلاق: الآيتان: (٢، ٣).
(٢) سورة النساء: الآية: (٩).
(٣) سورة الكهف: الآية: (٨٢).
(٤) سورة هود: الآية: (٥٢).
(٥) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٣).

فجاء التصريح في تلك الآيات بأن الاستغفار سبب في الرزق بالأولاد في قوله: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ . . .

الأنبياء (صلوات ربي وسلامه عليهم) ورحلة البلاء

وها هي نبذة يسيرة عن رحلة البلاء التي تعرض لها أنبياء الله (صلوات ربي وسلامه عليهم) لنعرف أن الطريق إلى الله تعالى ليس مفروشًا بالورود والرياحين، وإنما هو طريق مليءٌ بالأشواك.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «يا مُخنث العزم أين أنت؟ والطريقُ طريقٌ تَعِب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمى في النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضُّر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ» (١).

أيها الأخ الحبيب: أما علمت كيف صبر نوحٌ (عليه السلام) على قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فقابلوا دعوته بالسخرية والاستهزاء. . . أما علمت كيف وقف هود (عليه السلام) أمام أمة من أعتى الأمم وصبر على أذاهم. . . أما علمت كيف أُلقى خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) في النار وكيف جعل الله (عز وجل) النار عليه بردًا وسلامًا. . بل واشتد البلاء على إبراهيم حينما رأى في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل (عليهما السلام) فاستسلما لأمر الله (جل وعلا) فجاءه الفرج من عند الله **﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾**(٢) .

---

(١) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص: ٦٧).

(٢) سورة الصافات: الآيات: (١٠٤ - ١٠٧).

أما علمت كيف ابتُلى يعقوب بفقد يوسف (عليهما السلام) وكيف أن يوسف أُلقى فى الجُب وبيع بثمنٍ بخسٍ ولبث فى السجن بضع سنين... وكيف أن زكريا (عليه السلام) نُشر بالمنشار وذُبح يحيى (عليه السلام).. وصبر أيوب (عليه السلام) على البلاء سنوات طويلة وحُبس يونس (عليه السلام) فى بطن الحوت... فهؤلاء هم صفوة خلق الله، ومع ذلك اشتد عليهم البلاء ليكون لنا فيهم الأسوة والقدوة فطريق الأنبياء محفوف بالأشواك، لكن عاقبته محمودة لأن نهايته فى جنة الرحمن (جل وعلا).

النبى ﷺ كان أشد الناس بلاءً

بل ها هو الحبيب المصطفى ﷺ يتعرض للابتلاء والإيذاء الشديد من كفار قريش وعلى الرغم من ذلك يثبت بإيمانه وعقيدته التى تعانق كوكب الجوزاء... فينصره الله ويُعلى قدره ويرفع ذكره ويُمكِّن له فى الأرض ولأصحابه رضي الله عنهم.

وها هى بعض الصور التى تُلقى الضوء على إيذاء كفار قريشٍ للحبيب ﷺ.

* **عن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: أن النبى ﷺ كان يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجىء بسلى جَزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى إذا سجد النبى ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أُغنى شيئًا لو كانت لى منعة.

قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: **«اللهم عليك بقريش»** ثلاث مرات، فشقَّ عليهم إذ دعا عليهم. قال: وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة ثم سمَّى: **«اللهم عليك بأبى**

جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط» وعَدَّ السابع فلم نحفظه. قال: فوالذى نفسى بيده لقد رأيت الذين عَدّ رسول الله ﷺ صرعى فى القليب، قليب بدر[١].

وروى البخارى عن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص أخبرنى بأشد شىء صنعه المشركون بالنبى ﷺ. قال: بينما النبى ﷺ يصلى فى حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ قال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾[٢][٣].

ولما رأت قريش أن محمدًا ﷺ لا يصرفه عن دعوته هذا ولا ذاك، فكروا مرة أخرى واختاروا لقمع هذه الدعوة أساليب كثيرة منها:

السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والتضحيك، وقصدوا بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية، فرموا النبى ﷺ بتهم هازلة، وشتائم سفيهة فكانوا ينادونه بالمجنون: ﴿**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾[٤]. ويصفونه بالسحر والكذب: ﴿**وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾[٥].

خروج المصطفى ﷺ إلى الطائف

قال ابن إسحاق: ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النُّصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٤٠) كتاب الوضوء، ومسلم (١٧٩٤) كتاب الجهاد والسير.

(٢) سورة غافر: الآية: (٢٨).

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٤٨١٥) كتاب تفسير القرآن.

(٤) سورة الحجر: الآية: (٦).

(٥) سورة ص: الآية: (٤).

أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحده.

* عن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبى ﷺ حدثته أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يُجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلَّم علىَّ ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت: إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين؟**» فقال النبى ﷺ: «**بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[1].

وفى غزوة أُحد

وفى غزوة أُحد لما عصى الرُّماة أمر رسول الله ﷺ وتركوا الجبل وانقضَّ المشركون على المسلمين وقتلوا منهم عددًا كبيرًا وأرادوا بعد ذلك قتل الحبيب المصطفى ﷺ.

وفى هذا اليوم جُرح وجه رسول الله ﷺ يوم أُحد، وكُسرت رباعيته، وهُشمت البيضة على رأسه بأبى هو وأمى ﷺ عن أنس أن رسول الله ﷺ كُسرت رباعيته يوم أُحد، وشُجَّ فى رأسه، فجعل يسلُت الدم عنه ويقول: «**كيف يفلح قوم شجُّوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله**»، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[2][3].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.
(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٢٨).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٩١) كتاب الجهاد والسير.

حادثة الإفك

وها هو أشد بلاءٍ تعرض له الحبيب ﷺ طوال حياته.

هل تتصور أيها الأخ الحبيب.. وأيتها الأخت الفاضلة أن الحبيب المصطفى ﷺ يُتهم فى عِرضه؟!!!!.

الحبيب ﷺ الذى فاضت طهارته على الكون كله يُتهم فى عرضه!!!

الحبيب الذى يحافظ على حُرمات المسلمين يُتهم فى حُرمته!!!

ومن هى التى اتهموها؟ إنها عائشة رضي الله عنها تلكم الزهرة الطاهرة الصافية التى نبتت فى حقل الإسلام وسُقيت بماء الوحى.

يُتهم الحبيب ﷺ فى زوجته وحبيبته عائشة رضي الله عنها وعلى الرغم من ذلك يصبر ويحتسب إلى أن أنزل الله (عز وجل) فى شأنها قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة ليشهد ببراءتها من فوق سبع سماوات.

فيا ليتنا نقرأ سيرة الأنبياء وعلى رأسهم الحبيب ﷺ لنعرف كيف ابتلاهم الحق - جل وعلا - وكيف أنهم ثبتوا ورضوا بقضاء الله ليكون ذلك تسلية لنا فى مُصابنا، ولنعرف أن الطريق إلى الله (جل وعلا) يحتاج إلى صبر؛ لأن عاقبته محمودة، ولأن نهايته فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أصحاب الحبيب ﷺ ورحلة البلاء

وها هم أصحاب الرسول ﷺ الذين هم صفوة خلق الله بعد الأنبياء والمرسلين... ها هم يتعرضون لأشد أنواع البلاء، ومع ذلك كانت قلوبهم راضية عن الله (جل وعلا) فهم الذين تعلموا الصبر والرضا من سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ.

موقف الصدِّيق عند وفاة النبى ﷺ

وتأمل معى كيف ثبت أبو بكر الصديق فى هذا اليوم العصيب، وهو يوم موت النبى ﷺ . . . ففى يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ خرجت أطهر روح من أطهر جسد على وجه الأرض فقد مات النبى ﷺ وتسرب الخبر الفادح وأظلمت على المدينة أرجاؤها وآفاقها. . . قال أنس رضي الله عنه : «لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء، وما نفضنا عن النبى ﷺ الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا». . . . ولما مات ﷺ قالت فاطمة:

يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه

يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه..

يا أبتاه إلى جبريل ننعاه

ووقف عمر بن الخطاب وقد أخرجه الخبر عن وعيه يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى، وإن رسول الله ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات. . والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات.

وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسُّنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبره فكشف عن وجهه ثم أكبَّ عليه فقبَّله وبكى ثم قال: بأبى أنت وأمى لا يجمع الله عليك موتتين؛ أما الموتة التى كُتبت عليك فقد مُتها. . ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حى لا يموت.

قال الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١).

قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقَّاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها.... قال ابن المسيب: قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقرت حتى ما تُقلنى رجلاى وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبى ﷺ قد مات (٢).

بلال بن أبى رباح رضي الله عنه

وها هى صفحة مضيئة من ثبات هذا الصحابى الجليل وصبره على البلاء الذى تعرض له من مشركى قريش.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمُّهُ سُمية، وصهيب، وبلال، والمقداد رضي الله عنهم، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم فى الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ أحدٌ.

وكان بلالٌ رضي الله عنه مولى لبعض بنى جُمح، وكان صادق الإسلام، طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يُخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء: أحدٌ أحدٌ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٤٥٤) كتاب المغازى.

وهكذا يستعلى بلال ﷺ بإيمانه بالله جل وعلا، فكان يستعذب العذاب فى سبيل الله مع أن الله قد رخَّص للمؤمنين وقتها أن ينطقوا بكلمة الكفر طالما أن قلبهم مطمئنٌ بالإيمان لكى ينجو كل واحدٍ منهم من بطش هؤلاء المجرمين، ولكن بلال كره أن يُشمت أعداء الإسلام بالإسلام وأهله وأراد أن يعرف الكون كله أن المؤمن لو اجتمعت عليه الدنيا بأسرها فلن تستطيع أن تُحرك ذرة واحدة من جبال الإيمان الراسخة فى قلبه... وذلك لأن الذى ثبَّت تلك الجبال هو الخالق جل جلاله.

وتأتى البشرى التى لا توازيها الدنيا بمتاعها الزائل... وإذا بالحبيب ﷺ يقول: **«اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: على وعمار، وبلال»**(١).

بل تُصبح تلك البُشرى حقيقة يسمعها النبى ﷺ بأذنيه.

عن أبى هريرة ﷺ «أن النبى ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: **«يا بلالُ حدثنى بأرجى عمل عملتهُ فى الإسلام فإنى سمعتُ دَفَّ نعليك بين يدىَّ فى الجنة»**. قال: ما عملت عملاً أرجى عندى من أنى لم أتطهر طُهوراً فى ساعة من ليلٍ أو نهارٍ إلا صليتُ بذلك الطُّهور ما كُتب لى أن أُصلى»(٢).

صبراً آل ياسر

لما أسلم عمار بن ياسر وأمه سمية ﷺ وانطلقت الأسرة الكريمة المباركة فى طريقها إلى الله (جل وعلا).

وما هى إلا ساعات معدودة حتى طار خبر إسلامهم إلى «بنى مخزوم» فاستشاطوا غضبًا.

وصبُّوا على آل ياسرٍ أشد العذاب.

---

(١) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٩) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٤٥٨) كتاب فضائل الصحابة.

فكانوا إذا حميت الظهيرة يأخذونهم إلى بطحاء مكة ويُلبسونهم دُروع الحديد، ويمنعون عنهم الماء ويُصهرونهم فى الشمس المحرقة ويصبُّون عليهم من جحيم العذاب ألوانًا؛ حتى إذا بلغ منهم الجهد مبلغًا أعادوا معهم الكَرَّة فى اليوم الذى يليه.

وبينما هم على تلك الحالة من العذاب والتنكيل، وإذا بالحبيب المصطفى ﷺ يمر عليهم ويقول لهم: «**أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنة**»(١).

وهنا بدأت نفوسهم تشعر بالراحة والطمأنينة.. وبدلاً من المعاناة التى كانوا يجدونها من أثر التعذيب أصبحوا يستعذبون العذاب فى سبيل الله ويحلمون بالجنة ليلاً ونهاراً.

أول شهيدة فى الإسلام

وبدأت المحنة تتحول إلى منحة ربانية بعد أن بشرهم النبى ﷺ بالجنة، وهنا تقوم (أم عمار) سمية رضي الله عنها لتكتب بدمها سطوراً من النور على جبين التاريخ ولتكون أول شهيدة فى الإسلام. وذلك عندما تعرض لها الهالك أبو جهل - عليه من الله ما يستحقه - فطعنها فى موطن عفتها فقتلها.

واستشهد ياسر (والد عمار) رضي الله عنه تحت وطأة التعذيب.

فإن عادوا فعُد

فلما لم يبقَ سوى (عمار) رضي الله عنه اشتد الكفار عليه وأذاقوه من العذاب ألوانًا.

عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عماراً، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ. وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبى

(١) **صحيح**: رواه الطبرانى فى الأوسط، والحاكم، والبيهقى، وابن عساكر انظر صحيح السيرة النبوية للألبانى (١/ ١٥٤).

ﷺ قال: ما وراءك؟ قال: شرٌ يـا رسول الله. والله ما تُركتُ حتى نلتُ منك، وذكـرت آلهتـهم بخيـر، قال: «فكيف تجدُ قلبك»؟ قال: مطـمئنٌ بالإيمان. قال: «فإن عادوا فعُدْ»[(١)].

وعن قتادة ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[(٢)] نزلت فى عمار.

الهجرة المباركة

وكتب الله النجاة لعمار رضي الله عنه ولأمثاله مـن المستضعفين عندما أذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة.

وهاجر عمار رضي الله عنه فرارًا بدينه.

فكانت البُشرى العظيمة فى انتظاره فلقد أخبره الحبيب ﷺ بأن الجنة قد اشتاقت إليه.. قال ﷺ : «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: على وعمار وسلمان»[(٣)].

سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه

قضاء الله عندى أحسن من بصرى

لما قَدِم سـعد بن أبى وقـاص مكة، وقد كـان كُفَّ بصره، جاءه الناس يهرعون إليـه كل واحدٍ يسأله أن يدعو له فيدعـو لهذا ولهذا، وكان مُجاب الدعوة.. قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنـا غلام فتعرفت عليه فعرفنى. وقال: أنت قارئ أهل مكة؟ قلت: نعم. فذكر قصة، قال فى آخرها: فقلت له: يا عم، أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فردَّ عليك بصرك؟! فتبسم وقال: يا بُنى قضاءُ الله سبحانه عندى أحسن من بصرى.

---

(١) رواه ابن سـعـد (٣/٢٤٩). وأورده الذهبى فى السـيـر (١/٤١١)، وعـزاه الحـافظ فى الفـتح (١٢/٣١٢) لعبد بن حميد من طريق ابن سيرين، وقال: ورجاله ثقات مع إرساله.

(٢) سورة النحل: الآية: (١٠٦).

(٣) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

خباب بن الأرتّ رضي الله عنه

لقد كان خباب رضي الله عنه مولى (لأم أنمار الخُزاعية) ولما سمع بأمر الحبيب ﷺ ذهب إليه وأعلن إسلامه لله (جل وعلا) فكان سادس ستةٍ أسلموا في هذا الكون لله.

وما إن وصل خبر إسلامه إلى «أم أنمار» حتى مضت إليه مع أخيها «سباع بن عبد العُزى» ومعهما مجموعة من فتيان «خُزاعة» ومضوا إلى خباب وبعد أن تيقنوا من خبر إسلامه قاموا جميعًا يضربونه ويعذبونه أشد أنواع التعذيب.

وكان المشركون يُذيقونه أنواعًا من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذبًا، ويلوون عنقه تلوية عنيفة، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجرًا، حتى لا يستطيع أن يقوم.

وكانوا إذا اشتدت الهاجرة وكادت الشمس أن تُذيب الصخور أخرجوه إلى بطحاء مكة، ونزعوا عنه ثيابه وألبسوه دروع الحديد ومنعوا عنه الماء حتى إذا بلغ منه الجهد كل مبلغ طلبوا منه أن يكفر بدين محمدٍ ﷺ وأن يقول خيرًا في اللات والعُزَّى.. فيأبى خباب بكل عزةٍ وثباتٍ أن يفعل ما يريدون.

لقد كان حظ «خباب» من العذاب كبيرًا، ولكن صبره وتضحيته من أجل الحق كانت أكبر وأعظم بكثير.

لقد كانوا يقاومون إيمانه بالعذاب، وكان هو يقاوم العذاب بالصبر والتضحية.

حتى قال خباب: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُرْدة في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: **«قد كان من قبلكم يُؤخَذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، ثم يؤتَى بالمنشار فيوضع على**

رأسه فيُجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليُتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[١].

أم سُليم رضي الله عنها وصبرها على موت ولدها

ولعلكم تذكرون أم سُليم رضي الله عنها التى تزوجها أبو طلحة رضي الله عنه وكان مهرها الإسلام.

* **عن أنس رضي الله عنه قال:** اشتكى ابنٌ لأبى طلحة قال: فمات وأبوه أبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئًا، وجعلت ابنها فى جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقةٌ قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبى ﷺ ثم أخبره بما كان منها، فقال رسول الله ﷺ: **«لعل الله أن يبارك لكما فى ليلتكما»** فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن[٢].

قصة المرأة التى كانت تُصرع على عهد النبى ﷺ

* **عن عطاء بن أبى رباح قال:** قال لى ابن عباس: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فقالت: إنى أُصرع، وإنى أتكشف فادعُ الله لى. قال: **«إن شئت صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوت الله أن يعافيك»**. فقالت: أصبر. فقالت: إنى أتكشف فادعُ

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦١٢) كتاب المناقب.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٠١) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١٤٤) كتاب الآداب.

الله لى ألا أتكشف، فدعا لها [١].

قال الحافظ: وقد أخرج البزار وابن حبان من حديث أبى هريرة شبيهًا بقصتها ولفظه: «جاءت امرأة بها لمم إلى رسول الله ﷺ فقالت: ادعُ الله. فقال: «**إن شئت دعوت الله فشفاك، وإن شئت صبرت ولا حساب عليك؟**» قالت: بل أصبر ولا حساب علىَّ [٢].

وفى الحديث فضل من يُصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة، وفيه دليل على جواز ترك التداوى، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء، والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير، وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجع بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوى وهو قوة توجهه، وقوة قلبه بالتقوى والتوكل، والله أعلم[٣].

السلف الصالح ورحلة البلاء

عروة بن الزبير رضي الله عنه

وها هو عروة بن الزبير رضي الله عنه الذى يُضرب به المثل فى الصبر على البلاء والرضا بقضاء الله تعالى... ها هو يتعرض لهذا البلاء الشديد الذى سيظل العلماء والخطباء يرددونه من على المنابر وفى مجالس العلم فى كل زمان بل وفى كل مكان.

فعن هشام بن عروة عن أبيه: أنه وقعت الأَكَلَة فى رجله فقيل له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: إن شئتم، فجاء الطبيب فقال: أسقيك شرابًا يزول فيه عقلك. فقال: امضِ لشأنك ما ظننت أن خلقًا يشرب شرابًا ويزول فيه عقله

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٦٥٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) **صحيح**: رواه البزار وابن حبان، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٥٠٢).

(٣) فتح البارى (١٠/ ١٢٠).

حتى لا يعرف ربه. قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حسًّا، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت، وماترك حزبه من القراءة تلك الليلة.

وفي رواية أنه قال: اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت منهم واحدًا وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة فأخذت طرفًا وأبقيت ثلاثًا، فإن ابتليت لقد عافيت ولئن أخذت لقد أبقيت.

شيخ الإسلام (ابن تيمية) رحمه الله

وإن كان هذا دأب الأنبياء والصحابة فإن الخير لم ينقطع في الأمة أبدًا فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية كان عالمًا مجاهدًا في سبيل الله بلسانه وبقلمه وسيفه داعيًا إلى السُّنَّة ومحاربًا للبدعة لا يخاف في الله لومة لائم فعندما صدع بالحق حسده كثير من علماء زمانه فوشوا به إلى الخليفة ورموه بالابتداع فسُجن أكثر من مرة وأُوقف عن التدريس، ولكن هذه لم تَفُت في عضده أو تبعده عن الدعوة.. وفي آخر مرة وشوا به إلى الخليفة فسُجن في سجن القلعة في سجن انفرادي ومُنع من التأليف وسُحبت منه الأقلام والمحابر فقال رحمه الله: ما يفعل بي أعدائي أنا جنتي وبستاني في صدري أنَّى ذهبت فهي معي فإن قتلوني فقتلي شهادة - وإن شردوني فتشريدي سياحة، وإن سجنوني فسجني خلوة - فسَدَّ شيخ الإسلام بهذه الكلمات على أعدائه جميع المنافذ التي يريد أعداؤه أن ينتقموا منه عن طريقها - فبعد سحب الأقلام والمحابر بدأ شيخ الإسلام رحمه الله في تلاوة كتاب الله حتى ختمه بضعًا وثمانين مرة فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1]. توفاه الله عند تلك الآية ثم شرعوا في غسل الشيخ رحمه الله فما فرغوا منه حتى امتلأت القلعة

(١) سورة القمر: الآيتان: (٥٤-٥٥).

وضَجَّ الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحُّم ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموى والخلائق فيه بين يدى الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها ما لا يُحصى عدتهم إلا الله سبحانه وتعالى فصرخ صارخ وصاح صائح: هكذا تكون جنائز أئمة السُّنة... فصلى عليه خلقٌ كثير لا يحصيهم إلا الله حتى إن الحوانيت أُغلقت فى ذلك اليوم كله دلالة على حب شيخ الإسلام وعلامة من علامات حسن الخاتمة بإذن الله[1].

تسلية أهل المصائب

ومن كمال رحمة الله - جل وعلا - أنه يبتلى العبد بالمصائب ليطهره من الذنوب والآثام وليرفع درجته فى الجنة لينعم بصُحبة خير الأنام ﷺ.

فهيا بنا لنتعرف على تلك الأشياء التى يتسلى بها أهل المصائب فى مُصابهم.

١- الأجر العظيم على الصبر والاسترجاع:

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[2].

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه **يقول:** نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين.. يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى.

وقد تضمنت هذه الكلمة: «إنَّا لله وإنا إليه راجعون» علاجًا من الله لأهل المصائب. فإنها من أبلغ علاج المصائب وأنفعه للعبد فى عاجله وآجله، فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما وتَسلَّى عن مصيبته.

أحد الأصلين: أن يتحقق العبد أن نفسه وأهله وماله وولده ملك لله - عز وجل - حقيقة، وقد جعله الله عند العبد عارية.

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٤١).

(٢) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولابد أن يُخلِّف الدنيا وراء ظهره، ويأتي ربه يوم القيامة فردًا كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة؛ ولكن يأتيه بالحسنات والسيئات. فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوَّله فيه، ونهايته وحاله فيه، فكيف يفرح العبد بولد أو مال، أو غير ذلك من متاع الدنيا؟ أم كيف يأسى على مفقود؟ ففكرة العبد في بدايته ونهايته من أعظم علاج المصائب... ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١]، ومن تأمل هذه الآية الكريمة وجد فيها شفاء أدواء المصائب.

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[٢]، قال علقمة وجماعة من المفسرين: هي المصائب تصيب الرجل، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلِّم.

* **روى مسلم عن أم سلمة** رضي الله عنها **قالت:** سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تُصيبهُ مصيبة فيقول: **«إنَّا لله وإنا إليه راجعون؛ اللهم أجُرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها إلا آجرهُ الله في مُصيبته، وأخلف له خيرًا منها»**.

- **قالت:** فلما تُوفي أبو سلمة، قلتُ كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله تعالى لي خيرًا منه: رسول الله ﷺ[٣].

٢- التأسي بأهل المصائب:

ومن أنفع ما للمصاب أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب.

(١) سورة الحديد: الآيتان: (٢٢-٢٣).

(٢) سورة التغابن: الآية: (١١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩١٨) كتاب الجنائز.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «لكل فرحة ترحة، وما مُلئ بيت فرحًا إلا مُلئ ترحًا».

قالت الخنساء ﷺ، وهى تنعى أخاها (صخرًا) الذى مات فى الجاهلية:

يُذكِّـرنى طلوع الشـمس صخـرًا
وأذكـره لكـل غـروب شـمسِ
فلولا كـثـرةُ البـاكـين حـولى
علـى إخـوانهـم لقـتـلت نفـسى
ومـا يبـكين مـثـل أخى ولـكن
أُعـزِّى الـنفس عنه بـالتـأسى

وهذا المعنى قد حرمه الله - عز وجل - أهل النار فإن المخلدين فيها يظن كل واحد أنه لم يبقَ فى النار سواه.. وذلك زيادة فى تعذيبهم وتنكيلهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[1].

٣- أن مرارة الدنيا هى بعينها حلاوة فى الآخرة:

ومن تسلية أهل المصائب أن ينظر العبد بعين بصيرته، فليعلم أن مرارة الدنيا هى بعينها حلاوة فى الآخـرة يقلبها الله تعالى، وحلاوة الدنيا هى بعينها مرارة فى الآخرة؛.. ولأن ينتقل من مرارة منقطعـة إلى حلاوة دائمة خير من عكس ذلك، فإن خفى عليك ذلك فانظر إلى قول الصادق المصدوق، ﷺ: **«حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات»**[2].

وكذلك قـوله ﷺ: «يُؤتَى بأنعم أهل الـدنيا من أهل الـنار يوم القـيامـة، فيُصبغ فى جهنم صبغة؛ ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيـقول: لا والله يا رب، ويُؤتَى بأشد الناس بؤسًـا فى الدنيا من أهل الجنة،

---

(١) سورة الزخرف: الآية: (٣٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

فيُصبغ فى الجنة صبغة؛ فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مَرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مَرَّ بى بؤسٌ قط، ولا رأيت شدة قط»(١).

٤- أن تتوكل على الله (جل وعلا):

ومن تسلية أهل المصائب: أن يستعينوا بالله ويتكلوا عليه، ويتعزوا بعزاء الله تعالى، ويمتثلوا أمره فى الاستعانة بالصبر والصلاة.

وفى حديث أنس بن مالك قال: ألا أحدثكم بحديث لا يحدثكم به أحد غيرى؟ كنا عند رسول الله ﷺ جلوسًا فضحك، فقال: **«تدرون مِمَّ ضحكتُ؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«عجبت للمؤمن إن الله تعالى لم يقضِ له قضاء إلا كان خيرًا له»**(٢).

قال بعض الحكماء: إن لله عبادًا يستقبلون المصائب بالبِشر قال: فقال: أولئك الذين صفت من الدنيا قلوبهم.

٥- أن تحمد الله على أن المصيبة لم تكن فى الدين:

فكل مصيبة فى دنيا الإنسان قد تُعوَّض بخير منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تُعوض، ولذلك حين خُير يوسف - عليه السلام - بين أن يُصاب فى دنياه فيُسجن ويكون من الصاغرين، وأن يُصاب فى دينه فيصبو إلى النسوة ويكون من الجاهلين.

حين خُير يوسف بين الأمرين كان لابد أن يختار مصيبة الدنيا، فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾(٣).

وكان ﷺ يُعلم أمته هذا الدعاء: «.... ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا....»(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) صحيح: رواه أبو نعيم وأبو يعلى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩٨٥).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٣٣).

(٤) حسن: رواه الترمذى والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٦٨).

وبالجملة. . فالمصيبة فى الدين من أعظم مصائب الدنيا والآخرة، وهى نهاية الخسران الذى لا ربح معه، والحرمان الذى لا طمع معه.

وقد حكى ابن أبى الدنيا عن شريح أنه قال: «إنى لأُصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكر»:

إذ لم تكن أعظم مما هى، وإذ رزقنى الصبر عليها، وإذ وفقنى للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، وإذ لم يجعلها فى دينى.

ومن أعظم المصائب فى الدين موت النبى ﷺ ؛ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم؛ لأن بموته ﷺ انقطع الوحى من السماء إلى يوم القيامة، وانقطعت النبوات، وكان موته أول ظهور الشر والفساد، بارتداد العرب عن الدين، فهو أول انقطاع عُرى الدين ونقصانه، وفيها غاية التسلية عن كل مصيبة تصيب العبد، وغير ذلك من الأمور التى لا أحصيها.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا.

قال ﷺ : «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بى، فإنها من أعظم المصائب»(١).

ولقد أحسن أبو العتاهية فى نَظْمِه موافقًا لهذا الحديث، حيث يقول:

اصبر لكل مُصيبة وتجلد
واعلَم بأن المرء غيرُ مخلدِ
أوَ ما ترى أن المصائبَ جَمَّةٌ
وترى المنية للعباد بمرصدِ
من لم يُصب ممن ترى بمصيبة
هذا سبيل لست عنه بأوحدِ

---

(١) صحيح: رواه ابن عدى فى الكامل والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٧).

فـإذا ذكــرت مـحــمـدًا ومـصــابه

فـاجـعل مـصـابك بـالنبى مـحـمـد

٦- أن تعلم بأن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها:

وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة، بل يضاعفها، وهو فى الحقيقة يزيد فى مصيبته، بل يعلم المصاب أن الجزع يشمتُ عدوه، ويسوءُ صديقه، ويُغضب ربه، ويسرُّ شـيطانه، ويحبـط أجره، ويضعف نفـسه. وإذا صـبر واحتسب أخـزى شيطانه، وأرضى ربه، وسَرَّ صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخـوانه وعـزَّاهم هو قـبـل أن يعـزوه؛ فـهـذا هو الثـبـات فى الأمـر الدينى. . . . قال النبى ﷺ: «**إنما الصبر عند أول الصدمة**»(١).

وكانت امرأة من العابدات بالبصرة تُصاب المصائب فلا تجزع، فذكروا لها ذلك، فقالت: ما أُصاب بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت فى عينى أصغر من الذباب.

٧- أن تعلم بأن المصائب تُخلِّص العبد من الكبر والعجب:

وليعلم أهل المصائب أنه لولا محنُ الدنيا ومصائبها، لأصاب العبد من أدواء الكبر والعـجب والفرعنة وقسـوة القلب ما هو سبب هلاكه عـاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده فى الأحيان بأنواع من أدوية المصائب، تكون حـميـة له من هذه الأدواء وحـفظًا لصـحة عـبوديتـه، واستـفراغًا للمـواد الفاسدة الرديـئة المهلكة، فسـبحان من يـرحم ببلائه، ويبتلى بنعمائه.

قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾(٢).

فمن كمال رحمـة الله أن يبتلى العبد ليشعر العبد بأنه عـبدٌ وأنه يستمد عزته من التذلل لله - جـل وعلا - ويستمد قوته مـن اللجوء والتوكل على

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٨٣) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٦) كتاب الجنائز.

(٢) سورة العلق: الآيتان: (٦-٧).

الله ويستمد أسباب حياته كلها من افتقاره إلى الملك جل جلاله.

٨- قد يكون الخير كله في تلك المصائب:

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(١)].

وقال تعالى في حديث الإفك: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[(٢)].

*** يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -:**

في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد.

٩- أن تعلم بأن البلاء قد يرفعك في درجات الجنة:

قال ﷺ: «إن الرجل ليكون له المنزلةُ عند الله فما يبلغُها بعملٍ، فلا يزالُ اللهُ يبتليه بما يكرهُ حتى يُبلغه إياها»[(٣)].

فقد يكون عملك الصالح لا يبلغك تلك الدرجة في الجنة... والله - عز وجل - يريد أن يرفعك إلى تلك الدرجة في الجنة فيبتليك ليرفع درجتك في الجنة التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

١٠- الحبيب ﷺ علَّمنا كلمات الفرج:

قال ﷺ: **«ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حُكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي،**

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢١٦).

(٢) سورة النور: الآية: (١١).

(٣) حسن: رواه الحاكم وابن حبان، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٥).

ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا» قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: **«بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها»** (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما **أن رسول الله ﷺ كان يقولُ عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات وربِّ الأرض وربُّ العرش الكريم»** (٢).

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبى ﷺ أنه كان إذا كربهُ أمرٌ قال: **«يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيثُ»** (٣).

وعن أبى بكرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«دعواتُ المكروب: اللهم رحمتك أرجُو، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عينٍ، وأصلح لى شأنى كُله، لا إله إلا أنت»** (٤).

١١- التحصن بالعلم النافع:

قد يحصل للعابد الجاهل بمصيبته، من الجزع ما يسوء الناظر إليه والسامع عنه من الاعتراض على الأقدار.

فلا شيء أنفع من العلم؛ لأن العالم لو حصل له هلعٌ شديد فى مصيبته، يعلم أنها زَلة منه، فيدرى كيف يتنفس؛ والعابد الجاهل كلما غاص إلى أسفل يظن أنه صاعد إلى فوق.

١٢- أن تعلم بأن الله يعوّضك بصبرك واحتسابك:

ومما يُسلى أهل المصائب: أن المصاب إذا صبر واحتسب، وركن إلى

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد وقال الحافظ فى تخريج الأذكار: حديث حسن - وانظر التوسل للألبانى (ص:١٣٣)، والسلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٧٤٢٦) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) **حسن:** رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٧٧٧).

(٤) **حسن:** رواه أحمد وأبو داود، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٨٨).

كريم، رجاء أن يخلف الله تعالى عليه، ويعوضه عن مصابه؛ فإن الله تعالى لا يخيبه، بل يعوضه؛ فإنه عن كل شيء عِوض إلا الله تعالى، فما عنه عوض.

١٣- معرفة فضيلة الصبر من كتاب الله (جل وعلا):

إن التعرف على فضائل الصبر تجعل المصاب يتسلى ويصبر ليظفر بفضائل الصبر وليكون من الصابرين.

وإن الله تعالى علق الفلاح بالصبر والتقوى فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وأخبر بمضاعفة أجر الصابرين، فقال تعالى: **﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2].**

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

وعلق الإمامة في الدين بالصبر واليقين فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[4].

وجعل الصابرين يفوزون بمعيته (سبحانه وتعالى): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[5].

وعلق النصر بالصبر والتقوى فقال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[6].

وأخبر عن محبته للصابرين فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[7].

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار من نصيب الصابرين، فقال تعالى:

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٢٠٠).

(٢) سورة القصص: الآية: (٥٤).

(٣) سورة الزمر: الآية: (١٠).

(٤) سورة السجدة: الآية: (٢٤).

(٥) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٦) سورة آل عمران: الآية: (١٢٥).

(٧) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(١).

١٤- التعرف على فضيلة الصبر من سُنة الحبيب ﷺ:

قال ﷺ: «.. والصبر ضياء»(٢).

وقال ﷺ: «.... ومن يتصبر يُصبّره الله وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»(٣).

وعن أبي يحيى صُهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كُلَّهُ له خيرٌ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبر فكان خيرًا له»(٤).

* وروى البخاري أن النبي ﷺ قال: «يقولُ الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صفيَّهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»(٥).

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إن الله عز وجل قال: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر عوضتُّهُ منهما الجنة»(٦). يُريدُ: عينيه.

وقال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»(٧).

١٥- التعرف على فضيلة الصبر من كلام الصحابة والتابعين وأفعالهم:

لما مرض أبو بكر رضي الله عنه فعادوه فقالوا: «ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: (١١١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٦٤٢٤) كتاب الرقاق.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٥٦٥٣) كتاب المرضى.

(٧) صحيح: رواه الترمذي وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨١٥).

رآني الطبيب. قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: إني فعَّال لما أُريد؟

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: وجدنا خير عيشنا بالصبر، وقال أيضًا: أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له... وقال: الصبر مطية لا تكبو».

وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبدٍ كريم عنده.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه.

وروى الحافظ ابن عساكر أنه مات لرجل من السلف ولد، فعزاه سفيان ابن عيينة ومسلم بن خالد وآخرون، وهو في حزن شديد، حتى جاءه الفضيل بن عياض فقال: يا هذا أرأيت لو كنت في سجن وابنك، فأُفرج عن ابنك قبلك، أما كنت تفرح؟ قال: بلى. قال: فإن ابنك خرج من سجن الدنيا قبلك، فسُرِّي عن الرجل وقال: تعزيتُ.

١٦- معرفة أحوال السلف الصالح عند المصائب ومتابعتهم:

ينبغي للمصاب بنفسه أو بولده أو بغيرهما، أن يجعل في المرض مكان الأنين ذكرهُ الله تعالى، والاستغفار والتعبُّد؛ فإن السلف رحمهم الله تعالى كانوا يكرهون الشكوى إلى الخلق.

وعن أبي محمد الحريري قال: حضرتُ عند الجنيد قبل وفاته بساعتين، فلم يزل تاليًا وساجدًا، فقلت له: يا أبا القاسم، قد بلغ ما أرى من الجهد، فقال: يا أبا محمد، أحوج ما كنتُ إليه هذه الساعة؛ فلم يزل كذلك حتى فارق الدنيا.

وكان صلة بن أشيم فى مغزى له ومعه ابنه، فقال: أى بُنى تقدَّم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم فقُتل، فاجتمع النساء عند أمه معاذة العدوية، فقالت: مرحبًا، إن كنتن جئتن تهنئننى، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

وقال شقيق البلخى: من شكا مصيبة به إلى غير الله، لم يجد فى قلبه لطاعة الله حلاوة أبدًا.

وقال بعض الحكماء: كنوز البر كتمان المصائب.

١٧- أن الله يغفر الذنوب ويمحص القلوب بتلك الابتلاءات:

قال رسول الله ﷺ: **«ما يصيب المسلم من نَصَب ولا وَصَب ولا همّ ولا حزن ولا أذى ولا غمّ حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»**[(١)].

وقال ﷺ: **«إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافَى به يوم القيامة»**[(٢)].

١٨- أن تعلم بأنك مسافر.. والسفر كله مشقة:

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: الناس منذ خُلقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حطٌّ عن رحالهم إلا فى الجنة أو النار، والعاقل يعلم أن السفر مبنىٌّ على المشقة وركوب الأخطار. ومن المحال عادة أن يُطلب فيه نعيمٌ ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر، ومن المعلوم أن كل وطاة قدمٍ أو كل آن من آنات السفر غيرُ واقفة، ولا المكلَّفُ واقف، وقد ثبت أنه مسافر على الحال التى يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد الموصل، وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٦٤٢) كتاب المرضى.

(٢) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٨).

(٣) الفوائد: (ص: ٢٧٠).

١٩- أن تعلم بأن تشديد البلاء يخص الأخيار:

قال ﷺ : «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صُلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقةٌ ابتُلى على قدر دينه فما يبرحُ البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من يُرد الله به خيراً يُصبْ منه»(٢).

٢٠- معرفة حقيقة الدنيا:

المؤمن يعلم أن الدنيا فانية، ومتاعها قليل، وما فيها من لذة فهى مكدرة ولا تصفو لأحد. إن أضحكت قليلاً أبكت طويلاً، وإن أعطت يسيراً منعت كثيرًا، والمؤمن فيها محبوس، كما قال رسول الله ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»(٣).

إن هذا المعنى الذى يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا يُهوِّن عليه كثيراً من وقع المصاب وألم الغم، ونكد الهم؛ لأنه يعلم أنه أمر لابد منه فهو من طبيعة هذه الحياة.

٢١- أنك ربما تتعرض لرحمة من رحمات الله بكثرة الدعاء:

ومما يتسلى به المصاب: تعرُّضه إلى مَن القلوب بين أصبعيه وأزمِّة الأمور بيديه وانتهاء كل شىء إليه على الدوام، فلعله أن يصادف أوقات النفحات، كما فى الأثر المعروف: إن لله فى أيام دهره نفحات فتعرضوا لنفحاته، واسألوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم، ولعله فى كثرة تعرُّضه أن يصادف ساعة من الساعات التى لا يُسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه. فمن أُعطى

---

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٩٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٤٥) كتاب المرضى.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

منشور الدعاء أعطى الإجابة، فإنه لو لم يُرد إجابته لما ألهمه الدعاء كما قيل:

لو لم تُرد نيل ما أرجو وأطلُبُهُ
من جُود كفك ما عودتنى الطلبا

٢٢- أن تعلم الغاية التى خلقك الله من أجلها:

ومما يتسلى به المصاب أن يعلم أن الله سبحانه خلقه لبقاءٍ لا فناء له، ولعزٍّ لا ذل معه وأمن لا خوف فيه، وغناء لا فقر معه، ولذة لا ألم معها، وكمال لا نقص فيه، وامتحنه فى هذه الدار بالبقاء الذى يسرع إليه الفناء، والعز الذى يقارنه الذل ويعقبه الذل، والأمن الذى معه الخوف وبعده الخوف. وكذلك الغناء واللذة والفرح والسرور والنعيم الذى هنا مشوب بضده؛ لأنه يتعقبه ضده وهو سريع الزوال، فغلط أكثر الخلق فى هذا المقام إذ طلبوا النعيم والبقاء والعز والملك والجاه فى غير محله ففاتهم فى محله، وأكثرهم لم يظفر بما طلبه من ذلك، والذى ظفر به إنما هو متاع قليل والزوال قريب فإنه سريع الزوال عنه، والرسل صلوات الله وسلامه عليهم إنما جاءوا بالدعوة إلى النعيم المقيم والملك الكبير، فمن أجابهم حصل له ألذ ما فى الدنيا وأطيبه، فكان عيشه فيها أطيب من عيش الملوك فمن دونهم[١].

٢٣- أن تعلم قدر النعمة بمشهد البلاء والعافية:

إن مشهد البلاء والعافية يجعل العبد يعرف قدر النعمة؛ فإن البلاء فى الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها... والعافية المطلقة هى الطاعات وعواقبها، فأهل البلاء هم أهل المعصية عوفيت أبدانهم، وأهل العافية هم أهل الطاعة وإن مرضت أبدانهم.

٢٤- الفوز بمحبة الله (جل وعلا) ومعيته:

وإذا كان الصبر على تلك المصائب والابتلاءات تجلب للعبد أعظم نعمة

---

(١) عدة الصابرين (ص: ٩٥).

ألا وهى: معية الله. . . فأهلاً ومرحبًا بالبلاء، فوالله إن إحساس العبد بمعية الله (جل وعلا) تجعله ينسى الألم والمشقة والعذاب، بل تجعله يستعذب العذاب فى سبيل الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[(٢)].

٢٥- أن تعلم بأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر:

ينبغى للعبد أن لا ينكر فى هذه الدنيا وقوع هذه المصائب، فكلٌ ما يظن فى الدنيا أنه شراب فهو سراب، وعمارتها وإن حسنت صورتها خراب، وجَمْعُها فهو للذهاب.

قال أبو الفرج بن الجوزى: ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تُعتور فيها الأمراض والأكدار، ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار، فآدم يعانى المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسى فرعون ويَلقى من قِومه المحن، وعيسى ابن مريم لا مأوى له، إلا البرارى فى العيش الضنك، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين يصابر الفقر، وقَتْل عمه حمزة، وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه. . . وقد قال النبى ﷺ : **«الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»[(٣)].**

٢٦- أن تتذكر نعم الله التى لا تُعد ولا تُحصى:

وإن مما يتسلى به المصاب فى مصيبته أن يتذكر نِعم الله عليه التى لا تُعد ولا تُحصى. . . وكفى بالإسلام نعمة.

مَرَّ رجلٌ على واحدٍ من السلف الصالح وقد قُطعت يداه ورجلاه، ومع

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

ذلك يبتسم ويقول: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرًا من الناس. فتعجب الرجل وقال له: وأى شيء عافاك الله منه؟!! فقال الرجل الصالح: عافانى من الشرك وأنعم علىَّ بنعمة التوحيد والإيمان.. ألا تستحق تلك النعمة أن أسجد لله شكرًا؟!.

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٢).

بل إن أيوب (عليه السلام) لما مكث فى بلواه ثمانى عشرة سنة فقالت له امرأته: يا أيوب.. لو دعوت ربك لفرج عنك. فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحًا فهل قليلٌ لله أن أصبر له سبعين سنة؟

فيا لها من كلمات نهديها لكل مسلمٍ مبتلى لتربط على قلبه ولتكون بلسمًا لآلامه وجراحه.

ولعلنا نذكر قول عروة بن الزبير - رحمه الله - عندما قُطعت رجله ومات ابنه فقال: اللهم لك الحمد، إن كنت قد ابتليت فكم عافيت، وإن كنت قد أخذت فكم أعطيت.... فالذى دفعه إلى الحمد بعد الرضا بقضاء الله أنه لم ينسَ نعم الله عليه.

٢٧- أن تعلم أنك مملوك، وليس للمملوك فى نفسه شىء:

ومما يتسلى به المصاب فى مصيبته أن يعلم أنه مملوك وليس للمملوك فى نفسه شيء... فإذا أنعم الله عليه بنعمة فعليه أن يتوجه إليه بالشكر وكثرة الطاعات، وإذا ابتلاه الله ببلاءٍ فما عليه إلا أن يصبر ويرضى ويرجو من الله أن يكافئه على صبره ورضاه.

(١) سورة النحل: الآية: (١٨).

(٢) سورة يونس: الآية: (٥٨).

٢٨- أن ترضى بما رضيه لك الخالق (جل وعلا):

لابد أن تعلم أيها الأخ الحبيب أن الله لا يختار لعبده إلا أفضل الأشياء، وأن الله هو الذى يعلم ما يُصلح العبد وما يُفسده. . أما العبد فنظرته قاصرة؛ لأنه لا يعلم عواقب الأمور.

فإذا علمت هذا فما عليك إلا أن ترضى بما رضيه لك الخالق (جل وعلا) وأن تحمده فى كل الأحوال فهو أرحم بك من الأم بطفلها الرضيع.

٢٩- أن تعلم أن الله لا يبتليك ليعذبك وإنما ليطهرك ويقربك:

ومما يتسلى به المصاب: أن يوطن نفسه على أن كل مصيبة تأتيه هى من عند الله، وأنها بقضائه وقدره، وأنه سبحانه وتعالى لم يقدرها عليه ليهلكه بها ولا ليعذبه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه.

قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾(١).

٣٠- أن تعلم أن المصيبة ثابتة.. فلا تعترض على أمر الله:

فالعاقل هو الذى يعلم أن المصيبة إذا وقعت فلا فائدة من الاعتراض على أمر الله (جل وعلا). . . فعليه حينئذ أن يرضى ويُسلِّم ليفوز بالأجر والثواب بدلاً من أن يتسخط على أمر الله فيبوء بالذنب والبلاء فى آنٍ واحد.

٣١- أن الله قد يحيى قلبك بهذا البلاء:

وهذا أمرٌ نشاهده كثيرًا. . . فقد يكون العبد بعيدًا عن طاعة الله - جل وعلا - فإذا سلط الله عليه البلاء عاد العبد إلى ربه وقام لينفض غبار الغفلة ويرفع يديه بالدعاء والإنابة والتوبة. . وإذا به يصبح عابدًا صائمًا قائمًا، بل وقد يصبح داعية إلى الله (جل وعلا).

وقد يحيى الله قلب عبدٍ بموت عبدٍ آخر، كما حدث فى قصة الرجل

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٧).

الذى كان يشرب الخمر ويفعل الفواحش فلما ماتت ابنته كان موتها سببًا لتوبته وعودته إلى الله تعالى.

٣٢- أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك:

ومن الأشياء التى يتسلى بها المصاب أن يرضى بقضاء الله لأن الإيمان بالقضاء والقدر يُهون على المؤمنين البلاء، وذلك لأنهم يعلمون أن ما ينزل بهم من مصائب وفق قدرٍ معلوم وقضاءٍ مرسوم وحكمة أزلية، وأن الله تعالى يُقدر ويلطف ويبتلى ويخفف.

ومن هنا يوقن العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2].

وقال ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»[3].

وقال ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»[4].

وقال ﷺ: «لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غيرُ ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحد ذهبًا فى سبيل الله ما قَبِله اللهُ منك حتى تُؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكُن

---

(١) سورة التغابن: الآية: (١١).

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر.

ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، ولو مُت على غير هذا لدخلت النار»(١).

٣٣- أن تتذكر ما فى البلاء من اللطائف والفوائد:

ومن بين تلك الفوائد التى يجنيـها العبد من البلاء: تذكيـر العبد بذنوبه فربما تاب منها إلى الله عز وجل.

قال بعض السلف: إن العبد ليمرض فيـذكر ذنوبه فيخرج منه مثل رأس الذباب من خشية الله فيُغفر له.

* ومنها زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها وانكسار العبد لله عز وجل، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

* ومنها أنهـا توجب من العبد الـرجوع إلى الله عز وجل والوقـوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد الابتلاء... وفى بعض الآثار: إن الله ليبتلى العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه.. وكان بعض السلف إذا فُتح له فى الدعاء عند الشدائد لم يحب تعجيل إجابته خشية أن يُقطع عما فُتح له.

* ومنها أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق، ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

وقـد حكى الله عن المشركـين إخلاص الـدعاء له عند الشـدائد فكيف بالمؤمن... فالبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه، وذلك أعلى المقامات وأشرف الدرجات.

* **ومنها:** رحمـة أهل البلاء ومـساعـدتهم على بلواهم، فإن العـبد إذا أحسَّ بألم الابتلاء رَقَّ قلبه لأهل البلاء ورحمهم.

* **ومنها:** معرفة قدر نعـمة العافية، فإن النعم لا تُعرف أقدارها إلا بعد فقدها، فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض.

٣٤- أن تعلم أن بعد العسر يُسراً:

ومما يتسلى بـه المصاب أن يُحسن الظن بالله (جل وعـلا) ويعلم أن الله

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٤٤).

سيجعل له فرجًا ومخرجًا، فقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١].

وقال ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا»[٢].

٣٥- التطلع إلى نعيم الجنة:

ومن تسلية أهل المصائب: أن ينظر المصاب ويفرق بين أعظم اللذتين والتمتعين: تمتع الحياة الدنيا الفانية، وتمتع الدار الآخرة الباقية... قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٣].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[٤]، وأي شيء حصل له من القليل؟

وقال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثلُ ما يجعلُ أحدكم أصبعهُ في اليم فلينظر بِمَ يرجعُ؟»[٥].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٦]»[٧].

---

(١) سورة الشرح: الآيتان: (٥، ٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٨٢).

(٣) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٤) سورة النساء: الآية: (٧٧).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٦) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٧٩) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

كلمة أخيرة

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

كانت هذه الرسالة القصيرة بمثابة دمعة نُطفئ بها نار الغُربة التى نعيشها فى هذا الزمان ولنتصبر بها جميعًا إلى أن يأذن الله لنا بالرحيل من هذه الدنيا المليئة بالآلام والأحزان لنكون فى صُحبة الحبيب ﷺ وأصحابه ﷺ فى جنات النعيم التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

هناك فى تلك الجنة يَجْبُر الله كسرنا ويداوى جراحاتنا، ويعوضنا بكل أنواع اللذة والنعيم... نعم والله فهو ربنا الذى وسعت رحمته كل شىء.

فإلى كل مسلم ومسلمة... إلى كل من ابتلاه الله بأى بلاء من موت الأحباب وفقد الأموال والأولاد... إلى كل محزون ومريضٍ وفقير ومُصابٍ. إلى كل من نفعه الله بتلك الكلمات فتصبَّر ورضى بقضاء الله.

إلى كل هؤلاء أقول: إننى أرجو من الله تعالى أن يجمعنا فى جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين... فأرجو ألا ينسانى واحدٌ منكم من دعائه بأن يغفر الله لى ويرحمنى وأن يتقبل أعمالى، وأن يحشرنى فى زُمرة المتقين.

وسوف يأتيك الجواب من الملك الموكل بدعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب، وسيقول لك: آمين ولك بمثل.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



تعلق القلب بالآخرة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[٣].

أما بعد:

ففى هذا الزمان الذى كثرت فيه الشبهات والشهوات وابتعدت فيه قلوبٌ كثيرة عن طاعة رب الأرض والسماوات فكانت الغفلة عن الآخرة بدءًا من الموت وانتهاءاً بالنار أو الجنات فكان لزامًا علينا أن نقف وقفة مع تلك القلوب لعلها تستيقظ من هذا السُبات فتنقاد ومن خلفها الجوارح إلى طاعة رب الأرض والسماوات لتنعم بالنعيم والرضوان فى الدنيا وفى الجنات.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

فهذه رسالة قصيرة جمعت فيها ما تيسر عن القلوب وأحوالها، وعن الطريق إلى صلاح تلك القلوب وعودتها إلى بارئها - جل وعلا -.

أقول فى بداية تلك الرسالة ﴿لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ فإن القلوب إذا مرضت أو ماتت فإن حياتها وصحتها بيد الله الذى رحمته وسعت كل شيء.

ومهما عظمت ذنوبك أيها الأخ الحبيب - فهى شيء - وستسعها رحمة الله «جل وعلا» ولذلك فإن الله (عز وجل) لما قال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١) قال بعدها: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢) فكما أن الله يُحيى الأرض بعد موتها فإنه يحيى القلوب أيضًا بعد موتها.

فأسأل الله أن يُحيى قلوبنا بالإيمان والعمل الصالح وأن يرزقنا جميعًا حُسن الخاتمة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة الحديد: الآية: (١٦).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٧).

القلوب ثلاثة

القلوب ثلاثة: قلب خالٍ من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه لأنه قد اتخذه بيتًا ووطنا وتحكَّم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن.

القلب الثانى: قلب قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال. وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر. ومنهم من هو تارة وتارة.

القلب الثالث: قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حُجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره فى صدره إشراق، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء التى حُرست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخاطها رُجم فاحترق. وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء، والسماء متعبد الملائكة ومستقر الوحى وفيها أنوار الطاعات، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها، فهو حقيق أن يُحرس ويحفظ من كيد العدو فلا ينال منه شيئًا إلا خطفه.

وقد مثل ذلك بمثال حسن وهو ثلاثة بيوت: بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره، وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره، وليس كجواهر الملك وذخائره. وبيت خال صفر لا شىء فيه. فجاء اللص يسرق من أحد البيوت فمن أيها يسرق؟ فإن قلت من البيت الخالى كان مُحالاً لأن البيت الخالى ليس فيه شىء يُسرق، لهذا قيل لابن عباس ﷺ، إن اليهود تزعم

أنها لا تُوسوَس فى صلاتها، فقال: وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب؟ وإن قلت: يسرق من بيت الملك كان ذلك كالمستحيل الممتنع، فإن عليه من الحرس ما لا يستطيع اللص الدنو منه، كيف وحارسه الملك بنفسه؟ وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند ما حوله؟ فلم يبق للص إلا البيت الثالث فهو الذى يشن عليه الغارات.

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل ولينزله على القلوب فإنها على منواله.

فقلب خلا من الخير كله وهو قلب الكافر والمنافق فذلك بيت الشيطان قد احرزه لنفسه واستوطنه واتخذه سكنًا ومستقراً، فأى شيء يسرق منه وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه.

وقلب قد امتلأ من جلال الله عز وجل وعظمته ومحبته ومراقبته والحياء منه، فأى شيطان يجترئ على هذا القلب؟ وإن أراد سرقة شيء منه فماذا يسرق، وغايته أن يظفر فى الأحايين منه بخطفة ونهب يحصل له على غرة من العبد وغفلة لا بد له، إذ هو بشر وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع[١].

اطلب قلبك فى ثلاثة مواطن

قال ابن مسعود رضي الله عنه: اطلب قلبك فى ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن وفى مجالس الذكر وفى أوقات الخلوة فإن لم تجده فى هذه المواطن فسل الله أن يَمُنَّ عليك بقلبٍ فإنه لا قلب لك.

تالله لقد قست قلوبنا فما هى بالقلوب التى تخشع عند سماع القرآن ولا هى بالقلوب التى تطمئن عند ذكر الله ولا هى بالقلوب التى تراقب الله فى

(١) الوابل الصيب / للإمام ابن القيم (ص: ٤٠، ٤١).

الخلوة. . . إننا فى حاجـة شديدة لتجديد الإيمان فى قلوبـنا ولذلك أخبرنا الحبيب ﷺ بهذا الداء العُـضال وبالدواء الناجع فقال ﷺ : **«إن الإيمان ليخلقُ فى جوف أحدكم كما يخلقُ الثـوب فاسألوا الله تعالى: أن يجدد الإيمان فى قلوبكم»**(١) فاللهم جدِّد الإيمان فى قلوبنا.

القلب هو الملك

إن الملك (اللـه) لا يريد من الإنسـان إلا المـلك (القلب). فـالله (جل وعلا) يريد من العبد أن يلقاه بقلبٍ سليمٍ مملوءٍ بالصدق والإخلاص واليقين والتوكل والإنابة ولذلك أثنى على خليلـه إبراهيم ﷺ فقال: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

ولذا كان من دعاء الحبيب ﷺ : «اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر لسانى ومن شر قلبى ومن شر مَنِيِّى»(٢).

وكان يقول ﷺ : «.... ونقِّ قلبى من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب»(٣).

* ولمعرفة قدر هذا القلب وضح الحبيب ﷺ أن القلب هو الملك الذى بصلاحه تنصلح كل الجوارح.

قال ﷺ : «الحَلالُ بيِّنٌ والحـرام بيِّنٌ وبينهُما مُـشبَّهاتٌ لا يعـلمُها كثـيرٌ من الناس فمن اتقى الشُبـهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فـى الشُبهات وقع فى

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١/ ٥٢)، والحاكم (١/ ٤٥، رقم ٥)، وصـححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٩٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٥٥١) كتـاب الصلاة، والحـاكم، والترمـذى (٣٤٩٢) كتـاب الدعوات، والنسائى (٥٤٤٤) كـتاب الاستعاذة، وأحـمد (١٥١١٣) مسند المكيـين، وصححه العلامـة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٩٢).

(٣) متـفق عليه: رواه البخـارى (٦٣٦٨) كتاب الدعوات، ومـسلم (٥٨٩) كتاب الذكر والدعـاء والتوبة والاستغفار.

الحرام كراعٍ يـرعى حول الحمى يوشك أن يواقعـه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله فى أرضه مـحارمهُ ألا وإن فى الجسد مُضغـةً إذا صلحت صلح الجسدُ كُله وإذا فسدت فسد الجسد كُله ألا وهى القلبُ»[١].

فالقلب وحده هو الذى يشعر بالحلال والحرام وهو الذى إن صلح يجعل الجوارح تنقاد إلى الحـلال. . . وإن فسد يجعلهـا تنقاد إلى الحرام ومن أجل ذلك سُمى (الملك).

* وروى مسلم عن النواس بن سـمـعـان ﷺ قـال: سألت رسـول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «البر حُسن الخلق. والإثم: ما حـاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[٢].

من علامات السعادة والشقاوة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

من عـلامات السـعادة والفـلاح: أن العبـد كلما زيدَ فى علمـه زيدَ فى تواضعه ورحمته. وكلمـا زيد فى عمله زيد فى خوفه وحذره. وكلما زيد فى عمره نقص من حرصه. وكلما زيد فى ماله زيد فى سخائه وبذله. وكلما زيد فى قدره وجاهه زيد فى قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم.

وعلامات الشقاوة: أنه كلما زيد فى علمه زيد فى كـبره وتيهه، وكلما زيد فى عمله زيد فى فخره واحتـقاره للناس وحُسن ظنه بنفسه، وكلما زيد فى عمره زيد فى حرصه، وكلما زيد فى ماله زيد فى بخله وإمساكه، وكلما زيد فى قـدره وجاهـه زيد فى كبـره وتيـهه. وهذه الأمـور ابتـلاء من الله وامتحان يبتلى بها عباده، فيسعد بها أقوام ويشقى بها أقوام[٣].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) الفوائد (ص: ٢٢٥ - ٢٢٦).

رحلة مع القلب

إن القلب هو محل النية بالنسبة للعمل الصالح أو لغيره... وهو فى الآخرة محل الحساب.

والنية بالنسبة للعمل كالرأس بالنسبة للجسد فكما أنه لا حياة للجسد بلا رأس فكذلك لا يصلح العمل بغير نية صالحة. ولذلك كان خير المال - قلبٌ شاكر -.

عن ثوبان قال: لما نزلت (والذين يكنزُون الذهب والفضة) قال كُنا مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أُنزل فى الذهب والفضة ما أنزل لو علمنا أى المال خيرٌ فنتخذهُ؟ فقال: أفضلُهُ لسانٌ ذاكرٌ وقلبٌ شاكرٌ وزوجةٌ مُؤمنةٌ تُعينُهُ على إيمانه»[(١)].

- فلا ينتفع بالقرآن إلا من كان له قلبٌ حيٌ يستقبل هذا الخير والنور والهدى... قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[(٢)].

- بل ولا تنفع ولا تؤثر الموعظة إلا من أصحاب القلوب الرحيمة.

قال تعالى للحبيب ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[(٣)].

- فإذا جاءت الموعظة ولامست أسماع أصحاب القلوب الحية فإن قلوبهم تطمئن وتخشع وتلين.

---

(١) صحيح لغيره: رواه الترمذى (٣٠٩٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (١٨٥٦) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٤٩٩)، وقال: صحيح لغيره.

(٢) سورة ق: الآية: (٣٧).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

- قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [١] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢].

أما أصحاب القلوب الميتة والقاسية والمريضة فقد قال تعالى عنهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [٣].

- وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [٤] وقال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [٥].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٦].

فهذا الصنف من البشر إن لم يتب ويرجع إلى الله فإن الله يطبع على قلبه فيصبح جسدًا بلا قلب كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [٧] وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [٨] .

وقال تعالى: ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [٩].

---

(١) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٢).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٢٢).

(٤) سورة الحج: الآية: (٤٦).

(٥) سورة البقرة: الآية: (١٠).

(٦) سورة البقرة: الآية: (٧٤).

(٧) سورة الأعراف: الآية: (١٧٩).

(٨) سورة الصف: الآية: (٥).

(٩) سورة المطففين: الآية: (١٤).

وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٣).

وقال ﷺ: «من ترك ثلاث جُمع - صلاة الجمعة - تهاونًا بها طبع الله على قلبه»(٤).

وفي رواية: «من ترك ثلاث جمعات من غير عُذرٍ كُتب من المنافقين»(٥).

* وجعل الله القلب مفتاح كل خير ومفتاح كل شرٍ. فإن استحضر العبد بقلبه النية الصالحة كان مفتاحًا لكل خير وإن استحضر النية الخبيثة كان مفتاحًا لكل شر.

ولذا قال ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(٦).

عن أبي هُريرة عن النبي ﷺ قال: «كُتب على ابن آدم نصيبُهُ من الزنا مُدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهُما النظرُ والأذنان زناهُما الاستماعُ واللسان زناهُ الكلامُ واليدُ زناها البطشُ والرجلُ زناها الخُطا والقلب يهوى ويتمنى ويُصدق ذلك الفرجُ ويُكذبهُ»(٧).

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٠١).

(٢) سورة الروم: الآية: (٥٩).

(٣) سورة غافر: الآية: (٣٥).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (١٠٥٢) كتاب الصلاة، والترمذي (٥٠٠) كتاب الجمعة، والنسائي (١٣٦٩) كتاب الجمعة، وابن ماجه (١١٢٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، والدارمي (١٥٧١) كتاب الصلاة، وأحمد (١٥٠٧٢) مسند المكيين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦١٤٣).

(٥) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (١/ ١٧٠، رقم ٤٢٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦١٤٤).

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦١٢) كتاب القدر، ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

* وهو أيضًا محل الأمانة والخيانة. . . ففى الحديث الذى رواه البخارى عن حُذيفة قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيتُ أحدهُما وأنا أنتظرُ الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم علمُوا من القُرآن ثم علموا من السُنة وحدثنا عن رفعها قال: «ينامُ الرجُلُ النومة فتُقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرُها مثل الوكت ثم ينامُ النومة فتقبضُ فيبقى أثرُها مثل المجل كجمر دحرجتهُ على رجلك فنفط فتراهُ مُنتبرًا وليس فيه شيءٌ فيُصبح الناسُ يتبايعون فلا يكادُ أحدٌ يؤدى الأمانة فيُقال إن فى بنى فلان رجلاً أمينًا ويُقالُ للرجُل ما أعقلهُ وما أظرفهُ وما أجلدهُ وما فى قلبه مثال حبة خردل من إيمان ولقد أتى علىَّ زمانٌ وما أبالى أيكُم بايعت لئن كان مُسلمًا ردَه علىَّ الإسلامُ وإن كان نصرانيًا ردَّه علىَّ ساعيه فأما اليوم فما كُنت أبايعُ إلا فلانًا وفلانًا»(١).

* والفتن لا تُعرض إلا على القلب لأن بفساده تفسد الجوارح كلها. . . .

قال حُذيفة سمعتُ رسُول الله ﷺ يقول: «تُعرضُ الفتن على القلُوب كالحصير عُودًا عُودًا فأى قلب أُشربها نُكت فيه نُكتةٌ سوداء وأى قلب أنكرها نُكت فيه نُكتةٌ بيضاءُ حتى تصيرَ على قلبين على قلب أبيض مثل الصفا فلا تضرُهُ فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مُربادًا كالكُوز مُجخيًا لا يعرف معروفًا ولا يُنكرُ مُنكرًا إلا ما أُشرب من هواهُ»(٢).

وعن أبى هُريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت فى قلبه نُكتةٌ سوداءُ فإذا هو نَزَعَ واستغفر وتاب سُقل قلبُهُ وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبهُ وهو الرانُ الذى ذكر الله ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٣)(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٩٧) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٤) كتاب الإيمان.

(٣) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٣٣٣٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٤٤) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٩٢) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٠).

- أما أهل الإيمان فإن الله (عز وجل) ملأ قلوبهم إيمانًا وزيَّنه في قلوبهم... ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1] وفتح لهم أبواب الهداية... قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [2].

وغرس في قلوب المؤمنين محبة لبعضهم البعض فقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[3].

وألهم أهل الإيمان أن يسألوه بأن يثبت قلوبهم على الإيمان بهذا الدعاء ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [4].

وأخبر الحبيب ﷺ بأن الإيمان لا يجتمع مع الحسد والشُح في قلب عبدٍ مؤمنٍ أبدًا.

عن أبي هُريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمعان في النار مُسلم قتل كافرًا ثُم سدَّد وقارب ولا يجتمعان في جوف مُؤمن غُبارٌ في سبيل الله وفَيْحُ جهنم ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسدُ»[5].

عن أبي هُريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع غُبار في سبيل الله ودُخانُ جهنم في جوف عبدٍ أبدًا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا»[6].

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (٧، ٨).

(٢) سورة التغابن: الآية: (١١).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٦٣).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (٨).

(٥) صحيح: رواه أحمد والنسائي والحاكم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٦٢٠).

(٦) صحيح: رواه النسائي (٣١١٠) كتاب الجهاد، والحاكم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٦١٦).

- وكان الحبيب ﷺ يبذل النصيحة لأصحابه ﷺ وللمؤمنين من بعدهم من أجل أن يحافظوا على قلوبهم من فتن الشهوات والشبهات ومن التعلق بزهرة الدنيا الفانية.

عن أنس بن مالك قال: قال رسُول الله ﷺ : «**من كانت الآخرةُ همه جعل الله غناهُ فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمةٌ ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقرهُ بين عينيه وفرق عليه شملهُ ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له**»(١).

* ولما تعلقت القلوب بالآخرة وتيقنت من أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة ظهرت الأخوة التى لم يعرف التاريخ لها مثيلاً - بين المهاجرين والأنصار - فكان الواحد منهم يحب الخير لأخيه مثلما يحبه لنفسه بل أكثر من ذلك.... ومن أجل ذلك كان واجبًا علينا أن نعرف قدر هذا الجيل الفريد وندعو لهم ليلاً ونهاراً بكل خير.

ولذا أخبر سبحانه وتعالى عن دعاء أهل الإيمان لمن سبقهم فقال (جل وعلا): ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ (٢).

- ولقد كان قلب الحبيب ﷺ هو أطهر قلب فى الدنيا كلها... فلقد استخرج جبريل عليه السلام حظ الشيطان من قلبه ﷺ وملأ قلبه إيمانًا وحكمة.

* ففى الصحيحين عن أنس بن مالك أن رسُول الله ﷺ أتاه جبريلُ وهُو يلعبُ مع الغلمان فأخذهُ فصرعهُ فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منهُ علقةً فقال: هذا حظ الشيطان منك ثُم غسلهُ فى طست من

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٠).

(٢) سورة الحشر: الآية: (١٠).

ذهبٍ بماء زمزم ثُم لأمه ثُـم أعادهُ في مكانه وجاء الغلمانُ يسـعون إلى أمه - يعني ظئرهُ: أي مُرضعته حليمة السعدية- فقالُوا: إن مُحمدًا قد قُتل فاستقبلوهُ وهُو مُنتقعُ اللون. . . قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره.

وفي رواية أخرى في الصحـيحين قال: «. . . . فاستخـرج قلبي فغُسل بماء زمزم ثُم أعيد مكانُه ثم حُشي إيمانًا وحكمة»[١].

وأمـره الله (عز وجل) بأن يقـرب إليـه أصحـاب القلوب الحيـة وأن لا يصحب أهل الغفلة الذين أعرضوا عن قبول الحق. . . فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [٢].

- وأخبر الحبيب ﷺ أن الساعة لا تقوم على أصحاب القلوب المؤمنة وإنما تقوم على شرار الناس.

- قال ﷺ: «لا تزالُ عصابةٌ من أمتي يُقـاتلُون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرُهُم من خالفهُم حتى تأتيهمُ الساعةُ وهُم على ذلك فقال - عبدُ الله بن عمرو - أجل يبعثُ الله بن عمرو ريـحًا كريح المسك مسُّها مسُّ الحرير فـلا تترك نفسًا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضتهُ ثم يبقى شرارُ الناس عليهم تقُوم الساعةُ»[٣].

وأخبر ﷺ أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[٤].

- وكان من بـين أوصاف أهل الجنة أن الرجل من أهل الجنة يملك قـلبًا خاشعًا يخـشى ربه بالغيب وإذا أذنب فهو مُنيب مسـارع إلى التوبة والعودة إلى الله.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥١٧) كتاب التوحيد، ومسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.

(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٢٤) كتاب الإمارة.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (١).

خوف الحبيب ﷺ على قلوب أصحابه

وها هو صاحب أطهر قلبٍ في هذا الكون - نبينا محمد ﷺ - يخشى على أصحابه من أن يقذف الشيطان في قلوبهم شيئًا يُخرجهم من دائرة الإيمان.

عن علي بن حُسين أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرتهُ أنها جاءت رسُول الله ﷺ تزورهُ وهُو مُعتكفٌ في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ثم قامت تنقلب فقام معها رسولُ الله ﷺ حتى إذا بلغ قريبًا من باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبي ﷺ مرَّ بهما رجُلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ ثم نفذا فقال لهُما رسول الله ﷺ: «**على رِسلكما هذه صفية..**» قالا: سبحان الله يا رسول الله وكَبُر عليهما ذلك فقال رسُول الله ﷺ: «**إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا**»(٢).

أصحاب القلوب الحية

وها هم أصحاب الحبيب ﷺ الذين لم يعرف الكون قلوبًا أطهر من قلوبهم بعد قلوب الأنبياء - صلوات ربي وسلامه عليهم -.

يقول علي بن أبي طالب عن الصحابة - وقد علته كآبةٌ -: لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فلم أر اليوم شيئًا يُشبههم، لقد كانوا يُصبحون شُعثًا

(١) سورة ق: الآيات: (٣١: ٣٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٣٥) كتاب الاعتكاف، ومسلم (٢١٧٥) كتاب السلام.

غُبرًا، بين أعينهم أمثالُ رُكب المعزى، قد باتوا لله سُجدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله فكأنى بالقوم باتوا غافلين. فما رُئى بعد ذلك ضاحكًا حتى ضربه ابن مُلجم.

* **وروى مسلم عن أنس قال:** قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ، فقالت: ما أبكى أن أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، ولكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[١].

وروى البخارى عن عائشة رضي الله عنها فى حديث الهجرة الطويل، وفيه: ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يُصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقذَّف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن.

* **وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى أن بلغ قوله:** ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾[٢] فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه - زاروه -... وقال لابنه وهو فى الموت: ويحك ضع خدى على الأرض عساه أن يرحمنى ثم قال: ويل أمى، إن لم يغفر الله لى، ثلاثًا ثم قضى - مات - وكان يمر بالآية فى ورده بالليل فتخيفه، فيبقى فى البيت أيامًا يُعاد، يحسبونه مريضًا، وكان فى وجهه رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء.

* وعن عبد الله بن الرومى، قال: «بلغنى أن عثمان رضي الله عنه قال: «لو أنى

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) سورة الطور: الآية: (٧).

بين الجنة والنار، ولا أدرى إلى أيتهما يؤمر بى، لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير».

* وقال علىّ رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطُول الأمل: فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مُدبرة، ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مُقبلة، ولكل واحدة منهم بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل»[1].

* ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دخل صومعته، وقام بين يدى الله جل وعلا صار من كثرة البكاء كالعصفور المبلل بماء المطر. فلقد كان كأبيه عظيم الخشية من الله.. شديد المراقبة له فى السر والعلن.

هكذا كانت قلوبهم عند سماع القرآن

* روى البخارى عن جُبير بن مُطعم رضي الله عنه قال سمعتُ النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾[2].

قال: كاد قلبى أن يطير.

بل إن عمر رضي الله عنه لما سمع رجلاً يقرأ سورة (الطور) فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾[3] نزل من على دابته وهو يبكى ويقول: قَسمٌ حقٌ ورب الكعبة... ومرض شهرًا كاملاً والناس لا يدرون ما به.

- بل مات على بن الفضيل من آية سمعها.

(١) صفة الصفوة / للإمام ابن الجوزى (١/ ١٣٠).
(٢) سورة الطور: الآيات: (٣٥- ٣٧).
(٣) سورة الطور: الآية: (٧).

وهكذا كانت قلوبهم حية بذكر اللـه (جل وعلا) وبسماع آياته وتفاعلهم معها قلبًا وقالبًا.

كلمات تكتب بمداد من النور

* ما ضُرب عبدٌ بعقوبة، أعظم من قسوة القلب، والبعد عن الله.
* خُلقت النار لإذابة القلوب القاسية.
* أبعد القلوب من الله القلب القاسى.
* إذا قسا القلب قحطت العين.
* قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة. كمـا أن البدن إذا مرض لم ينفع فيـه الطعام والشراب فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجح فيه المواعظ.
* ومن أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته.
* القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها.
* القلوب آنية الله فى أرضه، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها.
* إذا غُـذى القلبُ بالتذكـر، وسُقى بالـتفكر، ونُقى من الدغل - رأى العجائب، وأُلهم الحكمة.
* ليس كل من تحلى بالمعرفة والحكمة وانتـحلها كان من أهلها، بل أهل المعرفة والحكمة الذين أحيوا قلوبهم بقـتل الهوى. وأما من قتل قلبه فأحيى الهوى، فالمعرفة والحكمة عارية على لسانه.
* خراب القلب من الأمن والغفلة، وعمارته من الخشية والذكر.
* إذا زَهدَتِ القلوبُ فى مـوائد الدنيا، قعـدت على موائد الآخـرة بين أهل تلك الدعوة، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد.
* الشوق إلى الله ولقائه نسيم يهب على القلب يُروحُ عنه وهج الدنيا.

* ومن وطَّن قلبـه عند ربه سكن واسـتـراح، ومن أرسله فى الناس اضطرب واشتد به القلق.

* لا تدخل محبةُ الله فى قلب فيه حب الدنيا إلا كما يدخل الجمل فى سَم الإبرة - ثقب الإبرة -.

* إذا أحب الله عبدًا، اصطنعه لنفسه، واجتباه لمحبته، واستخلصه لعبادته؛ فشغل همه به، ولسانه بذكره، وجوارحه بخدمته.

* القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه فى التوبة والحمية؛ ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر؛ ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى؛ ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة[١].

يا رب أخبرنى بأهلك الذين تؤويهم فى ظل عرشك

عن عطاء بن يسار: أن موسى عليه السلام، سأل ربه تعالى، فقال: «يا رب أخبرنى بأهلك، الذين هم أهلك، الذين تُؤويهم فى ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك».

قال: «هم الطاهرة قلوبهم، البريئة أيديهم، الذين يتحابون لجلالى، الذين إذا ذُكرت ذُكروا بى، وإذا ذُكروا ذُكرت بهم، الذين يسبغون الوضوء فى المكاره، وينيبون إلى ذكرى، كما تنيب النسور إلى وكرها، ويغضبون لمحارمى إذا استُحلت، كما يغضب النمر إذا حرب ويكلفون بحبى، كما يُكلف الصبى بحب الناس»... وفى رواية: «الذين يعمرون مساجدى، ويستغفرون بالأسحار».

* وعند ابن المبارك: «قال موسى: يا رب أخبرنى عن أهلك الذين هم

(١) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص:١٤٦ - ١٤٧).

أهلك؟ قال: هم المتحابون فىَّ، الذين يعمرون مساجدى، ويستغفرونى بالأسحار، الذين إذا ذُكرت ذكروا بى، وإذا ذُكروا ذُكرت بهم، هم الذين ينيبون إلى طاعتى كما تنيب النسور إلى وكورها، الذين إذا استحلت محارمى غضبوا كما يغضب النمر إذا حرب».

قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى: آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها ألينها وأرقها»[1].

لله هاتيك القلوب وما انطوت عليه من الضمائر وما أودعته من النور والذخائر، ولله طيب أسرارها لا سيما يوم تُبلى السرائر.

سيبدو لها طيب ونور وبهجة

وحسن ثناء يوم تُبلى السرائر

لقد رُفع علم عظيم فشمرت إليه، واستبان لها طريق مستقيم فاستقامت عليه، ودعاها ما دون مطلوبها الأعلى فلم تستجب إليه، واختارت ما سواه وآثرت ما لديه»[2].

سبعة يظلهم الله فى ظله

ولما كانت المساجد بيوت الرحمن فى الأرض... فإن العبد يكون يوم القيامة فى ظل عرش الرحمن إذا تعلق قلبه فى الدنيا بالمساجد.

قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله - وكان من بينهم - ورجلٌ قلبه مُعلقٌ فى المساجد..»[3].

وكيف لا يتعلق قلب المؤمن بالمسجد؟! وهل وجدنا السعادة وحلاوة

(١) **حسن:** رواه الطبرانى فى الكبير (١٩/٢ ، رقم ٨٤٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٦٣).

(٢) إغاثة اللهفان / للإمام ابن القيم (١/ ٧٤).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

الإيمان ولذة الطاعة والنعيم القلبى إلا فى المساجد.

وتعلق القلب بالمسجد لا يكون بمجرد أداء الصلوات الخمس فحسب!!! وإنما يكون ذلك بشدة فرح العبد عند دخول المسجد وبشدة حُزنه إذا أراد الخروج منه.... وكذلك بأن يجعل المسجد موطنه الأول الذى يسكن فيه بقلبه قبل جسده.

أسعد الناس بشفاعة النبى ﷺ

ولما كان القلب محل الإخلاص وكان لا بد أن يموت المؤمن على التوحيد ليدخل الجنة... فكان الشرط الوحيد أن تخرج كلمة التوحيد من قلب صادق مُخلصٍ فمن قالها بإخلاص كان من أسعد الناس بشفاعة الحبيب ﷺ.

* روى البخارى عن أبى هريرة أنه قال قيل يا رسُول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله ﷺ: **«لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألُنى عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»**[1].

* ولقد أخبر المصطفى ﷺ قبل ذلك بأن من قالها بصدقٍ من قلبه فإن الله يُحرم جسده على النار.

* **عن قتادة قال:** حدثنا أنس بنُ مالك أن النبى ﷺ ومُعاذ رديفُهُ على الرحل قال: **«يا مُعاذ بن جبل»** قال: لبيك يا رسول الله وسعديك قال: **«يا معاذ»** قال: لبيك يا رسول الله وسعديك... ثلاثًا قال: **« ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسُول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله علىّ النار»**

(١) صحيح: رواه البخارى (٩٩) كتاب العلم.

قال: يا رسول الله أفـلا أخبرُ به الناس فيستـبشروا قال: «إذًا يتكلُوا» وأخبر بها مُعاذٌ عند موته تأثُّمًا (١).

يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان

هذا هو شأن القلب.. وهذا هو قدره.

فلو كان القلب - وهو مـحل الإخلاص- يحتـوى على مثقال حـبةٍ من خردلٍ من إيمان فإن ذلك سيكون سببًا لنجاة صاحبه من الخلود فى النار.

* عن أبى سـعـيد الخُـدرى رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قـال: **«يدخل أهل الجنة الجنة وأهلُ النار النار ثم يقولُ الله تعالى أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيُخرجُون منها قـد اسودوا فيُلقون فى نهر الحياة فينبتُون كما تنبتُ الحبة فى جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»**(٢).

عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: **«يخرجُ من النار مـن قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزنُ شعيرةٍ من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزنُ بُرةٍ من خيـر ويخـرجُ من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزنُ ذرةٍ من خير»**(٣).

الجنة لا يدخلها إلا صاحب القلب الطاهر

«ولقد حرم الله الجنة على من كان فى قلبـه نجاسة وخبث، ولا يدخلها إلا بعد طيـبه وطهره فإنها دار الطـيبين، ولهذا يُقال لهـم: ﴿**طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ (٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٨) كتاب العلم، ومسلم (٣٢) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٨٤) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤) كتاب الإيمان، ومسلم (١٩٣) كتاب الإيمان.

(٤) سورة الزمر: الآية: (٧٣).

وكما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١)، فالجنة لا يدخلها خبيث، ولا من فيه شيء من الخبث، فمن تطهر فى الدنيا، ولقى الله طاهراً من نجاسته دخلها بغير معوق».

«والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفًا على الطهارة، فلا يدخل المصلى عليه حتى يتطهر، وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوف على الطيب والطهارة فلا يدخلها إلا طيب طاهر، فهما طهارتان: طهارة البدن وطهارة القلب؛ ولهذا شرع للمتوضيء أن يقول عقيب وضوئه: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين**»(٢).

فطهارة القلب بالتوبة وطهارة البدن بالماء فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى والوقوف بين يديه ومناجاته»(٣).

الجنة لأصحاب القلوب الطاهرة

عن أنس رضي الله عنه **قال:** «كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه فى يده الشمال، فلما كان الغد قال النبى ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبى ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص - وفى رواية البيهقى أنه

---

(١) سورة النحل: الآية: (٣٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٥٥) كتاب الطهارة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٦٧).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٥٦).

عبد الله بن عمر- فقال: إنى لاحيت أبى فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت؟ قال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يُحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعارّ وتقلب على فراشه ذكر الله - عز وجل - وكبّر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله إنى لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ثَّم، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعانى فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحدٍ من المسلمين غشًّا، ولا أحسدُ أحدًا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله هذه التى بلغت بك وهى التى لا نطيق»[1].

* **وعن أبى هُريرة** رضي الله عنه **قال:** قال رسُولُ الله ﷺ: **«قال الله تعالى: أعددتُ لعبادى الصَّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤُوا إن شئتُم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[2][3].

* **وعنهُ قال:** قال رسولُ الله ﷺ: **«أوَّلُ زمرة يدخُلُون الجنَّة على صُورة القمر ليلة البدر ثُمَّ الَّذين يلُونهُم على أشدُ كوكبٍ دُرِّيٍّ فى السَّماء إضاءةً: لا**

---

(١) رواه أحمد (١٢٢٨٦) باقى مسند المكثرين، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٨٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

يَبُولُون ولا يتغوَّطُون، ولا يتفُلُون، ولا يمتخطُون، أمشاطُهُمُ الذَّهبُ، ورشحهُمُ المسكُ، ومجامرُهُمُ الألُوَّةُ - عُودُ الطِّيب - أزواجُهُم الحُورُ العينُ، على خلق رجُلٍ واحد، على صُورة أبيهم آدم ستُّون ذراعًا فى السَّماء»(١).

أقسام القلوب

لما كان القلب يوصف بالحياة وضدها، انقسم بحسب ذلك إلى هذه الأحوال الثلاثة.

فالقلب الصحيح: هو القلب السليم الذى لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٢).

فالقلب السليم: هو الذى سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى إرادة ومحبة، وتوكلاً، وإنابة، وإخباتًا، وخشية، ورجاء، وخلص عمله لله، فإن أحب أحب فى الله، وإن أبغض أبغض فى الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله ﷺ، فيعقد قلبه معه عقدًا محكمًا على الائتمام والاقتداء به وحده، دون كل أحد فى الأقوال والأعمال، من أقوال القلب وهى العقائد، وأقوال اللسان وهى الخبر عما فى القلب. وأعمال القلب: وهى الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها، وأعمال الجوارح، فيكون الحاكم عليه فى ذلك كله دقه وجله، هو ما جاء به الرسول ﷺ، فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول ولا عمل، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٣)، أى لا تقولوا

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان: (٨٨، ٨٩).

(٣) سورة الحجرات: الآية: (١).

حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر.

والقلب الثاني: ضد هذا، وهو القلب الميت الذى لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالى إذا فاز بشهوته وحظه، رضى ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله: حبًّا، وخوفًا، ورجاءً، ورضا وسخطًا، وتعظيمًا وذلاً.

إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه. فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه. فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه. فهو بالفكر فى تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور. ينادى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد، ولا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد. الدنيا تُسخطه وتُرضيه، والهوى يُصمه عما سوى الباطل ويعميه. فهو فى الدنيا كما قيل فى ليلى:

عدو لمن عادت، وسِلْمٌ لأهلها

ومن قربت ليلى أحب وأقربا

فمخالطة هذا القلب سقم، ومعاشرته سم، ومجالسته هلاك.

والقلب الثالث: قلب له حياة وبه علة. فله مادتان، تمده هذه مرة، وهذه أخرى. وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له، والتوكل عليه: ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب، وحب العلو والفساد فى الأرض بالرياسة: ما هو مادة هلاكه وعطبه، وهو ممتحن بين داعيين: داعٍ يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة، وداعٍ يدعوه إلى العاجلة. وهو إنما يجيب أقربهما منه بابًا، وأدناهما إليه جوارًا.

فالقلب الأول، حى مخبت لين واع، والثانى يابس ميت، والثالث مريض، فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى.

فالقلب الصحيح السليم: ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق، تام الانقياد والقبول له.

والقلب الميت القاسى: لا يقبله ولا ينقاد له.

والقلب المريض: إن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسى، وإن غلبت عليه صحته التحق بالسليم.

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ : **«تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا. فأى قلب أُشربها نُكتت فيه نُكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه وقلب أبيض، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض»**[1] فشبَّه عرض الفتن على القلوب شيئًا فشيئًا كعرض عيدان الحصير، وهى طاقاتها شيئًا فشيئًا، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين: قلب إذا عرضت عليه فتنة أُشربها، كما يشربُ وينتكس، وهو معنى قوله: **«كالكوز مجخيًا»** أى مكبوبًا منكوسًا، فإذا اسود وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان به إلى الهلاك: أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً والباطل حقًّا، والثانى تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول ﷺ ، وانقياده للهوى واتباعه له.

وقد قسم الصحابة رضى الله تعالى عنهم القلوب إلى أربعة، كما صح

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٤) كتاب الإيمان.

عن حذيفة ابن اليمان: «القلوب أربعة: قلب أجرد، فيه سراج يُزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس، فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمى، وقلب تمده مادتان، مادة إيمان ومادة نفاق، وهو لما غلب عليه منهما»[١].

شجرة فى القلب

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

السنةُ شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها والأنفاس ثمرها. فمن كانت أنفاسه فى طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت فى معصية فثمرته حنظل. وإنما يكون الجداد يوم المعاد، فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مُرها.

والإخلاصُ والتوحيد شجرة فى القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة فى الدنيا، والنعيم المقيم فى الآخرة. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا وممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص فى الدنيا كذلك.

والشركُ والكذب والرياء شجرة فى القلب، ثمرها فى الدنيا الخوف والهم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها فى الآخرة الزقوم والعذاب المقيم وقد ذكر الله هاتين الشجرتين فى سورة إبراهيم[٢].

العبد يقطع منازل السير إلى الله بقلبه

أخى الحبيب... أختى الفاضلة:

إن العبد يستطيع أن يتحصل على أكبر قدرٍ من الحسنات بإخلاص النية لله (جل وعلا).

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٥ : ١٩) بتصرف.

(٢) الفوائد (ص: ٢٣٨).

ولذا قال أحد السلف: تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل.

والعمل دائمًا يحتاج إلى نية صادقة. . . أما النية فهى عبادة مستقلة قد لا تحتاج إلى عمل - بمعنى أنه قد يكون العبد فقيرًا فإذا وجد رجلاً يبنى مسجدًا لله فاستحضر نيته الصادقة أنه لو كان يملك مالاً فسوف يبنى مسجدًا لله فهما فى الأجر سواء - كما وضح ذلك الحبيب ﷺ حيث يقول: **«إنَّما الدُّنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا، فهُو يتَّقى فيه ربَّهُ، ويصلُ فيه رحمهُ، ويعلمُ لله فيه حقًّا فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقهُ الله علمًا، ولم يرزُقهُ مالاً فهُو صادقُ النِّيَّة يقُولُ: لو أنَّ لى مالاً لعملتُ بعمل فُلان، فهُو بنيَّته، فأجرُهُما سواءٌ. وعبد رزقهُ اللهُ مالاً، ولم يرزُقهُ علمًا، فهُو يخبطُ فى ماله بغير علمٍ، لا يتَّقى فيه ربَّهُ ولا يصلُ فيه رحمهُ، ولا يعلمُ لله فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزُقهُ الله مالاً ولا علمًا، فهُو يقُولُ: لو أنَّ لى مالاً لعملتُ فيه بعمل فُلان، فهُو بنيَّته، فوزرُهُما سواءٌ»**(1).

* وعن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، فيما يروى عن ربه، تبارك وتعالى قال: **«إنَّ الله كتب الحسنات والسَّيِّئات ثُمَّ بيَّن ذلك: فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها اللهُ تبارك وتعالى عندهُ حسنة كاملةً وإن همَّ بها فعملها كتبها اللهُ عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيِّئة فلم يعملها كتبها اللهُ عندهُ حسنة كاملةً، وإن همَّ بها فعملها كتبها اللهُ سيِّئةً واحدةً»**(2).

* **قال أبو الدرداء رضي الله عنه:** يا حبذا نومُ الأكياس وفطرُهم كيف يغبنون به قيام الحمقى وصومهم، والذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادةً من المغترين.

---

(1) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٣٥) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٢٢٨) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٥٧٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(2) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٩١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٣١) كتاب الإيمان.

وهذا من جواهر الكلام، وأدلُّه على كمال فقه الصحابة، وتقدُّمهم على من بعدهم في كل خير ﷺ.

فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه. والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح، . . . .

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [1].

وقال: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [2].

وقال النبي ﷺ: «التقوى ههنا، وأشار إلى صدره» [3].

فالكيِّسُ يقطع من المسافة بصحة العزيمة، وعلو الهمة، وتجريد القصد، وصحة النية مع العمل القليل أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق؛ فإن العزيمة والمحبة تُذهب المشقة، وتطيب السير، . . . والتقدم والسبق إلى الله سبحانه إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة؛ فيتقدم صاحبُ الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل، فإن ساواه في همته تقدَّم عليه بعمله[4].

إذا امتلأ القلب بالشغل بالمخلوق لم يبق فيه موضع للشغل بالله

إن القلب يحتاج إلى التخلية قبل التحلية. . . بمعنى أنه لا بد من تفريغ القلب من هموم الدنيا والانشغال بغير الله لكي ينشغل القلب بالله (جل وعلا).

فإن القلب إذا كان ممتلئًا بالباطل اعتقادًا ومحبة. لم يبق فيه لاعتقاد الحق

---

(١) سورة الحج: الآية: (٣٢).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) الفوائد (ص: ٢٠٧ - ٢٠٨).

ومحـبته موضع. كـما أن اللسان إذا اشتـغل بالتكلم بما لا ينفع، لم يتمكن صاحبـه من النطق بما ينفعه، إلا إذا فرغ لسانه من النطق بالباطل. وكذلك الجوارح، إذا اشتغلت بغـير الطاعة، لم يمكن شغلها بالطاعـة إلا إذا فرغها من ضدها.

فكذلك القلب المشغول بمحبـة غير الله وإرادته والشوق إليه والأنس به، لا يمكن شغله بمحبة الله وإرادته وحـبه والشوق إلى لقائه، إلا بتفريغه من تعلقه بغيره. ولا حركة للسان بذكره والجوارح بخدمته إلا إذا فرغها من ذكر غيره وخدمته.

فإذا امتـلأ القلب بالشغل بالمخلوق، والعلوم التى لا تنفع، لم يبق فيها موضع للشغل بالله، ومعرفـة أسمائه، وصفاته، وأحكامه. وسر ذلك أن إصغاء القـلب كإصغاء الأذن؛ فإذا أصـغى إلى غير حديث الله لم يـبق فيه إصغاء ولا فهم لحديثه. كما إذا مال إلى غـير محبة الله لم يبق فيه ميل إلى مـحبتـه. فإذا نطق الـقلب بغيـر ذكـره لم يبق فـيه مـحل للنطق بذكـره كاللسان[1].

عرش الرحمن.... وعرش الشيطان

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

أنزه الموجودات، وأظهرها، وأنورها، وأشرفـها، وأعلاها ذاتًـا وقدراً، وأوسعها - عرش الرحمـن جل جلاله. ولذلك صلح لاستوائه عليه. وكل ما كان أقرب إلى العرش كان أنور، وأنزه، وأشرف مما بَعُد عنه. ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى الجنان، وأشرفها، وأنورها، وأجلّها، لقُربها من العرش إذ هو سقفها وكل مـا بَعُد عنه كان أظلم وأضيق، ولهذا كان أسفل سافلين

(١) الفوائد (ص: ٥٣).

شر الأمكنة وأضيقها وأبعدها من كل خير.

وخلق الله القلوب، وجعلها محلاً لمعرفته، وإرادته، فهي عرش المثل الأعلى، الذى هو معرفته، ومحبته، وإرادته.. قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٣).

فهذا من المثل الأعلى، وهو مستوٍ على قلب المؤمن فهو عرشه، وإن لم يكن أطهر الأشياء وأنزهها وأطيبها وأبعدها من كل دنس وخبث - لم يصلح لاستواء المثل الأعلى عليه معرفة ومحبة وإرادة؛ فاستوى عليه مثل الدنيا الأسفل ومحبتها وإرادتها والتعلق بها، فضاق وأظلم وبعُد من كماله وفلاحه؛ حتى تعود القلوب على قلبين: قلب هو عرش الرحمن، ففيه النور والحياة والفرح والسرور والبهجة وذخائر الخير. وقلب هو عرش الشيطان، فهناك الضيق والظلمة والموت والحزن والغم والهم؛ فهو حزين على ما مضى، مهموم بما يستقبل، مغموم فى الحال.

والنور الذى يدخل القلب، إنما هو من آثار المثل الأعلى؛ فلذلك ينفسح وينشرح، وإذا لم يكن فيه معرفة الله ومحبته فحظه الظلمة والضيق(٤).

* * *

(١) سورة النحل: الآية: (٦٠).

(٢) سورة الروم: الآية: (٢٧).

(٣) سورة الشورى: الآية: (١١).

(٤) الفوائد (ص: ٥٠-٥١).

مداخل الشيطان إلى القلب

اعلم: أن اشرف ما فى الإنسان قلبه، فإنه العالم بالله، العامل له، الساعى إليه، والمقرب المكاشف بما عنده، وإنما الجوارح أتباع وخُدَّام له يستخدمها القلب استخدام الملوك للعبيد.

ومن عرف قلبه عرف ربه، وأكثر الناس جاهلون بقلوبهم ونفوسهم، والله يحول بين المرء وقلبه، وحيلولته أن يمنعه من معرفته ومراقبته، فمعرفة القلب وصفاته أصل الدين، وأساس طريق السالكين.

اعلم: أن القلب بأصل فطرته قابل للهدى، وبما وضع فيه من الشهوة والهوى، مائل عن ذلك، والتطارد فيه بين جندى الملائكة والشياطين دائم، إلى أن ينفتح القلب لأحدهما، فيتمكن، ويستوطن، ويكون اجتياز الثانى اختلاسًا، كما قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[1] وهو الذى إذا ذُكر الله خنس، وإذا وقعت الغفلة انبسط، ولا يطرد جند الشياطين من القلب إلا ذكر الله تعالى، فإنه لا قرار له مع الذكر.

واعلم: أن مثل القلب كمثل حصن، والشيطان يريد أن يدخل الحصن، ويملكه ويستولى عليه، ولا يمكن حفظ الحصن إلا بحراسة أبوابه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرفها، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله، ومداخل الشيطان وأبوابه، صفات العبد، وهى كثيرة، إلا أنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التى لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان.

فمن أبوابه العظيمة: الحسد، والحرص، فمتى كان العبد حريصًا على شيء، أعماه حرصه وأصمَّه، وغطى نور بصيرته التى يعرف بها مداخل الشيطان.

---

(١) سورة الناس: الآية: (٤).

وكذلك إذا كـان حسودًا، فيجـد الشيطان حينئـذٍ الفرصة، فيحسِّن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته، وإن كان منكرًا أو فاحشًا.

ومن أبوابه العظيـمة: الغضب، والشـهوة، والحدة، فإن الغـضب غول العقل، وإذا ضعف جند العـقل هجم حينئذٍ الشـيطان فلعب بالإنسان، وقد روى أن إبليس يقول: إذا كان العبد حديدًا، قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة.

ومن أبوابه: حب التزين فى المنزل والثياب والأثاث، فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين سقـوفها وحيطانها، والتزين بالثياب، والأثاث، فيسخر الإنسان طول عمره فى ذلك.... ومن أبوابه: الشبع، فإنه يقوى الشهوة، ويشغل عن الطاعة.

ومنها: الطمع فى الناس، فإن من طمع فى شخص، بالغ بالثناء عليه بما ليس فيه، وداهن ولم يأمره بالمعروف، ولم ينهه عن المنكر.

ومن أبوابه: العجلة، وترك التثبت، وقد قال النبى ﷺ: «**العجلة من الشيطان، والتأنى من الله تعالى**»[1].

ومن أبوابه: حب المال، ومتى تمكن من القلب أفسده، وحمله على طلب المال من غيـر وجهه، وأخرجـه إلى البخل، وخوفه الـفقر، فمنع الحـقوق اللازمة.

ومن أبوابه: حمل العوام على التعصب فى المذاهب، دون العمل بمقتضاها.

ومن أبوابه أيضًا: حمل العوام على التفكيـر فى ذات الله تعالى وصفاته وفى أمور لا تبلغها عقولهم حتى يشككهم فى أصل الدين.

ومن أبوابه: سوء الظن بالمسلمين، فإن من حكم على مـسلم بسوء ظنه احتـقره وأطلق فيـه لسانه، ورأى نفسه خـيرًا منه، وإنما يترشح سوء الظن بخبث الظان؛ لأن المؤمن يتطلب المعاذير للمؤمن، والمنافق يبحث عن عيوبه.

(١) حسن: رواه البيـهقى فى الشـعب (٤/ ٨٩، رقم ٤٣٦٧)، وحسنه العلامـة الألبانى رحـمه الله فى صحيح الجامع (٣٠١١).

وينبغى للإنسان أن يحترز عن مواقف التهم، لئلا يساء به الظن، فهذا طرف من ذكر مداخل الشيطان، وعلاج هذه الآفات سد المداخل بتطهير القلب من الصفات المذمومة، وسيأتى الكلام على هذه الصفات إن شاء الله مفصلاً.

إذا قلعت من القلب أصول هذه الصفات، وبقى للشيطان بالقلب خطرات واجتيازات من غير استقرار، فيمنعه من ذلك ذكر الله تعالى، وعمارة القلب بالتقوى.

فأما القلب الذى غلب عليه الهوى، فإنه يرفع الذكر إلى حواشيه، فلا يتمكن الذكر من سويدائه، فيستقر فى السويداء[1].

فإن قلت: فما العلاج فى دفع الشيطان، وهل يكفى فى ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله؟

فاعلم أن علاج القلب فى ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا فى هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد .... نعم إذا قطع من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى؛ لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة، وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان. ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [2] خصص بذلك المتقى، فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه ينزجر بأن تقول له: اخسأ، فمجرد الصوت يدفعه. فإن كان بين يديك

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ١٨٤-١٨٦).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٢٠١).

لحم وهو جائع فإنه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام، فالقلب الخالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر.

قال أبو هريرة: التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاسٍ، وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عارٍ، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: مالك مهزول؟ قال: أنا مع رجل إذا أكل سمَّى الله فأظل جائعًا، وإذا شرب سمى الله فأظل ظمآنًا، وإذا لبس سمى الله فأظل عريانًا، وإذا أدهن سمى الله فأظل شعثًا، فقال: لكنى مع رجل لا يفعل شيئًا من ذلك فأنا أشاركه فى طعامه وشرابه ولباسه[1] .

هذا هو النور الذى أودعه الله فى قلب العبد المؤمن

لقد ضرب الله سبحانه وتعالى للنور فى قلب عبده مثلاً لا يعقله إلا العالمون فقال سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [2] .

قال أبى بن كعب: مثل نوره فى قلب المسلم.

وهذا هو النور الذى أودعه فى قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذى أنزله إليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصله فى قلوبهم ثم تقوى مادته فتتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم، يبصره من هو من جنسهم وسائر الخلق له مُنكِر. فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بإيمانهم يسعى بين أيديهم فى ظلمة الجسر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته

(١) الإحياء للإمام الغزالى (٣/ ٥٤).

(٢) سورة النور: الآية: (٣٥).

وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم مَن نوره كالشمس وآخر كالقمر وآخر كالنجوم وآخر كالسراج يعطى نوراً على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ أخرى إذ كانت هذه حال نوره في الدنيا فأُعطي على الجسر بمقدار ذلك، بل هو نفس نوره ظهر له عياناً، ولما لم يكن للمنافق نور ثابت في الدنيا بل كان نوره ظاهراً لا باطنا أُعطي نوراً ظاهراً مآله إلى الظلمة والذهاب.

وضرب الله عز وجل لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة وهي الكوة في الحائط فهي مثل الصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج وحتى شُبهت بالكوكب الدرى في بياضه وصفائه وهي مثل القلب، وشبه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافًا هي في قلب المؤمن وهي الصفاء والرقة، فيرى الحق والهدى بصفائه، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته، ويجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ عليهم ويشتد في الحق ويصلب فيه بصلابته، ولا تبطل صفة منه صفة أخرى ولا تعارضها، بل تساعدها وتعاضدها[1].

الطريق إلى سلامة القلب

إن القلب هو مفتاح كل خير - إذا استقام لأمر الله جل وعلا - وهو في الوقت ذاته مفتاح كل شر - إذا زاغ عن أمر الله جل وعلا - ولذا كان لا بد من الوقوف على الأشياء والأسباب التي تجعل القلب سليمًا خاليًا من الشبهات والشهوات. مُقبلاً على رب الأرض والسماوات ليسلم في دنياه ولينجو من عذاب النار في أُخراه وليدخل جنة ربه ومولاه.

وهذا هو مقصودنا من تعلق القلب بالآخرة... أن يسلم من التعلق بشهوات الدنيا الفانية فيصبح ويمسى وهو لا يرى إلا الجنة فيسعى بكل

(١) الوابل الصيب (ص: ٧٤-٧٦).

جهده أن يفوز بها. . . ويرى النار ويسعى بكل جـهده للنجاة منها فهو يرى الجنة والنار بعينى قلبه كما جاء فى حديث حنظلة رضي الله عنه.

* عن حنظلة الأسيدى - وكان من كُتاب رسول الله ﷺ قال: لقينى أبو بكر فقال: كـيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة! قال: سبـحان الله ما تقول؟! قال: قلت: نكونُ عند رسـول الله ﷺ يُذكرنا بالنار والجنة حتى كأنهـا رأى عين، فـإذا خرجنا من عند رسـول الله ﷺ عافـسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسـينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فـانطلقتُ أنا وأبو بكـر حتـى دخلنا على رسـول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسـول الله! فـقال رسـول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنها رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كـثيراً. فقال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده إن لو تدُومون على ما تكونون عندى وفى الذكر، لصافحتكم الملائكة على فُرشكم وفى طُرقكم، ولكن يا حنظله! ساعة وساعة، ثلاث مرات»[1].

هذا هو القلب السليم

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

ولا تظن أن قـولـه تعـالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[2]. . . . مختص بيوم المعـاد فقط، بل هؤلاء فى نعيم فى دورهم الثـلاثة. وهؤلاء فى جحـيم فى دورهم الثـلاثة. وأى لذة ونعيم فى الدنيـا أطيب من بر القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى ومحبته، والعمل على موافـقته؟ وهل العيش فى الحـقيقة إلا عـيش القلب السليم؟ وقد أثنى سبحانه وتعالى على خليله عليه السلام بسلامة القلب فقال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٠) كتاب التوبة.

(٢) سورة الانفطار: الآيتان: (١٣، ١٤).

لإبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [(١)]. وقال حاكيًا عنه أنه قال: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [(٢)].

والقلب السليم هو الذى سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر، وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله، فهذا القلب السليم فى جنة معجلة فى الدنيا، وفى جنة البرزخ، وفى جنة يوم المعاد[(٣)].

لا تتم سلامة القلب حتى يَسلم من خمسة أشياء

لا تتم طهارة القلب وسلامته مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقص التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص، وهذه الخمسة حُجُبٌ عن الله، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة تتضمن أفرادًا لا تُحصر.

قال رسول الله ﷺ: **«خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق»**، قيل: ما القلب المخموم؟ قال: **«هو التقى النقى الذى لا إثم فيه ولا بغى ولا حسد»**، قيل: فمن على إثره؟ قال: **«الذى يشنأ الدنيا، ويحب الآخرة»**، قيل فمن على إثره؟ قال: **«مؤمن فى خُلُقٍ حسن»**[(٤)].

* * *

(١) سورة الصافات: الآيتان: (٨٣، ٨٤).

(٢) سورة الشعراء: الآيتان: (٨٨، ٨٩).

(٣) الداء والدواء (ص: ١٥٤).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢١٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٩١).

العقيدة أولاً وقبل أي شيء

وبخاصة عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر؛ وذلك لأن أكثر القلوب لم تمرض إلا بسبب اعتراضها على قدر الله وقضائه فإذا امتلأت تلك القلوب إيمانًا بالله وتسليمًا لقضائه وقدره فإن هذا القلب سيسلم من الآفات بل وسيدخل صاحبه جنة الدنيا قبل جنة الآخرة برضاه عن قدر الله وقضائه.

قال تعالى: **﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾** (١).

* **وعن ابن الديلمي قال: أتيت أُبي بن كعب، فقلت له:** قد وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحدٍ ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار قال: ثم أتيت ابن مسعود فقال مثل ذلك. ثم أتيت حذيفة، فقال مثل ذلك. ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك (٢).

* وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال لابنه عند الموت: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل**

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٢، ٢٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٩٩) كتاب السنة، وابن ماجه (٧٧) في مقدمة سننه، وأحمد (٢١٠٧٩) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٤٤).

شيء حتى تقوم الساعة». يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»[١] .

هذا وقد كان لهذه العقيدة في نفوس أصحاب الرسول ﷺ أجلّ الأثر، فقد انطلقوا في الارض، وهم يحملون عقيدة القدر، كما علمهم إياها رسول الله ﷺ ، فقد قال لابن عباس رضي الله عنهما: **«يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف»**[٢] .

هذه العقيدة سكبت في قلوبهم السكينة، وأفاضت على نفوسهم الطمأنينة، وربتهم على العزة، فارتاحت أعصابهم وهم منطلقون لتبليغ هذا الدين إلى البشرية، وقد استصغروا قوى الأرض جميعًا أمام إيمانهم بقدر الله[٣] .

الإيمان والعمل الصالح

- قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤] .

- وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[٥] .

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٠٠) كتاب السنة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٣) الإيمان (ص:١٠٣).

(٤) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٥) سورة طه: الآيتان: (١٢٣ : ١٢٤).

- وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

- وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (٢).

فالإيمان والعمل الصالح يجعلان العبد فى سعادة لا يعلمها إلا الله.

ولذا قال إبراهيم بن أدهم: والله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عندما ألقوه فى السجن: ماذا يصنع بى أعدائى أنا جنتى وبستانى فى صدرى أينما رُحت فهى معى.. أنا قتلى شهادة وإخراجى من بلدى سياحة وسجنى خلوة بينى وبين ربى فالمأسور من أسره هواه والمحجوب من حُجب عن ربه... ثم جلس يقرأ القرآن فى السجن بضعًا وثمانين مرة.. وفى المرة الأخيرة وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (٣) فمات عند تلك الآية... وهكذا يصنع الإيمان فى القلوب وهكذا تصنع القلوب بأصحابها. وهكذا يثبت الله أصحاب القلوب الطيبة.

مرافقة الصالحين

إن من أنفع الأشياء لاستقامة القلب - مصاحبة الصالحين - فرؤيتهم تذكرك بالله (جل وعلا).

قال ﷺ: «أولياء الله تعالى الذين إذا رُؤوا ذُكر الله تعالى» (٤).

(١) سورة التغابن: الآية: (١١).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٨٢).

(٣) سورة القمر: الآيتان: (٥٤: ٥٥).

(٤) **صحيح:** رواه ابن المبارك (١/ ٧٢ ، رقم ٢١٨)، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٦)، وذكره الحكيم (٤/ ٨٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٨٧).

وهم يأخذون بيديك إلى فعل الخيـرات وترك المنكرات... ومجالستهم سبب لمحبة الله تعالى ومجالسهم هى مجالس الرحمة والمغفرة.

قال على رضي الله عنه: عليكم بالإخوان فإنهم عُـدة فى الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [(١)].

وقال عبـد الله بن عمر رضي الله عنهما: والله لو صمت النهار لا أفطره، وقمت الليل لا أنامه، وأنفقت مالى غلقًا غلقًا فى سبيل الله ثم أموت يوم أموت وليس فى قلبى حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصـية الله ما نفعنى ذلك شيئًا... وقال ابن السماك عند موته: اللهم إنك تعلم أنى إذا كنت أعصـيك كنت أحب من يطيعك فاجـعل ذلك قُربة لى إليك... ويروى أن الله تعالى أوحـى إلى موسى عليه السـلام هل عملت لى عـملاً قط؟ فقال إلهى إنى صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت، فقال: إن الصلاة لك برهان، والصوم جُنة، والصدقة ظل، والزكاة نور، فأى عمل عملت لى؟ قـال موسى: إلهى دلـنى على عمل هو لـك؟ قال: يا مـوسى هل واليت لى وليًا قط؟ وهل عاديت فىَّ عدوًا قط؟ فعلم مـوسى أن أفضل الأعمال: الحب فى الله والبغض فى الله.... وقـال ابن مسعود رضي الله عنه: لو أن رجلاً قـام بين الركن والمقام يعبـد الله سبـعين سنة لبعـثه الله يوم القيامة مع من يحب.

وقال عـمر رضي الله عنه: إذا أصاب أحدكم ودًا من أخيـه فليتمسك به فـقلما يصيب ذلك،.... وقال مجـاهد: المتحابون فى الله إذا التـقوا فكشر (أى ضحك) بعـضهم إلى بعض تتحات (أى تسـقط) عنهم الخطايا كما يتـحات ورق الشجر فى الشتاء إذا يبس..... وقال الفضيل: نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة.

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان: (١٠٠: ١٠١).

ولقد قال ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»(١).

وقال ﷺ: «إنما مثلُ الجليس الصالح، وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحاملُ المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبةً، ونافخُ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»(٢).

وقال ﷺ: «المرء مع من أحب»(٣).

فمن أحب الصالحين أصحاب القلوب الطاهرة حُشر معهم... ومن أحب أهل الزيغ والفساد وأصحاب القلوب الخبيثة حُشر معهم.

ولذلك قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ (٥).

(البعد عن المعاصي)

المعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

ومن عقوبات الذنوب: أنها تضعف في القلب تعظيم الرب، جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد شاء أم أبى، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه، وربما اغتر المغتر وقال: إنما

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذي (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٩٦٨) باقي مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢١٠١) كتاب البيوع، ومسلم (٢٦٢٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٦٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

(٥) سورة الفرقان: الآيات: (٢٧: ٢٩).

يحملني على المعـاصي حُسن الرجاء، وطمعي في عفوه، لا ضعف عظمته في قلبي، وهذا من مغالطة النفس، فإن عظمة الله تعـالى وجلاله في قلب العبـد تقتـضي تعظيم حـرماته، وتعظيم حـرماته تحـول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون على معاصيه ما قدروا الله حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه أو يكبره، أو يرجو وقاره ويجله من يهون عليـه أمره ونهيه؟ هذا من أمحل المحال، وأبين الباطل، وكفى بالمعـاصي عقوبة أن يضمـحل من قلبه تعظيم الله - جل جلاله - وتعظيم حرماته ويهون عليه حقه.

ومن بعض عـقوبة هذا: أن يرفع الله عز وجل مهـابته من قلوب الخلق، ويهون عليهم، ويستخـفون به كما هان عليه أمـره واستخف به، فعلى قدر محبة العـبد لله يحبه الناس، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس، وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يعظم الناس حرماته[1].

الذنوب تحجب القلب عن الرب

ومن عـقوبات الذنوب والمعـاصي: حجـاب القلب عن الرب في الدنيا، والحجاب الأكبر يوم القيـامة كما قال الله تعالى: ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [2].

فمنعـتهم الذنوب أن يقطعوا المسافـة بينهم وبين قلوبهم، فيصلـوا إليها فيروا ما يصلحـها ويزكيها، وما يفسدها ويشـقيها، وأن يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين ربهم، فتصل القلوب إليه، فتفوز بقـربه وكرامته، وتقر به عينًا وتطيب به نفسًا، بل كانت الذنوب حجابًا بينهم وبين ربهم وخالقهم.

* * *

---

(١) الداء والدواء (٩٠).

(٢) سورة المطففين: الآيتان: (١٤، ١٥).

الذنوب تجعل القلب منكوسًا

ومن عقوبات الذنوب والمعاصى: نكس القلب حتى يرى الباطل حقًا، والحق باطلا، والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا، ويُفسد ويرى أنه يصلح، ويصد عن سبيل الله، وهو يرى أنه يدعو إليه، ويشترى الضلالة بالهدى، وهو يرى أنه على الهدى، ويتبع هواه، وهو يزعم أنه مطيع لمولاه، وكل هذا من عقوبات الذنوب الجارية على القلب[1] .

وقفة لطيفة

قال الإمام ابن القيم: «سألت شيخ الإسلام عن معنى دعاء النبى ﷺ : «**اللهم طهرنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد**»[2] كيف يطهر الخطايا بذلك؟ وما فائدة التخصيص بذلك؟ وقوله فى لفظ آخرل: «**والماء البارد**» والحار أبلغ فى الإنقاء؟

فقال: الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفًا فيرتخى القلب وتضرم فيه نار الشهوة وتنجسه، فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذى يمد النار ويوقدها ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه، والماء يغسل الخبث ويطفىء النار فإن كان باردًا أورث الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى فى التبريد وصلابة الجسم وشدته، فكان أذهب لأثر الخطايا. . . هذا معنى كلامه وهو محتاج إلى مزيد بيان وشرح، فاعلم أن ههنا أربعة أمور: أمران حسيان وأمران معنويان، فالنجاسة التى تزول بالماء هى ومزيلها حسيان، وأثر الخطايا التى تزول بالتوبة والاستغفار هى ومزيلها معنويان، وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهذا».

---

(١) الداء والدواء (ص: ١٥٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٤) كتاب الأذان، ومسلم (٥٩٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

استقامة القلب بشيئين
(محبة الله... وتعظيم الأمر والنهى)

فاستقامة القلب بشيئين:

(أحدهما): أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب.

فإذا تعارض حُب الله تعالى وحُب غيره سبق حُبُ الله تعالى حُب ما سواه، فرتب على ذلك مقتضاه.

ما أسهل هذا بالدعوى وما أصعبه بالفعل، فعند الامتحان، يُكرم المرء أو يهان. وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه أو يحبه كبيره وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله تعالى. فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى فى قلبه جميع المحاب، ولا كانت هى الملكة المؤمرة عليها، وسنة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه ولا ينال شيئًا منها إلا بنكد وتنغيص، جزاء له على إيثار هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى.

وقد قضى الله تعالى قضاء لا يُرد ولا يُدفع أن من أحب شيئًا سواه عُذب به ولا بد، وأن من خاف غيره سُلط عليه، وأن من اشتغل بشىء غيره كان شؤمًا عليه، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بد.

(الأمر الثانى): الذى يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهى، وهو ناشىء عن تعظيم الآمر الناهى، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[1] قالوا فى تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة[2].

---

(١) سورة نوح: الآية: (١٣).

(٢) الوابل الصيب (ص:١٥-١٦).

البُعد عن مداخل الشيطان

أخى الكريم... أختى الفاضلة:

لقد ذكرنا فى أول تلك الرسالة كلامًا طويلاً عن مداخل الشيطان.... ولكى تسلم قلوبنا وتُسلم لله (جل وعلا) فعلينا أن نحذر كل الحذر من مداخل الشيطان حتى لا تفسد قلوبنا.

ولنعلم جميعًا أن الشيطان لا يطمع فى شىء قدر طمعه فى قلب المؤمن... فبدلاً من أن يبذل جهده فى أن يُفسد على العبد المؤمن صلاته وصيامه وزكاته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر - فإنه يدخل على القلب مباشرة ليُفسد على صاحب تلك الأعمال نيته وإخلاصه فيزين له طلب الدنيا من وراء تلك الأعمال.

وإذا فسدت النية فإن العمل كله يصبح هباءً منثوراً. فلنحرص على أن نجدد النية الصادقة قبل أى عمل بل وفى أثناء العمل بل حتى بعد انقضاء هذا العمل.

طلب العلم الشرعى

فطلب العلم الشرعى من أعظم الأسباب التى تجلب الخشية وزيادة الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (١).

والقلب لا يكون سليمًا إلا بخشيته لله (جل وعلا).. تلك الخشية التى تجعل العبد مراقبًا لله فى خلوته وفى جلوته ولسان حاله ومقاله: الله يرانى.. الله مُطلع علىَّ.

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

ذكر الله

فكثرة ذكـر الله تجعل القلـب يطمئن ويسكن ويتـعلق بالآخرة ويشـتاق ويحن للقاء الله تعالى.

قـال تعـالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَـئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْـرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْـرِ اللَّهِ تَطْمَـئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[(١)].

فـالذكر حـيـاة للقلب ولذلك قـال ﷺ: «مثل الذى يـذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت»[(٢)].

فالذاكر لله حىٌ وإن تعطلت منه الأعضـاء.. والغافل عن ذكر الله ميتٌ وإن تحرك بين الاحياء.

البُعد عن كثرة الضحك

إن الإسـلام لم يُحرم الضـحك أبدًا والنبى ﷺ لم ينه عن الضـحك وإنما نهى عن كثرة الضحك.

ولقد كـان وجه النبى ﷺ يحمل ابتـسامة عـذبة رقيقـة وكان يوصى أصحابه ويقول: **«تبسمُك فى وجه أخيك لك صدقة»[(٣)].**

وقال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[(٤)].

وإنما جاء النهى عن كثرة الضحك لأنه يضر بقلب المؤمن.

قال ﷺ: «لا تُكثر الضحك فإن كثرة الضحك تُميت القلب»[(٥)].

---

(١) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٤٠٧) كتاب الدعوات، ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى (١٩٥٦) كتاب البر والصلة، والبخارى فى التاريخ وابن حبان وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٠٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤١٩٣) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٤٣٥).

وهذا أمر لا يكاد يخفى على أحد... فكثرة الضحك تجعل الخشوع يخرج من قلب العبد وتجعله لا يشعر بآلام المسلمين من حوله بل وتجعله يخوض فى الكذب والباطل.

والحبيب ﷺ كان لا يمزح إلا صادقًا ولا يقول إلا حقًّا.

الدعاء

والدعاء من أعظم الأسباب التى تجعل القلب سليمًا ومستقيمًا على طاعة الله (جل وعلا).

فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن؛ ولذلك كان الحبيب ﷺ يدعو الله بهذه الأدعية المباركة.

كان ﷺ يقول فى دُعائه: «اللهم اجعل فى قلبى نورًا وفى بصرى نورًا وفى سمعى نورًا وعن يمينى نورًا وعن يسارى نورًا وفوقى نورًا وتحتى نورًا وأمامى نورًا وخلفى نورًا واجعل لى نورًا»[(١)].

*** عن عائشة ﵂ قالت كان النبى ﷺ يقول: «اللهم إنى أعُوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر اللهم إنى أعوذُ بك من شر فتنة المسيح الدجال اللهم اغسل قلبى بماء الثلج والبرد ونقِّ قلبى من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم إنى أعُوذ بك من الكسل والمأثم والمغرم»[(٢)].**

*** عن ابن عُمر قال كانت يمين النبى ﷺ: «لا ومُقلب القلوب»[(٣)].**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣١٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٧٦٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٧٧) كتاب الدعوات، ومسلم (٥٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٣٩١) كتاب التوحيد.

* وعن شهر بن حوشب قال: قلتُ لأم سلمة: يا أم المؤمنين ما كان أكثر دُعاء رسول الله ﷺ إذاً كان عندك؟ قالت: كان أكثر دُعائه يا مُقلب القُلُوب ثبت قلبي على دينك قالت: فقلت: يا رسول الله ما أكثر دُعاءك يا مُقلب القُلُوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: «يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبُه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ» فتلا ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾(١).

* وعن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعُوا الله وأنتم مُوقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دُعاء من قلبٍ غافلٍ لاه» (٢).

* وعن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يَدعو يقول: «رب أعنِّي ولا تُعن عليَّ وانصرني ولا تنصر عليَّ وامكر لي ولا تمكر عليَّ واهدني ويسر الهُدى لي وانصرني على من بغى عليَّ رب اجعلني لك شكاراً لك ذكاراً لك رهابًا لك مطواعًا لك مُخبتًا إليك أواهًا مُنيبًا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حُجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلُل سخيمة قلبي»(٣).

* عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكُم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقُول؛ كان ﷺ يقول: «اللهم إني أعُوذ بك من العجز والكسل والجُبن والبُخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خيرُ من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعُوذ بك من علمٍ لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يُستجاب لها»(٤).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٢٢) كتاب الدعوات، وأحمد (٢٦١٣٩) باقي مسند الأنصار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٨٠١).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٤٧٩) كتاب الدعوات والحاكم، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٤٥).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٥١٠) كتاب الصلاة، والترمذي (٣٥٥١) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٣٠) كتاب الدعاء، وأحمد (١٩٩٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤٨٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

الإكثار من ذكر الموت

قال ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت»[1]. فتذكر الموت يردع عن المعاصى ويُلين القلب القاسى.. وزيارة القبور من أعظم وسائل ترقيق القلوب. ومَن أكثر من ذكر الموت أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

ومما يؤثر فى النفس من مشاهد الموت رؤية المتحضرين فإن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة ويبعث على العمل ويزيد فى الاجتهاد.

دخل الحسن البصرى على مريض يعوده فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذى خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

تذكر منازل الآخرة

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (فإذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة فهى نور فى القلب يبصر به الوعد والوعيد والجنة والنار وما أعد الله فى هذه لأوليائه وفى هذه لأعدائه فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق وقد نزلت ملائكة السماوات فأحاط بهم وقد جاء الله

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) كتاب الزهد، والنسائى (١٨٢٤) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٥٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٦٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١٠).

وقد نُصب كرسيه لفصل القضاء وقد أشرقت الأرض بنوره ووُضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقد نُصب الميزان وتطايرت الصحف واجتمعت الخصوم وتعلق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه عن كثب وكثر العطاش وقل الوارد ونُصب الجسر للعبود ولُز الناس إليه وقُسمت الأنوار دون الظلمة للعبور عليه والنار يحطم بعضها بعضًا تحته والمتساقطون فيها أضعاف الناجين فينفتح فى قلبه عين يرى بها ذلك ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يُريه الآخرة ودوامها والدنيا وسرعة انقضائها).

عدم الركون إلى شهوات الدنيا

إن الزهد فى الدنيا من أعظم الأسباب لمحبة الله (جل وعلا) وإذا أحب اللهُ العبد فإنه يُصلح قلبه ويجعل جوارحه تنقاد لطاعته وتعمل لنُصرة دينه.

* وعن أبى العبَّاس سهل بن سعد السَّاعدىِّ ﷺ، قال: جاء رجُلٌ إلى النبىِّ ﷺ: فقال: يا رسول الله دُلَّنى على عملٍ إذا عملتُهُ أحبَّنى الله، وأحبَّنى الناسُ، فقال: **«ازهد فى الدُّنيا يُحبَّك الله، وازهد فيما عند النَّاس يُحبك النَّاسُ»**(١).

ووضح النبى ﷺ بأن الدنيا من أشد الآفات التى تفتك بقلب العبد المؤمن.

* عن كعب بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما ذئبان جائعان أُرسلا فى غنمٍ بأفسد لها من حرص المرء على المال والشَّرف لدينه»**(٢).

* ويكفى أيها الأخ الكريم أن تعرف كيف كان عيش النبى ﷺ وكيف كان زهده فى الدنيا.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، والطبرانى فى الكبير والحاكم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٢٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٦) كتاب الزهد، والدارمى (٢٧٣٠) كتاب الرقاق، وأحمد (١٥٣٥٧) مسند المكيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٢٠).

* عن عبد الله بن مسعُود رضي الله عنه، قال: نام رسولُ الله ﷺ على حصير فقام وقد أثَّر فى جنبه، قُلنا: يا رسُول الله لو اتَّخذنا لك وطاءً، فقال: «ما لى وللدُّنيا؟ ما أنا فى الدُّنيا إلاَّ كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثُمَّ راح وتركها»(١).

* وعن النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: ذكر عمر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه، ما أصاب النَّاسُ من الدُّنيا، فقال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يظلُّ اليوم يلتوى ما يجدُ من الدَّقل ما يملأُ به بطنهُ (٢).

* وعن عمرو بن الحارث أخى جُويرية بنت الحارث أُمِّ المُؤمنين رضي الله عنهم، قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهمًا، ولا عبدًا، ولا أمةً، ولا شيئًا إلا بغلتهُ البيضاء الَّتى كان يركبُها، وسلاحهُ، وأرضًا جعلها لابن السبَّيل صدقةً (٣).

* وعن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدُّنيا تعدلُ عند الله جناح بعُوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»(٤).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لو كان لى مثلُ أُحُد ذهبًا، لسرَّنى أن لا تمرَّ علىَّ ثلاثُ ليالٍ وعندى منه شىءٌ إلاَّ شىءٌ أُرصدهُ لدينٍ»(٥).

ويكفى والله أن نستحضر هذا المشهد المهيب من مشاهد الآخرة.

* قال رسولُ الله ﷺ: «يُؤتَى بأنعم أهل الدُّنيا من أهل النَّار يوم القيامة،

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩) كتاب الزهد، وأحمد (٣٧٠١) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٧٧) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٤٦١) كتاب المغازى.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، والضياء، وابن ماجه (٤١١٠) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٩٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٤٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٩٩١) كتاب الزكاة.

فيُصبغُ فى النَّار صبغةً ثُمَّ يُقالُ: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قطُّ؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يا ربِّ. ويُؤتَى بأشدّ النَّاس بُؤسًا فى الدُّنيا من أهل الجنَّة فيُصبغُ صبغةً فى الجنَّة، فيُقالُ لهُ: يا ابن آدم هل رأيت بُؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بك شدَّةٌ قطُّ؟ فيقولُ: لا والله، ما مرَّ بى بُؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدَّةً قطُّ»(١).

بل يكفى أن تعرف أيها الأخ المؤمن الفقير بأن الله سيجبر كسرك فى الجنة بأن يُدخلك الجنة - إن شاء الله - قبل أغنياء المؤمنين بخمسمائة عام.

* وأخيرًا أهدى لكم قول من خلق الدنيا وعلم حقيقتها.

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٢).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

وأخيرًا

أخى الحبيب... أختى الفاضلة:

أسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنى وإياكم قلبًا خاشعًا منيبًا سليمًا من الشبهات والشهوات خاليًا من الرياء والنفاق والحسد والشُح والكبر وسائر الآفات.

فاللهم أصلح فساد قلوبنا واجعلها عامرة بالإيمان وزين الإيمان فى قلوبنا وارزقنا جميعًا حُسن الخاتمة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)



مشاهد الفرحة يوم القيامة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣].

أما بعد:

فإن المؤمن يعيش فى تلك الحياة الدنيا، بل ويطير بجناحى الخوف والرجاء، فتارة ينفعه الترغيب، وتارة يُصلحه الترهيب، وفى الأعمّ الأغلب يحتاج إلى الاثنين معًا.

ولذا فإننى بعد أن انتهيت من كتاب «وأنذرهم يوم الحسرة» الذى يوضح لنا مشاهد الحسرة فى الدنيا والآخرة لكل من عصى الرحمن وأطاع

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

الشـيطان. رأيت أنه من الواجب عليَّ أن أجـمع كتـابًا آخـر يمثل الجـانب المشرق من مشاهد الـفرحة يوم القيامة حتى لا نقنّـط أحدًا من رحمة الله - جل وعلا - تلك الرحمة التى وسعت كل شىء.

فجـمعت مـادة الكتاب الذى بين أيديكم وابتـعدت فـيه كل البـعد عن الإطالة لكى تحـصل الفـائدة لإخـوانى من طلـبة العـلم ومَن دونهم فى آنٍ واحد.

والله أسأل أن ينفع به المسلمـين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله حاديًا لهم لحمل أمانة الدين ومشعل الـهداية للبشرية كلها، ومن ثَم لمجاورة النبى ﷺ فى جنة الرحمن جل وعلا. . . . إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

فبذلك فليفرحوا

إن الله عز وجل قد ذكر (الفرح) فى القرآن كثيرًا... تارة على وجه الذمّ، وتارة على وجه الإخبار، وتارة على وجه الاستحباب.

فالفرح بالدنيا على إطلاقه مذموم؛ لأن المؤمن لا يفرح لإقبال الدنيا عليه، أو يحزن لإدبارها عنه، وإنما فرحة المؤمن الحقيقية إذا وفقه الله إلى طاعته، ومن ثَم تكون فرحته الكبرى يوم القيامة يوم تزفّه ملائكة الرحمن إلى جنته: ﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١).

وأسوق إلى حضراتكم موقفًا يعبر عن تلك الفرحة بطاعة الله جل وعلا... عندما دخل المسلمون فى يوم العيد ليهنئوا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز.. فلما انصرف الرجال ودخل الغلمان، وكان من بينهم ابن عمر ابن عبد العزيز وهو يلبس ثيابًا رثة (قديمة) وأبناء الرعية يلبسون الثياب الجديدة الجميلة، فبكى أمير المؤمنين فتقدم إليه هذا الابن المبارك، فقال له: يا أبتاه ما الذى طأطأ بك رأسك وأبكاك؟! قال: لا شىء يا بُنى سوى أنى خشيت أن ينكسر قلبك وأنت بين أبناء الرعية بتلك الثياب القديمة وهم يلبسون الثياب الجديدة... فقال له الابن مقالة ينبغى أن تُنقش على الصدور... قال له: يا أبتاه إنما ينكسر قلب مَن عرف الله فعصاه، وعقَّ أمه وأباه، أما أنا فلا والله. إنما العيد لمن أطاع الله... وتالله يا إخوانى إنى لا أجد كلامًا أعلق به على تلك الجواهر الثمينة الغالية التى خرجت من فم هذا الطفل المبارك.

حقًّا.. إنما العيد لمن أطاع الله.

فكل يوم يمر عليك وكل ساعة تمر عليك وأنت فى طاعة الله فأنت فى عيد وفى فرحة غامرة؛ لأن تلك الفرحة بطاعة الله سوف تثمر لك أفراحًا

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٣).

وأفراحًا يوم القيامة عندما تلقى الله ويقول لك: خذ صحيفتك بيمينك وادخل الجنة.

ولذا قال إبراهيم بن أدهم: والله.. لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف.

وقال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: إن فى الدنيا جنة مَن لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة قيل: ما هى يا إمام؟ قال: إنها جنة الإيمان.

- ودعونا نعيش مع الفرحة من خلال تلك الآية العظيمة التى سطرها الله فى كتابه.

قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].. وفضل الله هو الإسلام والإيمان. ورحمته: العلم والقرآن... فتوجه الخطاب من رب الأرض والسماء إلى سيد الأولين والآخرين ﷺ ليُعلِّم أمته أدبًا رفيعًا مع الله عز وجل.. ألا وهو أن الفرح الحقيقى لا يكون إلا بنعمة الإسلام والقرآن واتباع النبى الذى هو من أعظم الرحمات، فقد أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور بإذن ربه جل وعلا.

ولنتأمل سويًا تلك الفرحة التى غمرت الصحابى الجليل (أُبى بن كعب) فقد جاءه رسول الله ﷺ فقال له: «**إن الله عز وجل أمرنى أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** قال: وسمَّانى لك؟ قال: «**نعم**». قال: فبكى[2].

وفى رواية الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن أبزى عن أُبى بن كعب قال: قال لى رسول الله ﷺ: «**إنى أُمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا**». قلت:

---

(١) سورة يونس الآية: (٥٨).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٨٠٩) كتاب المناقب، ومسلم (٧٩٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

يا رسول الله، وقد ذُكرت هناك؟! قال: «نعم» فقلت له: يا أبا المنذر، ففرحت بذلك؟ قال: وما يمنعنى والله يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(١)(٢) .

* **يقول الإمام ابن القيم فى قوله تعالى:** ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾.

قال: ففضله: الإسلام والإيمان. ورحمته: العلم والقرآن.

وهو يحب من عبده: أن يفرح بذلك ويُسرَّ به، بل يحب من عبده: أن يفرح بالحسنة إذا عملها وأن يُسر بها. وهو فى الحقيقة فرح بفضل الله، حيث وفَّقه الله لها وأعانه عليها ويسَّرها له. ففى الحقيقة: إنما يفرح العبد بفضل الله وبرحمته.

ومن أعظم مقامات الإيمان: الفرح بالله والسرور به. فيفرح به إذ هو عبده ومُحبه. ويفرح به سبحانه ربًا وإلهًا ومُنعمًا ومربيًا أشد من فرح العبد بسيده المخلوق المشفق عليه القادر على ما يريده العبد ويطلبه منه. المتنوع فى الإحسان إليه والذَّبِّ عنه(٣) .

المؤمن يزرع فى دنياه ليحصد فى أُخراه

ونحن حينما نتحدث عن فرحة المؤمن بفضل الله وبرحمته لا نستطيع أن ننكر تلك السعادة التى يجدها المؤمن فى دنياه.. ولكن نظرة المؤمن لكل ما يُفتح عليه من زهرة الدنيا تختلف عن نظرة أهل الدنيا، فهو يفرح بكل نعمة؛ لأنه يتقرب بها إلى خالقه جل وعلا، فإن رزقه الله بالمال، فإنه يسعى

---

(١) سورة يونس: الآية: (٥٨).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد، وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف من أجل مؤمل ابن إسماعيل البصرى.

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١١١) ط. دار الحديث.

لإسعاد مَن حولـه من فقراء المسلمين ويرى سعادته فى بسـمة تخرج من فم طفل يتيم أو فرحة تبدو على وجه رجل فقير. . .

قال ﷺ: «سعادة لابن آدم ثلاث، وشقاوة لابن آدم ثلاث، فمن سعادة ابن آدم: الزوجة الصالحة والمركب الصالح، والمسكن الواسع، وشقوة لابن آدم ثلاث: المسكن السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء»(١).

فسعادة المؤمن بتلك الأشياء لأنها تعينه على أمر دينه وليست سعادة أشر وبطر وكبر وتفاخر.

والمؤمن يعلم أن الخير كله من عند الله جل وعلا، ولذا فإنه لا يكاد يخطو خطوة أو يفعل شيئًا إلا بعد أن يتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته. . . فيستخير الله فى كل صغيرة وكبيرة. . ولذا كان النبى ﷺ يُعلِّم أصحابه وأمته من بعدهم أن يستخيروا الله (عز وجل) فى كل صغيرة وكبيرة.

فالمؤمن لا يحرك ساكنًا ولا يخطو خطوة إلا لمرضاة الله جل وعلا، فهو يعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة، فهو يزرع هنا ليحصد هناك الفرحة التى لا توازيها الدنيا بما فيها. . . ومن هنا كانت الدنيا على الرغم مما فيها من لذة الطاعة لله جل وعلا فهى سجن للمؤمن، وذلك بالمقارنة بما ينتظره من النعيم والإكرام عند رب السماوات والأرض (جل وعلا).

فتجد الصائم مثلاً يشعر بلذة غامرة، رغم الجوع والعطش، وذلك طمعًا فى الأجر والمثوبة. . . فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **«كُلُّ عمل ابن آدمَ يُضاعفُ. الحسنة عشرُ أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدعُ شهوتهُ وطعامهُ من أجلى. للصائم فرحتان؛**

---

(١) حسن: رواه الطيالسى ، والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٢٩).

فرحة عند فطره، وفرحةٌ عند لقاء ربه، ولخلوف فيه - أى فمه - أطيب عند الله من ريح المسك»(١) .

فحينما يستحضر المؤمن هذا الجزاء العظيم تهون عنده المشقة التى يجدها من أجل الله جل وعلا .

بل إنه يستعذب البلاء فى سبيل الله لعلمه يقينًا أن الله أرحم به من رحمة الأم بطفلها الرضيع، وأن الله لا يقضى له قضاءً إلا كان خيرًا له فى دينه ودنياه. . . ولذا تجده يرضى ويُسلِّم بقضاء الله .

ولذا قال ﷺ : «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شَكَرَ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»(٢) .

فالمؤمن يعلم أن مناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير من الدنيا وما فيها، وأن موضع قدمه فى الجنة خير من كل هذا .

- ولذا فإنك تجد أن المؤمن هو أحرص الناس على مرضاة الله وأشدهم شوقًا إلى جنته. . . ومن ثم فإذا وقع المؤمن فى معصية فإنه يبادر إلى التوبة؛ لأن الله وعده بالجنة على تلك التوبة إن كانت صادقة وخالصة لوجه الله تعالى. . . قال تعالى: **﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾**(٣) .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٥١) كتاب الصيام.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣-١٣٦).

بل إن المؤمن يعلم أن الله يفرح بتوبته إليه.. كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، حيث قال: «للهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوبُ إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه؛ فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربُّكَ. أخطأ من شدة الفرح»[١].

وعلى وجه العموم، فالمؤمن دائمًا يجعل سكناته وحركاته وأفعاله كلها لله جل وعلا، ممتثلاً قول الحق جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

ولسان حاله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[٣].

دعاء يملأ قلبك فرحًا

أقول فى بداية تلك الرسالة لكل من أصابه الهم والحزن: احرص على هذا الدعاء وسوف يُذهب الله همك وحزنك ويبدلك مكانهما فرحًا وسعادة... مصداقًا لقول الحبيب ﷺ إذ يقول: «ما أصاب عبدًا هم ولا حزن فقال: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماضٍ فىَّ حكمك عدلٌ فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سمَّيت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حُزنى، وذهاب همى، إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حُزنه فرحًا. قالوا: يا رسول الله ينبغى لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات. قال: أجل ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن»[٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٧) كتاب التوبة.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان: (١٦٢-١٦٣).

(٣) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والطبرانى، والحاكم، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٩).

فرحة غامرة

قد يفرح المؤمن بالمال إذا جاءه أو يفرح بغيره من متاع الدنيا، ولكنها فرحة مؤقتة تزول بزوال تلك النعمة، وقد تزول حتى فى حال وجود تلك النعمة إذا كان المال حائلاً بينه وبين طاعة الله جل وعلا. ولكن إذا جاءت البشرى من الصادق المصدوق ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى... فقال لك: إنك من أهل الجنة، فكيف تكون فرحتك؟!!

أقول عن نفسي: لقد توقف قلمى عن وصف هذا الشعور، ولذا فإنى أتركك لتعيش مع هذا المشهد من خلال هذا الحديث.

فعن عائشة رضي الله عنها **قالت:** أقبلت فاطمةُ تمشى كأن مشيتها مشيُ النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: «مرحبًا بابنتى، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثًا، فبكت. فقلت لها: لِمَ تبكين؟ ثم أسرَّ إليها حديثًا فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حُزن، فسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأُفشى سر رسول الله ﷺ، حتى قُبضَ النبى ﷺ فسألتها، فقالت: أسرَّ إلىَّ **أن جبريل كان يُعارضُنى القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضنى العام مرتين، ولا أراه إلا حَضَرَ أجَلى، وإنك أولُ أهل بيتى لحاقًا بى**، فبكيت. فقال: **أما ترضين أن تكونى سيدة نساءِ أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟** فضحكت لذلك»[(١)].

الفوز بمحبة الله جل وعلا

إن أعظم فرحة تحصل للمؤمن فى الدنيا أن يفوز بمحبة الله، فهى التى تثمر له السعادة فى الدنيا والجنة والرضوان فى الآخرة. فليس الشأن أن تُحِب ولكن الشأن أن تُحَب!!!

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٢٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة.

فكم من مسلم يدَّعى محبته لله جل وعلا، ولكن الله جعل السبيل للوصول لمحبته هو اتباع النبى ﷺ وكثرة النوافل وإخلاص العمل لله بعد تحقيق التوحيد له عز وجل، ولذا قال تعالى عن أحبابه: **«من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينَّه، وإن استعاذنى لأعيذنَّه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددُّى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»** (١).

فانظر يا أخى إلى تلك المحبة التى تحدث بين الله وبين العبد، والسبب فى ذلك هو التقرب إلى الله بالنوافل التى هى سبب من أهم الأسباب التى تجلب محبة الله جل وعلا، ومن ثم فإنك تتحصل على خيرى الدنيا والآخرة.

بل إنه من تمام الموافقة بين الله وبين العبد أن الله جل وعلا يخبر أنه ما تردد فى شىء تردُّده عن نفس عبده المؤمن (أى عن قبض نفس عبده المؤمن)، كما ورد فى الحديث: **«وما ترددت عن شِىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن»**... فلماذا؟ لأن العبد يكره الموت، والخالق جل وعلا يكره مساءته.

بل إنه بعد كل تلك الموافقات الربانية التى لا تدانيها الدنيا بما فيها، فإن الله يُعلن فى السماء والأرض إعلانًا سماويًا أرضيًا أنه يحبك أيها المؤمن!!!

ففى الحديث يقول النبى ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل عليه السلام، فقال: إنى أحب فلانًا فأحبه قال: فيحبه جبريل، ثم ينادى فى السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

القبول فى الأرض، وإذا أبغض الله عبدًا دعا جبريل عليه السلام، فيقول: إنى أُبغض فلانًا فأبغضه. قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء فى الأرض»[١].

الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين

إن العداوة التى تكون بين المنافقين والكفار والعصاة يوم القيامة يقابلها على الوجه الآخر تلك المحبة والألفة والسعادة بين أهل الإيمان والتقوى... وشتَّان ما بين الفريقين.

فأهل التقوى كم جمعتهم من مشاهد الفرحة فى الدنيا على طاعة الله جل وعلا، فكم جلسوا لذكر الله، وكم تنزَّلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة حتى إن من يجلس معهم تناله الفرحة التى غمرتهم عندما يقول الحق جل جلاله لملائكته: **«فأُشهدكم أنى قد غفرت لهم، فيقول مَلك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»**[٢].

فالشقاء لا يعرف لهم طريقًا، بل إن الإيمان يجلب لهم الفرحة ولمن يجالسهم، ثم تكون الفرحة الكبرى عندما يجمعهم الله فى ظل عرشه، ثم يأذن لبعضهم فى الشفاعة لإخوانهم، ومن ثم يجمعهم فى الجنة على سُررٍ متقابلين.

فالأخوة الصادقة والمحبة فى الله جل وعلا تجعل المؤمن يجنى الفرحة فى الدنيا بصحبة الصادقين وفى الآخرة بمحبة رب العالمين، فهو القائل سبحانه وتعالى: **«حُقت محبتى للمتحابين فىَّ، وحُقت محبتى للمتواصلين فىَّ،**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٤٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

وحقت محبتى للمتناصحين فىَّ، وحُقت محبتى للمتزاورين فىَّ، وحُقت محبتى للمتباذلين فىَّ، المتحابون فىَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصِّدِّيقون والشهداء»[١].

وفى الرواية الأخرى: «حُقت محبتى على المتحابين، أُظلهم فى ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلى»[٢].

من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

إن معرفة الإنسان بأن هناك من يحبه تجعل نفسه تهفو إلى لقائه... ولله المثل الأعلى فما ظنك بإنسان تهفو نفسه إلى لقاء الحق جل جلاله، فيتمنى اللحظة التى يدخل فيها ملك الموت عليه.... فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، فقلت: يا نبى الله: أكراهية الموت؟ فكلنا يكره الموت. قال: «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشِّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بُشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»[٣].

ولذا لما حضرت معاذاً رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك.. اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حِلق الذكر.. ولما اشتد به النزع كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه، ثم قال: رب ما أخنقنى خنقك فوعزتك إنك تعلم أن قلبى يحبك.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والطبرانى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٢١).
(٢) صحيح: رواه ابن أبى الدنيا فى الإخوان (٩)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٢٠).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٥٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه، فقال: بل وا فرحاه. غداً نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

حنوط من الجنة... ومغفرة و رضوان

إن اللحظة التى يدخل فيها ملك الموت على المؤمن هى اللحظة الفاصلة والحاسمة.. فإن ملك الموت، إما أن ينادى عليه ويقول: «**أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان**»، وإما أن يُنادى ويقول: «**أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب**». ولذا فإن الملائكة التى تسبق ملك الموت هى التى تحمل البشرى للمؤمن حتى إذا جاء ملك الموت تكتمل فرحة المؤمن بقدومه.

فعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يُلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، وكأن على رُءوسنا الطير، وفى يده عود ينكتُ فى الأرض فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر** - مرتين أو ثلاثًا - ثم قال: **إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفنٌ من أكفانِ الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجئ مَلَكُ الموتِ عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِى السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض...**»[1].

فاللهم ارزقنى وإخوانى وأخواتى حُسن الخاتمة.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود ، والحاكم، والبيهقى فى شعب الإيمان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

احتفال فى السماوات السبع!!!

وما زالت الفرحة تتوالى على المؤمن، فهو ينتقل من فـرحة إلى فرحة، فها هو المؤمن تحتفل به ملائكة السماوات السبع، بل ويأمر الله جل وعلا أن يكتبوا كتابه فى عِلِّيين... ففى الحديث السابق: «... قال: **فيصعدون بها فلا يمرون - يعنى بها - على ملإ من الملائكة إلا قـالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيـقولون: فلان بن فـلان بأحسن أسمـائه التى كانوا يسـمونه بها فى الدنيـا حتى ينتهوا بها إلـى السماء الدنيا، فيسـتفتحون له فـيُفتح لهم، فيشيـعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حـتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى فى عِلِّيين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أُخرجهم تارة أخرى...**»[١].

فملائكة السماوات السبع تعرفك أيها الأخ الكريم لأن أعمالك الصالحة تُرفع إلى الله جـل وعلا فى كـل وقت... تلك الأعـمـال التى تجلب لك محبة الرحمن، ومن ثم محبة جـبريل عليه السلام، ومن ثَم محبة الملائكة فى السماوات السبع فتصـبح معروفًا فى الملأ الأعلى... فعندما تموت على التوحيد تقوم ملائكة السماوات كلها فتحتفل بك احتفالاً سماويًا ملائكيًّا لا مثيل له.

فاللهم إنا نسألك من فضلك العظيم.

صدق عبدى.. فأفرشوه من الجنة

وها هو التـثبـيت يأتى للمؤمن فى أشـد لحظة يحـتاج إليـها، ألا وهى اللحظة التى يدخل فيـها عليه الملكان فى قـبره. ففى الحديث السـابق قال: «**... فتُـعادُ روحه فى جـسده، فيـأتيه ملكان فيُـجلسانه، فيـقولان له: من ربك؟**

(١) نفس الحديث السابق.

فيقول: ربى الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلامُ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمُك؟ فيقولُ: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدّقت، فيُنادى مُناد فى السماء: أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطِيبها، ويُفسح له فى قبره مَدَّ بصره. قال: ويأتيه رجلٌ حسن الوجه حسن الثياب طيبُ الريح، فيقول: أبشر بالذى يسُرُّك هذا يومك الذى كنت تُوعدُ، فيقول له: من أنت فوجهك الوجهُ يجىءُ بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى...»(١).

بل إن المؤمن والكافر كل واحدٍ منهما يرى مقعده من الجنة أو النار.

فقد قال ﷺ: «كل أهل الجنة يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هدانى، فيكون له شكر، وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة، فيقول: لو أن الله هدانى فيكون عليه حسرة»(٢).

فرحة أرواح المؤمنين فى قبورهم

وها هى الفرحة تغمر أرواح المؤمنين فى قبورهم.

فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إذا حُضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجى راضية مرضيًا عنك إلى روح الله وريحان وربٍّ غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحًا به من أحدكم بغائبه يَقْدُمُ عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه. فإنه كان فى غم

---

(١) نفس الحديث السابق.

(٢) حسن: رواه أحمد، والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥١٤).

الدنيا. فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذُهب به إلى أمه الهاوية - النار - وإن الكافر إذا حُضر أتته ملائكة العذاب بمسحٍ، فيقولون: اخرجى ساخطةً مسخوطًا عليك إلى عذاب الله عز وجل، فيخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا بها باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا بها أرواح الكُفار»(١).

قائد يقودك إلى الجنة

قال سعيد عن قتادة: بلغنا أن نبى الله ﷺ قال: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صُوِّر له عمله فى صورة حسنة وبشارة حسنة، فيقول له: من أنت؟ فوالله إنى لأراك امرأ الصدق، فيقول له: أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة، وأما الكافر إذا خرج من قبره صُوِّر له عمله فى صورة سيئة وبشارة سيئة، فيقول: من أنت فوالله إنى لأراك امرأ السوء، فيقول له: أنا عملك فينطلق به حتى يدخل النار»(٢).

فرحة فى ظل عرش الرحمن

ففى الوقت الذى يقف فيه الكفار والمنافقون فى أرض المحشر فى لفح الشمس التى تدنو فوق الرءوس حتى تكون كمقدار ميل، فيغرق الناس فى عرقهم (كل واحدٍ بحسب ذنبه) يقفون خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب.

تجد أن المؤمن يجلس فى ظل عرش الرحمن جل وعلا.

قال رسول الله ﷺ: «سبعة يُظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق

---

(١) صحيح: رواه النسائى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٩٠).

(٢) رواه ابن جرير فى تفسيره (١١/ ٨٨) مرسلاً.

يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(١). وهؤلاء السبعة يأكلون من زيادة كبد الحوت. تلك الوجبة التى أعدها لهم الرحمن جل وعلا، وإذا أرادوا الماء شربوا من حوض النبى ﷺ الذى قال عنه: «حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبدًا»(٢).

سترٌ فى الدنيا.. ومغفرة فى الآخرة

عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كَنَفَه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أى رب أعرف. قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وإنى أغفرها لك اليوم، فيُعطَى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادَى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله»(٣).

بل قال ﷺ: «يُوتَى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة، فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! خير منزل، فيقول: سَلْ وتمنَّ. فيقول: يا رب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأُقتل فى سبيلك عشر مرار.... لما يرى من فضل الشهادة: ويُؤتَى بالرجل من أهل النار، فيقول له: يا ابن آدم: كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! شرَّ منزل، فيقول له: أتفتدى منه بطلاع الأرض ذهبًا؟ فيقول: أى رب! نعم، فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيُردُّ إلى النار»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩٢) كتاب الفضائل.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٨٥) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٧٦٨) كتاب التوبة.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٥) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨٧٧) كتاب الإمارة، وأحمد (١٢٧٥٠) واللفظ له.

مشهد البطاقة والسجلات

فعن ابن عمرو ﵄ **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**إن الله سيُخلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثلُ مدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أَظَلَمَك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلَكَ عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تُظلم.. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء**»(١).

ساق أثقل من جبل أُحد!!!

إن موازين البشر ليس لها أى قيمة، إلا إذا كانت موافقة لميزان الشرع، ولذلك فإن المؤمن كلما ازداد إيمانًا كلما ازداد وزنه فى الآخرة؛ لأنه يوضع فى ميزان ربانى لا يشبه موازين البشر.

ولك أن تتخيل معى ذلك المشهد المهيب الذى حدث لذلك الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود.

فعن ابن مسعود ﵁ **أنه قال:** كنت أجتنى لرسول الله ﷺ من الأراك (ليأتيه بالسواك) قال: فضحك القوم من دقة ساقى، فقال النبى ﷺ : «مِمَّ تضحكون؟» قالوا: من دقة ساقيه. فقال: «**والذى نفسى بيده لهى أثقل فى الميزان من أُحُد**»(٢)، أى من جبل أُحُد. وفى المقابل يقول النبى ﷺ : «**إنه**

---

(١) صحيح: رواه أحمد، و الترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٧٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبرانى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٥٠).

ليأتى الرجـل العظيم السمين يوم الـقيامـة لا يزن عند الله جناح بعوضـه اقرءوا: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾»(١) .

وهذا مشهد نراه فى حيـاتنا فى كل يوم. . . فقد يرى الناس رجلاً، من أهل التقوى والصلاح لكنه فقير فـلا يلتفتون إليه مع أنه قد يكون من أحب الناس إلى الخالق جل وعلا.

قــال ﷺ : **«رُب أشـعـث مـدفـوعٍ بالأبواب. لو أقـسم علـى الله لأبرّه»**(٢) . . . وفى رواية: **«رُب ذى طمـرين لا يـُؤبه له لو أقـسم علـى الله لأبرّه»**(٣) .

وفى المقابل فقـد يرى الناس رجلاً كافرًا أو فـاسقًا، ولكنه من أصحاب الجاه والمال والرئاسة، فيُعظّمـون قدره مع أنه قد يكون من أبغض الناس إلى الخالق جل وعلا.

فرحة لمن يملك الثمن!!!

قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٤) .

فما أجـمل أن يتخلق المؤمن بخُلق العفـو. فإن ذلك يكون سببًـا لمغفرة الذنوب، بل وللتنعم بجنات النعيم عند علام الغيوب -جل وعلا-.

فعن أنـس أنه قال: بينا رسول الله ﷺ جالـس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: مـا أضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى؟ فقال: **«رجلان من أمتى جثيـا بين يدى رب العزة تبارك وتعالى، فقال أحدهما: يا رب خذ لى مظلمتى من أخى، قال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته. قال: يا رب لم يبقَ**

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٧٢٩) كتاب تفسير القرآن، ومـسلم (٢٧٨٥) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٢٢) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) **صحيح:** رواه البزار (٢٠٣٥)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٨٧).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

من حسناتى شىء، فقال الله تعالى لـلطالب: كيف تصنع ولم يبق من حسناته شىء. قال: رب فليحمل عنى أوزارى». قال: ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: «إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم»، قال: «فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك وانظر فى الجنان فرفع رأسه، فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ.... لأى نبى هذا؟ أو لأى صدِّيق هذا؟ أو لأى شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى ثمنه. قال: يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال: أنت تملكه، قال: ماذا يا رب؟ قال: تعفو عن أخيك. قال: يا رب فإنى قد عفوت عنه.

قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة»، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يُصلح بين المؤمنين يوم القيامة»[1]. وهذا تنبيه على أن ذلك إنما يُنال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق.

سعادة لا شقاء بعدها أبداً

فعن أنس رضي الله عنه قال: «يُؤتَى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكّل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يُسمع الخلائق.... سَعِد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خفّ ميزانه نادى بصوت يُسمع الخلائق... شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا...»[2].

فتفكَّر الآن فى نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطَّف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد: كيف يكون سرورك فى منصرفك من

---

(١) ضعيف جداً: رواه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله (١١٨)، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترغيب والترهيب (١٤٦٩).

(٢) موضوع: رواه أبو نعيم فى الحلية (٦/ ١٧٤)، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترغيب والترهيب (٢١٠٩).

مفصل القضاء، وقد خلع عليك خلعة الرضا وعُدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء؟ وعند ذلك طار قلبك سرورًا وفرحًا وابيّض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهّم تبخترُك بين الخلائق رافعًا رأسك خاليًا عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك، وخَلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشهاد: هذا فلان ابن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظمٍ من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنّعك وتزينك؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه، بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله، فلن تدرك ذلك إلا به.

مشهد عظيم لأهل البلاء

يا من ابتلاك الله فى الدنيا فصبرت واحتسبت وعشت على طاعته ولم تتسخط على قضائه.. أبشر بالجزاء الذى يحسدك عليه أهل العافية يوم القيامة... فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تُنصب الموازين يوم القيامة، فيؤتى بأهل الصلاة، فيوفون أجورهم بالموازين؛ ويؤتى بأهل الصيام؛ فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة، فيوفون أجورهم بالموازين؛ ويؤتى بأهل الحج، فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء، فلا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر لهم ديوان، ويُصب عليهم الأجر صبًا بغير حساب ثم قرأ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] حتى يتمنى أهل العافية فى**

---

(١) سورة الزمر: الآية: (١٠).

الدنيا، أن أجسادهم تُقرض بالمقارض، مما يذهب به أهل البلاء من الفضل».

وفى رواية: قال ﷺ : «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطَى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت فى الدنيا بالمقاريض»[(١)].

انظرونا نقتبس من نوركم

قال تعالى فى الحديث القدسى: «وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين. إن هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم أجمع عبادى، وإن هو خافنى فى الدنيا أمّنته يوم أجمع عبادى»[(٢)].

فيا إخوانى وأحبابى ويا أخواتى الفاضلات.... يا من عشتم زمان الغربة الثانى. ويا من تعذبتم فى الدنيا وكابدتم المتاعب وصبرتم على قضاء الله وقدره... أبشروا والله بعد هذا الخوف بالأمن فى ذلك اليوم الذى قال عنه الحق جل وعلا ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[(٣)].

فيا له من نعيم. ويا لها من فرحة لأهل الإيمان فى ذلك اليوم.

ثم ينادى الحق جل جلاله عليكم يا من تقاعستم عن طاعته ورضيتم بالحياة الدنيا قائلاً لكم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ

---

(١) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٧٧).

(٢) حسن: رواه أبو نعيم (١/ ٢٧٠)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٢).

(٣) سورة الحديد: الآيات: (١٢- ١٥).

مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١).

ولكن الله برحمته التى وسعت كل شىء ترك الباب مفتوحًا لكل من أراد أن يتوب ولكل من أراد صلاح قلبه واستسلامه لله جل وعلا. فقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢).

فمن أحسَّ بموت قلبه أو بمرضه، فليصدُق مع الله وليسأله أن يُحيى قلبه، وأن يشفى قلبه من حب الدنيا والتعلق بها، وسوف يصلح الله له قلبه، فإن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء.

تلك هى الجنة... فأين مهرها؟!!!

* ولعلكم تريدون أن تعرفوا ما هى الجنة حتى تعلوّ همتكم فى طلبها.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله- فى كتابه القيم «حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح»: «وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ومُلكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهى المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

(١) سورة الحديد: الآية: (١٦).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٧).

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحُلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعـمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى. وإن سـألت عن طعامهم ففاكهة مما يتـخيرون، ولحم طير مما يشـتهون، وإن سـألت عن شرابهم فـالتسنيـم والزنجبيل والـكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير.

وإن سألت عن سـعة أبوابها فـبين المصراعين مـسيرة أربعـين من الأعوام، وليـأتين عليـه يوم وهو كظيظ من الزحـام، وإن سـألت عن تصـفـيق الرياح لأشجارها، فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المُجدّ السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير فى ملكه وسُرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيـمة الواحدة من درة مجوفة، طولها ستون ميلا فى السماء، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهى غُرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار، وإن سـألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار. وإن سألت عن لـباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فراشها فبطائنهـا من إستبرق مفروشة فى أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فـهى الأسرَّة عليها البشخـانات -وهى الحجال مزررة بأزرار الذهب- فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجـوه أهلها وحسنهم فـعلى صورة القمـر. وإن سألت عن أسنانهم فـأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليـه السلام أبى البـشر، وإن سألت عن سمـاعهم فغناء أزواجهم من الحور العـين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التى يتـزاورون عليها، فنجـائب إن شاء الله مما شاء تسيـر بهم، وحيث شاءوا من الجنان. وإن سألت عن حُلـيهم وشارتهم

فـأساور الذهب واللؤلـؤ على الرؤوس ملابس التـيـجان. وإن سـألت عن غلمانهم فولدان مُخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألـت عن عرائســهم وأزواجهم، فـهن الكواعب الأتراب، اللائى جرى فى أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتـفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجرى الشمس من مـحاسن وجهها إذا برزت، ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء فى تقابل النيرين - الشمس والقمر- وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين. وإن ضمها إليه فما ظنك بتعـانق الغصنين، ويرى وجهـه فى صحن خدها، كـما يرى فى المرآة التى جلاها صقيلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمـها ولا حُللهـا. لو اطلعت على الدنيا لملأت مـا بين الأرض والسـماء ريحًـا. وأفواه الخلائق تـهليلاً وتكبـيرًا وتسـبيـحًا، ولتزخـرف لها مـا بين الخافقـين، ولأغمضت عن غيـرها كل عين، ولطمست ضوء الشـمس كما تطمس الشـمس ضوء النجوم، ولآمن من عـلى ظهرها بالله الحى القـيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، ولا يزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالاً، ولا يزداد لها على طول المدى إلا محبة ووصالاً، مُـبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها فى غاية أمنيته وهواه، وإن نظر إليـها سـرته وإن أمرها بطاعـته أطاعـته، وإن غاب عـنها حفظته، فهو منها فى غاية الأمانى. . . هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليـها ملأت قلبـه سرورًا،وكلمـا حدثته ملأت أذنـه لؤلؤًا منظومًا

ومنثوراً، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً.

وإن سألت عن السن فأتراب فى أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن، فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حَور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب، ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيِّرات الحسان، اللاتى جُمع لهن بين الحسن والإحسان، فأُعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرُب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها. وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة فى بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها، فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة المعانقة والمخاصرة.

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع. وإن قبَّلت فلا شىء أشهى إليه من التقبيل، وإن نوَّلت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس فى الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه. فاستمع يوم ينادى المنادى: يا أهل الجنة، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحى على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أُعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين، وحتى إذا انتهوا إلى الوادى الأفيح الذى

جعل لهم موعداً. وجُمعوا هناك فلم يغادر الداعى منهم أحداً، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنُصب هناك، ثم نُصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة. وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنى على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويُثقل موازيننا. ويُدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار. فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه: وقد أشرف عليهم من فوقهم. وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، فلا تُرد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب، ولم يرونى، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة: قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى. هذا يوم المزيد فاسألونى، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف لهم الرب -جل جلاله- الحُجُب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضَره ربه تعالى محاضرة حتى إنه يقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يُذكره ببعض غدراته فى الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لى؟ فيقول: بمغفرتى بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم فى الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾(١).

فحي على جنات عدن فإنها
منازلنا الأولى وفيها المخيمُ
ولكننا سبي العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونَسلمُ(٢)

فيا من أردت الجنة ها هو مهرها... شهادة في سبيل الله عز وجل، وها هو عقد الجنة الذي أخبر الله عز وجل عنه في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣).

هؤلاء الذين بشَّرهم الله بالجنة

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦).

---

(١) سورة القيامة: الآيات: (٢٢-٢٥).
(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم (ص:٢٦٢ - ٢٦٥).
(٣) سورة التوبة: الآية: (١١١).
(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٥).
(٥) سورة فصلت: الآية: (٣٠).
(٦) سورة التوبة: الآيتان: (٢١، ٢٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١) .

وقال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾(٢) . وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ - إلى قوله - ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٤) .

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ (٥) .

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(٦) .

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (٧) .

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢١).

(٣) سورة الكهف: الآية: (١٠٧).

(٤) سورة المؤمنون: الآيات: (١-١١).

(٥) سورة مريم: الآية: (٦٣).

(٦) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣ - ١٣٦).

(٧) سورة الرحمن: الآية: (٤٦).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [١].

وهذا في القرآن كثير ومداره على ثلاث قواعد: إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون مَن عداهم من سائر الخلق»[٢].

من الذين تشتاق الجنة إليهم؟!!

إنه ما من مؤمن إلا ونفسه تتوق إلى جنة الرحمن جل وعلا، ولكن يا تُرى من هم الذين تشتاق الجنة إليهم؟!!!

قال ﷺ: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمار وسلمان»[٣].

ولكى تستشعر تلك الفرحة فتخيل نفسك مكان واحدٍ من هؤلاء الصحب الكرام، وقد سمعت هذه البشرى من الحبيب ﷺ، فيا تُرى كيف تكون فرحتك وسعادتك؟!!!

نداء من أبواب الجنة الثمانية

إن الغاية التى يسعى إليها كل مؤمن أن يدخل الجنة، وأن ينجو من عذاب النار، فهذا هو الفوز الحقيقى مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [٤].

فما ظنك بمن يأتى يوم القيامة ويجد أن أبواب الجنة الثمانية تنادى عليه ليدخل من أى الأبواب شاء؟! فيا تُرى.

---

(١) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠-٤١).

(٢) حادى الأرواح (ص: ٣٧١-٣٧٣) بتصرف.

(٣) حسن: رواه الترمذى والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

من الذين يُنادَى عليهم من أبواب الجنة الثمانية؟!!

وسوف أسوق لحضراتكم باقة من الأحاديث العطرة التى تخبرنا عن هذا الصنف المبارك الذى يُنادَى عليه من أبواب الجنة الثمانية.

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين فى سبيل الله نُودى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خيرٌ فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دُعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقة»، فقال أبو بكر ﷺ: بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما على مَن دُعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: **«نعم. وأرجو أن تكون منهم»**[1].

وعن قرة بن إياس ﷺ أن رجلا كان يأتى النبى ﷺ ومعه ابن له فقال النبى ﷺ: **«أتحبه؟»** قال: نعم يا رسول الله أحبك الله كما أحبه ففقده النبى ﷺ فقال: **«ما فعل فلان بن فلان»** قالوا: يا رسول الله مات فقال النبى ﷺ لأبيه: **«ألا تحب أن لا تأتى بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك»** فقال رجل: يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا قال: **«بل لكُلكم»**[2].

وعن عُتبة بن عبد السُلَمى، وكان من أصحاب النبى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«القَتلى ثلاثة: رجلٌ مؤمنٌ قاتل بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقى العدو قاتلهم حتى يُقتل، فذلك الشهيد المفتخَر فى خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة، ورجل مؤمنٌ قرف على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقى العدو قاتل حتى يُقتل مُحيت ذنوبه وخطاياه إن السيف محّاءُ الخطايا وأُدخل من أى أبواب الجنة**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٧) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٢٧) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه النسائى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٠٧).

شاء، فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض، ورجلٌ منافقٌ جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقى العدو قاتل فى سبيل الله حتى يُقتل فإن ذلك فى النار، السيف لا يمحو النفاق»[(١)].

وعن عبد الرحمن بن عائذ - رجل من أهل الشام - قال: انطلق عقبة بن عامر الجهنى إلى المسجد الأقصى ليصلى فيه، فاتبعه ناسٌ فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: صحبتك رسول الله ﷺ أحببنا أن نسير معك ونسلم عليك. قال: انزلوا فصلوا، فنزلوا فصلى وصلوا معهُ، فقال حين سلَّم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس من عبد يلقى الله عز وجل لا يشرك به شيئًا لم يتندَّ بدمٍ حرام إلا دخل من أى أبواب الجنة شاء»[(٢)].

ومعنى: «لم يتند»: أى لم يُصب منه شيئًا.

قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خَمسها وصامت شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت زوجها. قيل لها: ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت»[(٣)].

وقال ﷺ: «مَن عَبَد الله لا يشرك به شيئًا، فأقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وأطاع، فإن الله تعالى يُدخله من أى أبواب الجنة شاء ولها ثمانية أبواب، ومَن عَبَد الله لا يشرك به شيئًا وأقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وعصى، فإن الله تعالى من أمره بالخيار إن شاء رَحمه وإن شاء عذَّبه»[(٤)].

وقال ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله. اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين، فُتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»[(٥)].

---

(١) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد ، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٩٢٣).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان ، والطبرانى فى الأوسط، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٠).

(٤) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألبانى فى ظلال الجنة (٩٦٨).

(٥) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٦٧).

وعن عقبة بن عامر قال: كانت علينا رعايةُ الإبل، فجاءت نوبتى فروّحتها بعشى، فأدركت رسول الله ﷺ قائمًا يُحدِّثُ الناس، فأدركت من قوله: «ما من مسلم يتوضأ فيُحسنُ وضوءه، ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة قال: فقلت: ما أجود هذه، فإذا قائل بين يدى يقول: التى قبلها أجودُ فنظرت فإذا عمر قال: إنى قد رأيتك جئت آنفًا قال: ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيُسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»(١).

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبْد الله وابن أَمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وأن الجنة حق وأن النَّار حقٌ أدخلهُ الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء»(٢).

وعن شرحبيل بن شُفعة قال: لقينى عتبة بن عبد السلمى، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يموتُ له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»(٣).

وعن عقبة بن عامر قال: حدثنى عمر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من مات يؤمنُ بالله واليوم الآخر قيل له: ادخل الجنة من أى أبواب الجنة الثمانية شئت»(٤).

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤) كتاب الطهارة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه أحمد، وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٢).

(٤) رواه أحمد (١/ ١٦) وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

عروس فى الجنة!!!

- فيا لها من فرحة يا أخى إذا سمعت المنادى ينادى عليك من أحد أبواب الجنة، فما ظنك بفرحك حين تسمع النداء يأتيك من أبواب الجنة الثمانية... بل إن الملائكة تستقبل المؤمنين بتلك الكلمات ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١).

فإن كان الزوج (العروس) فى الدنيا يقول له الناس «الليلة ليلتك»، فإن الملائكة تقول لك فى الجنة «هذا يومكم» فما أجملها من كلمات.

أول من يقرع باب الجنة

قال ﷺ: «أنا أول من يفتح الجنة، فإذا امرأة تبادرنى فأقول من أنت؟ فتقول: أنا امرأة تأيمت على أيتام لى»(٢).

فقوله تبادرنى: أى لتدخل معى أو تدخل فى أثرى، ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين: سرعة الدخول وعلو المنزلة.... فيا له من مشهد جليل وشرف عظيم.

* * *

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٣).

(٢) رواه أبو يعلى، وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح: إسناده لا بأس به.

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم

إن الإنسان إذا ما ذهب لزيارة أحد إخوانه أو أقاربه، فقد لا يتمكن من الوصول إليه وقد لا يعرف بيته.

أما فى الجنة فإن الذى يُعرفك بيتك هو الله جل وعلا...

قال تعالى: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [1].

بل قال ﷺ: «... فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدلُّ منه بمسكنه كان فى الدنيا» [2].

ادخلوا الجنة بغير حساب!!!

لقد أخبر النبى ﷺ عن طائفة من أمته يدخلون الجنة بغير حساب، فقال ﷺ: **«عُرضت علىَّ الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى وليس معه أحد، إذ رُفع لى سوادٌ عظيم، فظننت أنهم أمتى، فقيل لى: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فإذا سواد عظيم، فقيل لى: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.... هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»** [3].

فيا لها من فرحة لمن يدخل الجنة بغير حساب، وذلك لأن المؤمن يعلم أنه لو جاءه من يبشره بالجنة، ولكن بعد أن يحاسبه الله ثم يُدخله الجنة لكان ذلك عذابًا شديدًا؛ لأن النبى ﷺ قال: **«من نُوقش الحساب عُذِّب»** [4].

---

(١) سورة محمد: الآية: (٦).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٧٥٢) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٥٣٦) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٧٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

وفى رواية: «من نُوقش المحاسبة هلك»[1] .

فمجرد مناقشة الحساب عـذاب شديد. فحسبُك أيها المؤمن أن يعدد الله عليك ذنوبك وأوزارك.

فكيف بمن يحاسـبه الله وهو لا يدرى هل هو من أهل الجنة أم من أهل النار؟! وبذلك تستطيع أن تسـتشعر مدى فـرحة هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب «فاللهم اجعلنا منهم».

لقاء على باب الجنة

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلـمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام»[2] .

وفى رواية: «بأربعين خريفًا»[3].

وتختلف مدة السبق بحـسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بخمسـمائة عـام، كما يتـأخر مكث العصاة من الموحـدين فى النار بحسب أحوالهم، والله أعلم.

ولكن ههنا أمر يجب التنبـيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سَبْقِهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غـيره فى الدخـول. والدليل على هـذا أن من الأمة من يدخل الجـنة بغيـر حساب، وهم السبعون ألفًا، وقد يكون بعض مَن يُحاسَب أفضل من أكثرهم والغنى إذا حُوسـب على غناه فوُجد قـد شكر الله تعالى فـيه وتقـرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعـلى درجة من الفقير الذى سبقه

---

(١) **صحيح**: رواه الطبرانى، والبزار، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٧٩).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٧٦).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٧٩) كتاب الزهد والرقائق، بلفظ: **«إن فقراء المهاجرين يسـبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا»**.

فى الدخول، ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

فالمزية مزيتان: مزية سبق، ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة ويعدمهما آخر، ويحصّل الآخر السبق دون الرفعة والآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه. . . وبالله التوفيق[1].

مشهد عظيم عند دخول الجنة

قال على بن أبى طالب ﷺ: «يُساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمراً، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أُمروا بها فشربوا منها، فأذهب ما فى بطونهم من أذى وقذى وبأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدًا ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة، فقالوا: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين. قال: ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يَقْدُم من غيبته، فيقولون: أبشر بما أعدَّ الله لك من الكرامة: ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: قد جاء فلان - باسمه الذى يُدعى به فى الدنيا - فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته، وهو ذا بأثرى، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر من كل لون، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه، فإذا مثل البرق، فلولا أن الله قدّره له لألمَّ أن

(١) حادى الأرواح للإمام ابن القيم (ص١١١، ١١٢) ط دار الحديث.

يذهب بصره، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه، وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة، فنظروا إلى تلك النعمة، ثم اتكاؤا وقالوا: الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، ثم ينادى منادٍ: تحيون فلا تموتون أبدًا، وتقيمون فلا تظعنون أبدًا، وتصحُّون فلا تمرضون أبدًا»[١].

وعن النعمان بن سعد قال: كنا جلوسًا عند عليّ رضي الله عنه فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[٢] قال: لا والله ما على أرجلهم يُحشرون ولا يُحشَرُ الوفد على أرجلهم ولكن على نُوقٍ لم تر الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهبٍ فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة»[٣].

أول زمرة تدخل الجنة

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألُوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خُلق رجلٍ واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء»[٤].

وفى رواية البخارى: «ولكل واحدٍ منهم زوجتان، يُرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحُسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجلٍ واحد يُسبحون الله بُكرة وعشيًّا»[٥].

---

(١) حادى الأرواح، للإمام ابن القيم (ص١٤٣-١٤٤).

(٢) سورة مريم: الآية: (٨٥).

(٣) رواه أحمد عن النعمان بن سعد (١٢٦٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسَدُّ بهم الثغور وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاءً، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم. فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنُسلِّم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدوننى لا يشركون بى شيئًا وتُسَدُّ بهم الثغور وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاءً. قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار»[(١)] .

درجات الجنة... ومَن هم أهلها

قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [(٢)] .

ذكر ابن جرير.... عن ابن محيريز قال: «فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيمًا درجات منه . .

قال: هى سبعون درجة ما بين الدرجتين عَدْو الفرس الجواد المضمّر سبعين عامًا». وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة، ثم أوقعه ثانيًا بدرجات. فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد. والثانى بين القاعد بلا عذر والمجاهد.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو نعيم فى الحلية. وابن حبان، والبزار، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣١٨٣).

(٢) سورة النساء: الآيتان: (٩٥-٩٦).

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضُل ما بينهم». قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[(٣)(٤)].

فتلك والله بشرى تثلج صدور المؤمنين... فاللهم إنا نُشهدك أنّا آمنا بك وصدقنا المرسلين فاجعلنا من أهل الغُرف.

الأعمال التى ترفع المؤمن فى درجات الجنة

إن للمؤمن همة عالية تجعله يتطلع دائمًا إلى الأفضل والأحسن، فبينما تجد أن الكثير من المؤمنين لا يريدون إلا النجاة من النار ودخول الجنان.. إلا أن هناك صنفًا همته عالية، فهو يتطلع دائمًا إلى أعلى درجات الجنة.

وها أنا أسوق لحضراتكم باقة من الأعمال التى ترفع المؤمن فى أعلى درجات الجنة.

١- الجهاد فى سبيل الله:

قال ﷺ: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان: (١٦٢، ١٦٣).

(٢) سورة الأنفال: الآيات: (٢-٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٥٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣١) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٤) حادى الأرواح للإمام ابن القيم (ص: ٧٢).

بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجّر أنهار الجنة»[١] .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا، وجبت له الجنة، فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعِدها علىَّ يا رسول الله ففعل، ثم قال: وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال: وما هى يا رسول الله؟ قال: الجهاد فى سبيل الله الجهاد فى سبيل الله»[٢] .

وعن أبى نجيح السلمى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بلغ بسهم فى سبيل الله فهو له درجةٌ فى الجنة» فبلغت يومئذ ستة عشر سهمًا [٣] .

٢ - التواضع لله (جل وعلا):

قال ﷺ : «... وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»[٤] .

٣ - قراءة القرآن وحفظه:

قال ﷺ : «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد لكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شىء معه»[٥] .

وقال ﷺ : «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارقَ ورتِّل، كما كنت تُرتِّل فى دار الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها»[٦] .

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٨٤) كتاب الإمارة.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٩٦٥) كتاب العتق، والترمذى (١٦٣٨) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٤٣) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٢٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٧٨٠) كتاب الأدب، وأحمد (٣/ ٤٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٢١).

(٦) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٤) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٩١٤) كتاب فضائل القرآن، وأحمد (٢/ ١٩٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٢٢).

٤ - إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة:

قال ﷺ : «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ . قال: **إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخُطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط»**[١].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخطُ خطوةً إلا رفعه الله بها درجة وحطَّ عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه وتصلي الملائكة عليه ما دام في مجلسه الذي يُصلي فيه. يقولون: اللهم اغفر له. اللهم ارحمه. اللهم تُب عليه ما لم يُؤذ فيه أو يُحْدث فيه»**[٢].

٥- منَ وصل الصفوف في الصلاة .... وسدَّ فرجة:

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله تعالى وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف، ومن سدَّ فُرجة رفعه الله بها درجة»**[٣].

٦ - ذكر الله:

قال ﷺ : «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والورِق - الفضة - وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **«ذكر الله»**[٤].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥١) كتاب الطهارة.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٧٧) كتاب الصلاة، ومسلم (٦٤٩) كتاب المساجد.

(٣) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٩٩٥) كتاب إقامة الصلاة، وأحمد (٦/ ٨٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٨٤٣).

(٤) **صحيح:** رواه الترمذي (٣٢٧٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٠) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٢٩).

٧ـ الصبر على البلاء:

قال ﷺ : «ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا كُتبت له بها درجة ومُحيت عنه بها خطيئة»[١] .

٨ـ طلب العلم:

قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[٢] .

٩ـ من شاب شيبة فى الإسلام:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تنتفوا الشيب، فإنه نور المسلم. ما من مسلم يشيب شيبةً فى الإسلام إلا كُتب له بها حسنة ورُفع بها درجة أو حُطَّ عنه بها خطيئة»[٣] .

١٠ـ كثرة الطواف حول الكعبة:

قال ﷺ : «من طاف بهذا البيت أسبوعًا يحصيه كُتب له بكل خطوة حسنة، وكُفّر عنه سيئة، ورُفعت له درجة، وكان عدل عتق رقبة»[٤] .

أُسبوعًا: أى سبعة أشواط.

١١ـ كثرة السجود لله:

قال ﷺ : «عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطَّ بها عنك خطيئة»[٥] .

١٢ـ حسن الخلق:

قال ﷺ : «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم»[٦] .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٢) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة المجادلة: الآية: (١١).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٠٢) كتاب الترجل، وأحمد (٢/ ١٧٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٦٠).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٩٥٩) كتاب الحج، والنسائى (٢٩١٩) كتاب مناسك الحج، وأحمد (٢/ ٩٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٨٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٤٨٨) كتاب الصلاة.

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، وأحمد (٦/ ٩٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٣٢).

وقال ﷺ : «إن المسلم المُسدَّد ليدرك درجة الصوّام القوَّام بآيات الله بحُسن خُلقه وكرم ضريبته»[١].

١٣ـ من قال دعاء السوق:

قال ﷺ : «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتًا في الجنة»[٢].

١٤ـ استغفار الولد لأبيه:

قال ﷺ : «إن الرجل لتُرفع درجته في الجنة. فيقول: أنَّى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»[٣].

١٥ـ محبة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم (فالمرء مع من أحب):

عن أنس بن مالك قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وما أعددت للساعة؟» قال: حُبَّ الله ورسوله. قال: «فإنك مع من أحببت.» قال أنسٌ: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ : «فإنك مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحبُّ الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم[٤].

ونحن نُشهدك يارب أننا نحبك حبًا يليق بجلالك وكمالك، ونحب رسولك ﷺ ، ونحب الصحابة رضي الله عنهم ونحب الصالحين في كل زمان

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٧٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٩٤٩).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٤٢٨) كتاب الدعوات، وأحمد (١/ ٤٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٣١).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٦٦٠) كتاب الأدب، وأحمد (٢/ ٥٠٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦١٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب.

ومكان، ونسألك أن تحشرنا يوم القيامة فى زمرة المتقين. وإن لم نعمل بمثل أعمالهم[1].

١٦- طاعة الله ورسوله ﷺ:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلىَّ من نفسى، وإنك لأحب إلىَّ من أهلى، وأحب إلىَّ من ولدى، وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وإنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليه النبى ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ [2][3].

- كانت هذه بعض الأسباب التى يبلغ بها المؤمن أعلى درجات الجنة.. فنسأل الله جل وعلا أن يرفع درجتنا فى الجنة وأن يرزقنا صحبة النبى ﷺ وأصحابه، وأن ينعم علينا بنعمة النظر إلى وجهه الكريم.

أعلى أهل الجنة وأدناهم منزلة

عن المغيرة بن شعبة، عن النبى ﷺ قال: «**سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجىء بعد ما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أى رب. كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيُقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك، ولذّت عينك...**

(١) رحلة إلى الدار الآخرة / للمصنف (٧١٩ : ٧٢٣) بتصرف.

(٢) سورة النساء: الآية: (٦٩).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٩٣٣).

فيقول رضيت رب، قال رب فأعلاهم منزلة. قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترَ عين ولم تسمع أُذن ولم يخطر على قلب بشر»[١].

وعن أبى هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طُرفة ليست مع صاحبه».

وعن أبى هلال قال: حدثنا حميد بن هلال: قال: «ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه».

وعن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ».

* وقال ﷺ : «إن أدنى أهل الجنة منزلاً رجلٌ صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة، ومثَّل له شجرةً ذات ظل، فقال: أى رب قدِّمنى إلى هذه الشجرة فأكون فى ظلها، فقال اللهُ: هل عسيت أن تسألنى غيرهُ؟ قال: لا وعزتك، فقدَّمهُ الله إليها، ومثَّل لهُ شجرةً ذات ظل وثمر، فقال: أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة فأكون فى ظلها، وآكل من ثمرها، فقال الله: هل عسيت إن أعطيتُك ذلك أن تسألنى غيرهُ؟ فيقولُ: لا وعزتك، فيقدمهُ الله إليها، فيمثل اللهُ لهُ شجرةً أخرى ذات ظلٍ وثمرٍ وماء، فيقولُ: أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة فأكون فى ظلها، وآكل من ثمرها، وأشرب من مائها، فيقولُ لهُ: هل عسيت إن فعلتُ أن تسألنى غيرهُ؟ فيقولُ: لا وعزتك لا أسألك غيرهُ، فيقدمهُ الله إليها، فيبرز لهُ بابُ الجنة، فيقول: أى رب قدمنى إلى باب الجنة فأكونُ تحت سجاف الجنة[٢] فأرى أهلها، فيقدمهُ الله إليها فيرى الجنة وما فيها، فيقول: أى رب أدخلنى الجنة، فيدخلُ الجنة، فإذا دخل الجنة قال: هذا لى؟ فيقولُ الله لهُ: تمنَّ، فيتمنى، ويُذكرهُ الله عز

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان .

(٢) سجاف: أى الستر.

وجل سَلْ من كـذا وكذا حتى إذا انقطعـت به الأماني، قال الله: هو لك وعـشرةُ أمثاله، ثم يُدخلهُ الله الجنة، فيدخلُ عليه زوجتاهُ من الحور العين؛ فيقولان: الحمد لله الذى أحياك لنا، وأحيانا لك. فيقولُ: ما أُعطى أحدٌ مثل ما أُعطيتُ.... وأدنى أهل النار عذابًا يُنعلُ من نار بنعلين يغلى دماغُه من حرارة نعليه»[1].

* لقد كان من الممكن أن يدخل هذا الـرجل الجنة مرة واحدة ولكنه من شدة العذاب الذى رآه منبعثًا من نار جهنم لم يكن يطيق رؤية النعيم الكامل فى الجنة مرة واحدة وإلا لمات من هول المفاجأة وشدة الفرح. . ولذا كان من كمال رحـمة الله (جل وعلا) أنه تدرَّج معه من نعـيم إلى نعيم حتى أدخله الجنة وأراه النعيم الكامل فى الجنة.

آخر من يدخل الجنة

* وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يحكى لنا قصة آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة. . ويحـكى لنا ذلك الحوار الـذى دار بينه وبين ربه (جل وعلا) وتلك الكرامات التى أكرمه الله بها حتى أن هذا الرجل لم يصدق أن الله أكرمه بكل هذا الخير الذى لا يخطر على قلب بشر.

عن عـبد الله بن مـسعـود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«إنى لأعلم آخر أهل النار خـروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخـولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبوًا، فـيقول الله تبارك وتعـالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيـها فيُخيَّـل إليه أنها ملأى فيرجع، فـيقول: يارب وجدتها ملأى، فيـقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة. قال: فيـأتيها فيُخيَّل إليـه أنها ملأى. فيرجع فيـقول: يارب وجدتها ملأى، فيقـول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشـرة أمثالها، أو إن لك عـشرة أمـثال الدنيـا. قال: فـيـقول: أتسـخر بى (أو أتضـحك بى) وأنت**

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢١١) كتاب الإيمان.

الملك؟ قال ابن مسعود: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة»[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتَسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذى نجانى منك، لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرة، فيقول: أى رب ادنُنى من هذه الشجرة، فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول: لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم تُرفع له شجرة هى أحسن من الأولى، فيقول: أى رب ادنُنى من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أنك لا تسألنى غيرها؟ فيقول: لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين، فيقول: أى رب ادنُنى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ قال: بلى يارب، هذه لا أسألك غيرها. وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أى رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصرينى منك؟ - والمعنى: أى شىء يرضيك ويقطع السؤال بينى وبينك - أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب أتستهزئ منى وأنت رب العالمين. فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألونى مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان.

رسول الله؟ قال: **من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بى وأنت رب العالمين؟ فيقول: إنى لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء قادر»**[١].

يا رب أين الكبائر؟!!!

إنه مشهد من أجمل مشاهد الفرحة يوم القيامة.

فإن العبد فى ذلك اليوم يهرب من صغائر ذنوبه، ولكن هذا الرجل يبحث عن كبائر ذنوبه.. فيا تُرى ما هو السبب؟!!

عن أبى ذر قال: قال رسُولُ الله ﷺ: **«إنى لأعلمُ آخر أهل الجنة دُخُولاً الجنة، وآخر أهل النار خُرُوجًا منها، رجُلٌ يُؤتَى به يوم القيامة، فيُقالُ: اعرضُوا عليه صغار ذُنُوبه وارفعُوا عنهُ كبارها، فتُعرضُ عليه صغارُ ذُنُوبه، فيُقالُ: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقُولُ: نعم، لا يستطيعُ أن يُنكر، وهُو مُشفقٌ من كبار ذُنُوبه أن تُعرَض عليه، فيُقالُ لهُ: فإن لك مكان كُل سيئة حسنةً، فيقُولُ: رب قد عملتُ أشياء لا أراها ها هُنا»**.

فلقد رأيت رسُول الله ﷺ ضحك، حتى بدت نواجذُهُ[٢].

خيمة من لؤلؤة... وبيت الحمد

قال ﷺ: «إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها». قال أبو مالك الأشعرى، لمن هى يا رسول الله؟ قال: **«أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام»**[٣].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٧) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه أحمد، وابن خزيمة، وابن حبان، والطبرانى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا»(١).

وقد تقدم قوله ﷺ فى الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتًا فى الجنة»(٢).

وقوله فى حديث أبى موسى: «يقول الله عز وجل لمن حَمِد واسترجع عند موت ولده: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسَمُّوه بيت الحمد»(٣).

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن أبى أوفى وأبى هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبى ﷺ : **«يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك. معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب. فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومنِّى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»**(٤).

والقصب ههنا: قصب اللؤلؤ المجوف.

وعن مغيث بن سمى قال: إن فى الجنة قصوراً من ذهب وقصوراً من فضة، وقصوراً من لؤلؤ، وقصوراً من ياقوت، وقصوراً من زبرجد.

شفاعة أهل الإيمان... وعتقاء الرحمن

عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : **«إذا خلص المؤمنون من النار يوم القيامة وأَمِنوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه فى الحق يكون له فى الدنيا بأشد مجادلة له من المؤمنين لربهم فى إخوانهم الذين أُدخلوا النار. قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويحجُّون معنا، فأدخلتهم النار.**

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٢٤٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) **صحيح:** رواه ابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٢٧).

(٣) **حسن:** رواه أحمد، والترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٢٢) كتاب فضائل الصحابة.

قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا مَن عرفتم، فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيُخرجونهم، فيقولون: ربنا أخرجنا من أمرتنا، ثم يقول: أخرجوا من كان فى قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم من كان فى قلبه وزن نصف دينار حتى يقول: من كان فى قلبه مثقال ذرة. قال أبو سعيد: فمن لم يصدق بهذا، فليقرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] قال: فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا فلم يبقَ فى النار أحد فيه خير. قال: ثم يقول الله: شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون وبقى أرحم الراحمين. قال: فيقبضُ قبضةً من النار، أو قال: قبضتين.. ناسٌ لم يعملوا لله خيراً قط قد احترقوا حتى صاروا حُممًا. قال: فيؤتَى بهم إلى ماء يقال له ماء الحياة، فيُصبُّ عليهم فينبتون كما تنبتُ الحبةُ فى حميل السيل، فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ فى أعناقهم الخاتم عُتقاءُ الله، قال: فيقال لهم: ادخلوا الجنة فما تمنيتم أو رأيتم من شىء فهو لكم.. وعندى أفضل من هذا. قال: فيقولون: ربنا وما أفضل من ذلك؟ قال: فيقول: رضائى عليكم فلا أسخط عليكم أبداً»[2].

ولذلك فعليك أخى الكريم أن تتواعد من الآن مع إخوانك الصالحين على أن مَن رزقه الله الشفاعة يوم القيامة أن يشفع لأخيه. . . فإن تواعدت مع مائة أخٍ صالح، فلربما ييسر الله لأحدهم الشفاعة فيشفع لك عند رب العزة جل وعلا. . . وإنى أسألك بالله يا من قرأت تلك الرسالة إذا رزقك الله الشفاعة يوم القيامة ألا تنسى أخيك من شفاعتك.

---

(١) سورة النساء: الآية: (٤١).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٦٠) فى المقدمة، وأحمد (٣/ ٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح ابن ماجه.

يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع أهل النار فى النار، ومن شاء الله معهم من أهل القبلة. قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى. فيقولون: ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا فى النار، فيقولون: كانت لنا ذنوب فأُخذنا بها، فيسمع الله عز وجل ما قالوا. فيأمر بإخراج من كان فى النار من أهل القبلة، فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أُخرجوا»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾(١) (٢).

فيا لها من فرحة لأهل الإسلام والتوحيد... فيا إخوانى اعرفوا قدر الإسلام، بل اعرفوا قدر أنفسكم فى ظل الإسلام.

رحمة الله... وحسن ظن العبد بالله

قال رسول الله ﷺ: «.... لله أرحم بعباده من هذه بولدها»(٣).

وقال جابر بن عبد الله: من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب، ومن استوت حسناته وسيئاته، فذلك الذى يُحاسَب حسابًا يسيرًا ثم يدخل الجنة. وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره.

ويُروى أنّ الله عز وجل قال لموسى عليه السلام: يا موسى استغاث بك فرعون فلم تغثه، وعزتى وجلالى لو استغاث بى لأغثته وعفوت عنه.

وقال سعد بن بلال: يؤمر يوم القيامة بإخراج رجلين من النار، فيقول الله

---

(١) أخرجه ابن أبى عاصم (٢/ ٤٠٥)، وابن جرير فى التفسير (١٤/ ٢)، والحاكم (٢/ ٢٦٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة.

(٢) سورة الحجر: الآية: (٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.

تبارك وتعالى: ذلك بما قدّمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، ويأمر بردِّهما إلى النار، فيعدو أحدهما فى سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر ويأمر بردهما ويسألهما عن فعلهما، فيقول الذى عدا إلى النار: قد حُذرت من وبال المعصية فلم أكن لأتعرّض لسخطك ثانية، ويقول الذى تلكأ: حسن ظنى بك كان يشعرنى أن لا تردنى إليها بعد ما أخرجتنى منها، فيأمر بهما إلى الجنة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَى الله، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلا تُعِدْنِي فِيهَا، فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا**»(١).

وليس معنى ذلك أن نترك العبادة بحجة أننا نُحسن الظن، بل علينا أن نجتهد فى عبادة الله راجين موعود الله ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٢).

وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، حيث يقول: «**لا يموتن أحدٌ منكم إلا وهو يُحسن الظن بالله تعالى**»(٣).

فأما من ترك طاعة الله بحجة أنه يُحسن الظن بالله... فنُهدى إليه قول الحسن رضي الله عنه: إن قومًا غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم. وقالوا: نُحسن الظن.. وكذبوا والله، فلو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٢) كتاب الإيمان.

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

ذبح الموت.. وفرحة أهل الجنة

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار، ثم يُذبح، ثم ينادي مُناد: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حُزنًا إلى حُزنهم»(١).

وتلك الفرحة إنما كانت لعلمهم أنه بعد ذبح الموت فقد قضى الله لهم بالخلود فى نعيم الجنة فيما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

نداء أصحاب الجنة

وتأمل معى أخى الحبيب.. وتأملى معى أختى المؤمنة الصابرة هذا النداء الذى جاء على لسان أصحاب الجنة بعد أن ورثوا جنة الرحمن جل وعلا.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (٢).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٨) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة الأعراف: الآيات: (٤٢-٤٦).

رجل يستأذن ربه فى الزرع

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١).

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ كـان يومًا يحـدّث وعنده رجل من أهل البادية: «**أن رجـلاً من أهل الجنة استـأذن ربه فى الزرع، فـقال: أَوَ لست فـيمـا شـئت؟ قـال: بلى، ولكنى أحب أن أزرع. فـأسـرع وبذر فـتـبـادر الطرف نبـاته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يُشبعك شىء**»، فقال الأعرابى: يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشيًّا أو أنصاريًّا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ (٢).

وليس الأمر مقصورًا على الزرع. فهذا مجرد مثال ودليل على أن المؤمن فى الجنة يجد كل ما يشتهيه. فاللهم ارزقنا الجنة.

قوة أهل الجنة

إن المال والجاه لا يُعتـبر نعيمًـا إذا كان هناك ما يحول بينه وبين صـاحبه (من مرض أو عجز أو ضعف)، فإنه قد لا يتمتع بشىء من هذا المال لشدة مرضه.. ولذا فإنه من كمال النعيم واللـذة فى الجنة أن المؤمن فيها لا يصيبه الضعف أو المرض، بل يكون دومًا وأبدًا فى صحة وعافية، بل إن قوته تزيد على قـوة (أشـد أهل الدنيـا) مـائة مـرة فى الطعـام والشـراب والشـهـوة والجماع... وقوته لا تضعف ولا تفتر أبدًا مع مرور السنين والأيام.

عن زيد ابن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبى ﷺ قال:

(١) سورة الزخرف: الآية: (٧١).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٧٥١٩) كتاب التوحيد.

يا أبا القاسم، ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه: إن أقرّ لى بهذه خصمته. قال: فقال رسول الله ﷺ: **«بلى والذى نفسى بيده إن أحدهم ليُعطَى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والشهوة والجماع»**. قال: فقال له اليهودى: فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة. قال: فقال رسول الله ﷺ: **«حاجة أحدهم عرق يفيض من جلودهم مثل ريح المسك، فإذا البطن قد ضمر»**(١).

وقال الحاكم: أنبأنا الأصم.... عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن فى الجنة طيراً أمثال البخاتى»**، فقال أبو بكر: إنها لناعمة يا رسول الله، قال: **«أنعم منها من يأكلها. أنت ممن يأكلها يا أبا بكر»**(٢).

ثياب أهل الجنة

إن أهل الجنة يلبسون أفخر أنواع الثياب التى لا تخطر على قلب بشر ويتزينون فيها بأفخر أنواع الذهب والفضة واللؤلؤ.

فهم يلبسون الحرير الصافى ويتحلون بأساور الذهب والفضة واللؤلؤ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ۝٣٠ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٧١)، والطبرانى (٥/ ١٧٨)، وقال الهيثمى (١٠/ ٤١٦): رجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة وهو ثقة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢٧).

(٢) مشاهد يوم القيامة / للمصنف (ص: ٢٤٣-٢٤٤).

(٣) سورة الكهف: الآيتان: (٣٠:٣١).

تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (٣).

وفى الحديث أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة... خلقًا تُخلق أم نسجًا تُنسج؟ قال: فضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: **«مم تضحكون؟ من جاهل يسأل عالمًا!!»** ثم أكبَّ رسول الله ﷺ ثم قال: **«أين السائل؟»** قال: هو ذا يا رسول الله، قال: **«لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة»**(٤).

وقال ﷺ: «لو أن رجلاً من أهل الجنة اطَّلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم»(٥).

وعن أبى حازم قال: كنت خلف أبى هريرة وهو يتوضأ للصلاة، فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه، فقلت له: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بنى فروخ أنتم ههنا؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلى ﷺ يقول: **«تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»**(٦).

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيد سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها**

(١) سورة الحج: الآية: (٢٣).

(٢) سورة الدخان: الآيات: (٥١: ٥٣).

(٣) سورة الإنسان: الآية: (٢١).

(٤) رواه أحمد (٢/ ٢٠٣)، وصحح إسناده أحمد شاكر (١٢/ ٧٠٩٥).

(٥) رواه أحمد (١/ ١٦٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٣٧٦٥) وصحيح الجامع (٥٢٥١).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٠) كتاب الطهارة.

معـها، ولنصيـف امرأة من الجنة خيـر من الدنيا ومـثلها معـها»، قال: قلت: يا رسول الله وما النصيف؟ قال: «**الخمار**»(١).

وفي الصحـيحين أيـضًا من حديث البـراء قال: أُهديت لرسول الله ﷺ حُلة حرير، فجعل أصـحابه يلمسونها ويعجبون من لينهـا، فقال رسول الله ﷺ: «**تعـجـبون مـن لين هذه؟ لمناديل سـعـد بن معـاذ فى الجنة خـيـر منهـا وألين**»(٢).

ولا يخفى مـا فى ذكر سـعد بن معـاذ بخصـوصه ههنا، فـإنه كان فى الأنصار بمنزلة الصدّيق فى المهاجرين واهتز لموته العرش، وكان لا يأخذه فى الله لومـة لائم، وختم الله له بالشـهادة وآثر رضـا الله ورسوله علـى رضا قومـه وعشيـرته وحُلفائه، ووافق حُكمه الذى حكم بـه حكم الله من فوق سبع سمـوات، ونعاه جبريل إلى النبى ﷺ يوم مـوته، فحُقَّ له أن تكون مناديله التى يمسح بها يديه فى الجنة أحسن من حُلل الملوك.

وعن أبى سعيد عن النبى ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لونِ أحسن من كوكب درى فى السماء، لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها»(٣).

مطر أهل الجنة

إن المطر كان فى الدنيا يأتى إما للرحمـة وللحياة، وإما للعذاب والموت.

قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾(٤).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٤٨٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٣٧٦٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦١٦) كتـاب الهبة وفضلها والتحريض عليهـا، ومسلم (٢٤٦٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) متـفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٦) كـتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتـاب الجنة وصفة نعيـمها وأهلها.

(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٣٠).

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى عن عقاب الأمم الكافرة بالماء والمطر: ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٥).

أما فى الجنة فإن السحابة تمر فوق رءوس المؤمنين، فيأمرها المؤمن أن تُمطر عليه ما شاء من النعيم واللذة والطعام والشراب.

فعن خالد بن معدان، عن كثير بن مُرة قال: «إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة، فتقول: ماذا تريدون أن أُمطركم؟ فلا يتمنون شيئًا إلا أُمطروا» قال: يقول كثير: لئن أشهدني الله ذلك لأقولن: أمطرينا جوارى مزينات»(٦).

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يمطره سببًا للرحمة والحياة فى هذه الدار ويجعله سببًا لحياة الخلق فى قبورهم حيث يمطر على الأرض

(١) سورة الأعراف: الآية: (٥٧).
(٢) سورة الحجر: الآية: (٧٤).
(٣) سورة الفرقان: الآية: (٤٠).
(٤) سورة النمل: الآية: (٥٨).
(٥) سورة الأحقاف: الآيتان: (٢٤-٢٥).
(٦) حادى الأرواح للإمام ابن القيم (ص: ٢٢٣).

أربعين صباحًا متداركًا من تحت العرش، فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويُبعثون يوم القيامة والسماء تطش عليهم - أى: تُمطر مطرًا خفيفًا.

وكأنه - والله أعلم - أثر ذلك المطر العظيم كما يكون فى الدنيا، ويثير لهم سحابًا فى الجنة يمطرهم، ما شاؤوا من طيب وغيره، وكذلك أهل النار ينشىء لهم سحابًا يمطر عليهم عذابًا إلى عذابهم، كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحابًا أمطر عليهم عذابًا أهلكهم فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب.

مصافحة الملائكة

تقول الملائكة: أما وعزة ربنا وجلاله ما ضحكنا منذ خُلقنا إلا معكم، ولا هزلنا إلا معكم، فهنيئًا لكم هنيئًا بكرامة ربكم، فلما ودّعوهم وانصرفوا عنهم دخلوا قصورهم فليس أحد منهم إلا وقد وجد الله عز وجل قد جمع له فى قصره أمنيته التى تمنّى، وإذا على كل قصر منها باب يُفضى إلى وادٍ أفيح من أودية الجنة محفوفة تلك الأودية بجبال من الكافور الأبيض، وكذلك جبال الجنة، وهى معادن الجوهر والياقوت والفضة فارعة أفواهها فى بطون تلك الأودية، فى بطن كل واحد منها أربع جنان: جنتان ذواتا أفنان، فيهما عينان تجريان، فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان مدهامتان، فيهما عينان نضاختان، وفيهما فاكهة ونخل ورمان، وحور مقصورات فى الخيام، لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان، كأنهن الياقوت والمرجان، فلما تبوءوا المنازل واستقر قرارهم زارهم ربهم تبارك وتعالى فى ملائكته فيقول لهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ قالوا: نعم، قال: كيف وجدتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا رضينا فارضَ عنا. فيقول لهم الجليل جل جلاله: برضائى عنكم نظرتم إلى وجهى، وسمعتم كلامى، وحللتم دارى،

وصافحتكم ملائكتى، فهنيئًا هنيئًا عطائى لكم، ليس فيه نكد ولا تكدير، فقالوا: الحمد لله الذى أحلَّنا دار المُقامة من فضله لا يمسنا فيها نَصَبٌ ولا يمسنا فيها لُغوب[1].

الحور العين تطلبك من الله (عزوجل)

قال ﷺ: **«لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»**[2].

ـ والمؤمن إذا دخل الجنة يكرمه الله عز وجل بزوجتين من الحور العين... وهذا هو الذى أخبر عنه الحق جل وعلا بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**﴾[3]... فالنُّزُل هو ما أُعد للضيف.

وهذا الأمر لا يتعارض مع كون عدد الأزواج قد يصل إلى سبعين أو أكثر، فإن الله يكرم المؤمن بالزوجتين عند دخول الجنة ثم يكرمه بعد ذلك بزوجات على قدر منزلته فى الجنة... والله أعلم.

وذكر ابن أبى الدنيا عن أبى سليمان الدارانى قال: كان شابٌّ بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان إن نزلوا فهو يصلى وإن أكلوا فهو صائم، فصبر عليه رفيقه ذاهبًا وجائيًا، فلما أراد أن يفارقه قال له: يا أخى أخبرنى ما الذى هيّجك إلى ما رأيت؟ قال: رأيت فى النوم قصراً من قصور الجنة، وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب، فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها، عليها

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزى (ص١٣٣-١٣٤) ط. مكتبة الإيمان.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (١١٧٤) كتاب الرضاع، وابن ماجه (٢٠١٤) كتاب النكاح، وأحمد (٥/ ٢٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٧٣).

(٣) سورة الكهف: الآية: (١٠٧).

ثوب من فضة ينثني معها كلما تثنَّت، فقالت: جِدّ إلى الله في طلبي، فقد والله جددت إليه في طلبك...، فهذا الذي تراه في طلبها.

قال أبو سليمان: هذا في طلب حوراء، فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟! [(١)].

فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرة أعين

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [(٢)].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» [(٣)]. مصداق ذلك في كتاب الله **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [(٤)].

وعن شفي بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنُّجُب، وأنهم يؤتَون في الجنة بخيلٍ مُسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول. يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون: أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحًا غير مؤذية فتنسف كثبانًا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقهم وفي رؤوسهم ولكل رجلٍ منهم جُمَّةٌ على ما

---

(١) حادي الأرواح (ص: ٣١٦).

(٢) سورة السجدة: الآيتان: (١٦، ١٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) سورة السجدة: الآية: (١٧).

اشتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك فى تلك الجمام، وفى الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: عبد الله أما لك فينا من حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت، فتقول: أنا زوجتك وحبك. فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أوَ ما تعلم أن الله تعالى قال: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. فيقول: بلى وربى فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفًا، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم»[2].

استقبال الحور العين لأزواجهن

عن يحيى بن أبى كثير قال: «إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة، فيقلن: طال ما انتظرناكم... فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فلا نموت... بأحسن أصوات سُمعت وتقول: أنت حِبى وأنا حبك وليس دونك تقصير ولا وراءك معدل».

وعن ابن عباس قال: «كنا جلوسًا مع كعب يومًا فقال: لو أن يدًا من الحور دُلِّيت من السماء، لأضاءت لها الأرض كما تضىء الشمس لأهل الدنيا، ثم قال: إنما قلت: يدها، فكيف بالوجه وبياضه وحُسنه وجماله!!».

وقال عطاء السلمى لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى شوّقنا، قال: يا عطاء إن فى الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حُسنها، فلم يزل عطاء كمدًا من قول مالك».

وقال ابن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمان يقول: «ينشأ خلق الحور العين إنشاء، فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام».

---

(١) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٢) حسنه الألبانى فى مختصر الشمائل المحمدية للترمذى برقم (٢٠٥).

وعن سعيد بن جبير، قال: سمعت ابن عباس يقول: «لو أن حوراء أخرجت كفًّها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة فى الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حُسنها ما بين السماء والأرض».

وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير: «إذا سبّحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة فى الجنة إلا ردّت».

دلال الحور العين

رُوى عن الحسن ﷺ أنه قال: «بينما ولى الله فى الجنة مع زوجته من الحور العين على سرير من ياقوت أحمر وعليه قبة من نور، إذ قال لها: قد اشتقت إلى مشيتك، قال: فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة مرجان أخضر، وينشئ الله عز وجل لها فى تلك الروضة طريقين من نور، أحدهما نبت الزعفران، والآخر نبت الكافور، فتمشى فى نبت الزعفران، وترجع فى نبت الكافور، وتمشى بسبعين ألف لون من الغنج[1].

يا ولى الله! أما لنا فيك من دولة؟

قال ابن عباس ﷺ: وذلك أن ولى الله فى الجنة على سرير والسرير ارتفاعه خمسمائة عام، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[2].

قال: والسرير من ياقوت أحمر وله جناحان من زُمرد أخضر، وعلى السرير سبعون فراشًا حشوها النور، وظواهرها السندس، وبطائنها من استبرق، ولو دلّى أعلاها فراشًا ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عامًا.

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزى (ص: ١٣٧).

(٢) سورة الواقعة: الآية: (٣٤).

وعلى السرير أريكة وهى الحَجلة وهى من لؤلؤة عليها سبعون ستراً من نور، وذلك قوله عز وجل: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾(١) يعنى ظلال الأشجار، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ يعنى الأسرّة فى الحجال، فبينما هو معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عامًا، فإذا رفع رأسه فإذا هو بأخرى متطلعة تناديه: يا ولى الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتى من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتى قال الله فيهن: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾(٢) قال: فيطير سريره، أو قال كرسى من ذهب له جناحان، فإذا رآها فهى تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عامًا لا تملّ منه ولا يملّ منها، فإذا رفع رأسه رأى نوراً ساطعًا فى داره، فيعجب فيقول: سبحان الله أمَلَك كريم زارنا؟ أمْ ربنا أشرف علينا؟ فيقول الملك وهو على الكرسى من نور بينه وبين الملك سبعون عامًا، والملك فى حجبته فى الملائكة: لم يزرك ملك ولم يُشرف عليك ربك عز وجل، فيقول: ما هذا النور؟.

فيقول الملك: إنها زوجتك الدنيوية وهى معك فى الجنة، وإنها اطَّلعت عليك ورأتك معانقًا لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذى تراه فى دارك هو نور ثناياها، فيرفع رأسه إليها فتقول: يا ولى الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتى من أنت؟ فتقول له: يا ولى الله أما أنا فمن اللواتى قال الله عز وجل فيهن: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(٣) قال: فيطير سريره إليها، فإذا لقيها فهى تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور؛ لأن هذه صامت وصلَّت وعبدت الله عز وجل، فهى إذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة؛ لأن أولئك أُنبتن نباتًا، فيعانق هذه مقدار أربعين عامًا

(١) سورة يس: الآية: (٥٦).

(٢) سورة ق: الآية: (٣٥).

(٣) سورة السجدة: الآية: (١٧).

لا تمل منه ولا يمل منها، ثم إنها تقوم بين يديه وخلاخلها من ياقوت، فإذا وطئت يسمع من خلاخلها صوت صفير كل طير فى الجنة، فإذا مَسَّ كفها كان ألين من المخ، ويشم من كفها رائحة طيب الجنة، وعليها سبعون حُلة من نور لو نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب، خُلقت من نور، والحلل عليها أسورة من ذهب، وأسورة من فضة، وأسورة من لؤلؤ، وتلك الحلل أرقّ من نسج العنكبوت، وهو أخف عليها من النقش، وأنه يرى مخ ساقها من صفائها ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد والحُلل، مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾[١]، وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾[٢][٣].

طوبى لك يا لعبة !!!

ذكر الأوزاعى عن حسان بن عطية عن ابن مسعود أنه قال: «إن فى الجنة حوراء يقال لها اللعبة، كل حور الجنات يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن: طوبى لك يا لعبة، لو يعلم الطالبون لك لجدُّوا فى طلبك... بين عينيها مكتوب: مَن كان يبتغى أن يكون له مثلى فليعمل برضاء ربى».

الأخت المسلمة أجمل من الحور العين

وعلى الرغم من كل ما ذُكر عن جمال الحور العين، إلا أن الأخت المؤمنة الصابرة على طاعة الله جل وعلا، وعلى طاعة زوجها المؤمن... يكون جمالها فى الجنة أفضل من جمال الحور العين سبعين ضعفًا؛ لأنها

(١) سورة الزمر: الآية: (٧٤).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٣٤).

(٣) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزى (ص: ١٤٠-١٤١).

هى التى صلَّت وصامت وتحملت أعباء الدعوة وتكاليف الإيمان.

فإن كنت أيتـها الأخت المؤمنة تريدين أن تكونى جميلة مـثل فلانة (من الفنانات أو غيرهن) فاعلمى أنك ستكونين فى الجنة أجمل من أجمل حوراء فى جنة الرحمن جل وعـلا، بشرط أن تصبرى حـتى تلقى الله على الطاعة والإيمان... وأنت الآن والله ـ بحـجابك وإيمـانك وحيـائك ـ أجمل من أجمل امرأة، فـاصبرى يا أختاه حتـى تلقى رسول الله ﷺ على الحوض وحتى تنظرى إلى وجه الله جل وعلا [1].

يا من تشتهى الولد

قال ﷺ: «المؤمن إذا اشتـهى الولد فى الجنة كان حَمْلُه ووضـعه وسِنُّه فى ساعة واحدة كما يشتهى» [2].

فيا من حُرمت فى الدنيا من نعمة الولد... اصبر على قضاء الله، فإنما هى ساعـات يوشك أن تنقضى ثم يعوضك الله جل وعـلا بالنعيم فى الجنة حتى أنك تنسى كل الهـموم والغموم والآلام التى تعذبت بـها فى الدنيا مع أول غمسة فى الجنة.

ذكريات أهل الجنة!!!

ومـا أجمل أن يجلس المؤمنون فى الجـنة يتذاكـرون فيـما بينهم كل مـا حدث لهم فى تلك الدار الفانية، فيحمدون ربهم على هذا النعيم فى الجنة.

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ

(١) رحلة إلى الدار الآخرة/ للمصنف (ص: ٧٠١ - ٧٠٧) بتصرف.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وابن حبـان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٤٩).

﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[1].

فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة، أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضًا، عن أحوال كانت فى الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إنى كان لى قرين فى الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ويقول ما حكاه الله عنه. يقول: أئنك لمن المصدقين، بأن نُبعَث ونُجازىَ بأعمالنا ونُحاسَب بها بعد أن مزقنا البلى، وكنا ترابًا وعظامًا، ثم يقول المؤمن لإخوانه فى الجنة: هل أنتم مطلعون فى النار لننظر منزلة قرينى هذا وما صار إليه.

قال كعب: «بين الجنة والنار كوة (فتحة) فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى».

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[2].

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن، عن أنس يرفعه: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيطير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعًا فيتكئ هذا ويتكئ هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم يوم كذا وكذا، فى موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا»**[3].

* * *

(١) سورة الصافات: الآيات: (٥٠-٥٧).

(٢) سورة الطور: الآيات: (٢٥-٢٨).

(٣) حادى الأرواح للإمام ابن القيم (ص: ٢٤٤-٢٤٥-٣٦٩).

أهل الجنة هم الملوك

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكًا كَبِيراً ﴾[١].

عن مجاهد «ملكًا كبيرًا» قال: عظيمًا.

وعن ابن عباس أنه ذكر مراتب أهل الجنة ثم تلا: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكًا كَبِيراً ﴾.

وقال ابن أبي الحوارى: سمعت أبا سليمان يقول فى قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكًا كَبِيراً ﴾. قال الملك الكبير، أن رسول الله (من الملائكة) يأتيه بالتحف واللُّطف، فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه، فيقول للحاجب: استأذن على ولى الله، فإنى لست أَصِلُ إليه، فيُعلِم ذلك الحاجب حاجبًا آخر وحاجبًا بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، . . . فالمُلك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربه بلا إذن.

وعن أبى هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طُرفة ليست مع صاحبه».

وعن أبى هلال قال: حدثنا حميد بن هلال: قال: «ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه».

وعن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ».

وعن أبى عبد الرحمن المغافرى قال: «إنه ليُصفّ للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه، حتى إذا مر مشوا وراءه»[٢].

---

(١) سورة الإنسان: الآية: (٢٠).

(٢) حادى الأرواح (ص: ٢٥٧-٢٥٨).

وعن أبى سعيد قال: «خلق الله الجنة لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وغرسها بيده، وقال لها: تكلمى، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فدخلتها الملائكة، فقالت: طوبى لك منزل الملوك».

يا من أردت الحسن والجمال.. ها هى ريح الشمال!!!

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن فى الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسنًا وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً» [١].

وعن أنس بن مالك قال: «إن فى الجنة سوقًا من كثبان المسك يخرجون إليها ويجتمعون إليها، فيبعث الله ريحًا فتدخل بيوتهم، فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم: قد ازددتم أيضًا بعدنا حسنًا»[٢].

يوم المزيد

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ أن جبريل قال: **«إن ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من علِّيين على كرسيِّه، ثم حفَّ الكرسى بمنابر من نور، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف المنابر بكراسى من ذهب ثم جاء الصدِّيقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ثم يجىء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى حتى يُنظر إلى وجهه وهو يقول: أنا الذى صدقتكم وعدى، وأتممت عليكم نعمتى، هذا محل كرامتى فسلونى، فيسألونه**

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) حادى الأرواح (ص: ٢٥٠).

الرضا فيقول عز وجل:

رضائي أحلكم داري، وأنالكُم كرامتي فسلوني. فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة ثم يصعد الرب تبارك وتعالى على كرسيه فيصعد معه الشهداء والصِّدِّيقون: ويرجع أهل الغُرف إلى غرفهم درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم أو ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، منها غرفها وأبوابها، مطردة فيها أنهارها متدلية فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة وليزدادوا فيه نظراً إلى وجهه تبارك وتعالى، ولذلك دُعي يوم المزيد»[١].

ورضوان من الله أكبر

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[٤].

---

(١) حسن لغيره: البزار كما في كشف الأستار (٤/ ١٩٤ / ٣٥١٩)، والأوسط (٧/ ١٥/ ٦٧١٧)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩/ ٤٢٢٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٢٧): البزار والطبراني وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وإسناد البزار فيه خلاف، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣٧٦١): حسن لغيره.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٥).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٤) سورة البينة: الآيتان: (٧-٨).

* وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا، وسعديك، والخير فى يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً» (١).

لذة النظر إلى وجه الله

خلق الله الخلق فى الدنيا على هيئة لا تطيق رؤيته سبحانه، وإذا كانت الجبال الشامخات عجزت عن ذلك فكيف بالإنسان الضعيف؟!

قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ (٢).

لذا جاء فى الصحيح أن الله جل جلاله: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» (٣).

لكن الله يعطى أهل الجنة قوة خارقة ويغيِّر خلقهم بالكلية ليتحمّلوا رؤيته سبحانه، بل يلتذون بالنظر إلى وجه الله عز وجل، فإنه أعلى نعيم

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٤٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٩) كتاب الإيمان.

قال النووى: «معنى سُبُحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه، وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة، والله تعالى مُنزه عن الجسم والحد، والمراد هنا المانع من رؤيته، وسُمِّى ذلك المانع نوراً أو ناراً لأنهما يمنعان من الإدراك فى العادة لشعاعهما، والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات، ولفظة (من) لبيان الجنس لا للتبعيض، والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المُسمَّى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته والله أعلم». شرح النووى على مسلم ٣/ ١٤ بتصرف، وفى حقيقة الحجاب ومعناه قال المناوى: «قال فى الحكم: الحق ليس بمحجوب إنما المحجوب أنت عن النظر إليه، إذ لو حجبه شىء لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر، وكل حاصر لشىء فهو له قاهر ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾.

أهل الجنة وأعظم لذة لهم، وهى الزيادة الواردة فى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(١) .

وهذه هى آية المزيد المبشرة بيوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، وهو اليوم الأعظم والأجلّ على الإطلاق، والذى تنتظره قلوب المؤمنين بكل لهفة وشوق، ففيه ترى الرب الكريم كما ترى شمس الظهيرة، والقمر ليلة البدر، ولأن كل شىء فى الجنة يختلف عن الدنيا. . . فزيادة الجنة تختلف اختلافًا جذريًّا عن زيادة الدنيا وزيادة الدنيا دومًا تكون أقل من الأصل، فإذا أعطاك البائع مثلاً زيادة على ما اشتريت شكرت له حسن صنيعه وكرمه لأنه منحك ما لم تدفع فيه شيئًا إن كان شيئًا لا يُذكر، لكن زيادة الآخرة أكبر من الأصل ولا مقارنة(٢) .

ولذلك كان النبى ﷺ يدعو دائمًا بهذا الدعاء: «... وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مُضرة ولا فتنة مضلة...»(٣) .

* وعن أبى هريرة «أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ : **«هل تُضارون فى رؤية القمر ليلة البدر؟»** قالوا: لا يا رسول الله؟ قال: **«هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟»** قالوا: لا ، قال: **«فإنكم ترونه كذلك...»**(٤) .

وأما حديث جرير بن عبد الله ففى الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عنه قال: كنا جلوسًا مع النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: **«إنكم سترون ربكم عَيانًا كما ترون هذا، لا**

---

(١) سورة يونس: الآية: (٢٦).

(٢) ليلى بين الجنة والنار (ص: ٦٦ / ٦٧) بتصرف.

(٣) صحيح: رواه النسائى (١٣٠٥) كتاب السهو، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٣٠١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٨١) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.

تضارون فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا» ثم قرأ قوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾(١)(٢).

وأما حديث صهيب فرواه مسلم عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئًا أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»، ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٣)(٤).

وأما حديث أبى موسى ففى الصحيحين عنه عن النبى ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن»(٥).

وعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكًا يوم القيامة»(٦).

وأما حديث عدى بن حاتم - وفيه قال ﷺ -: «... وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له...»(٧).

وأما حديث أنس بن مالك وهو حديث الشفاعة وفيه قال ﷺ: «....فيأتونى فأستأذن على ربى فيؤذَن لى، فإذا أنا رأيته وقعت ساجدًا فيدعنى ما

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٣٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٦٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) سورة ق: الآية: (٣٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨١) كتاب الإيمان.

(٤) سورة يونس: الآية: (٢٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٧٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٨٠) كتاب الإيمان.

(٦) أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد (١٥٣) والطبرانى وصححه الألبانى فى الصحيحة لشواهده (٧٥٥).

(٧) صحيح: رواه البخارى (٣٥٩٥) كتاب المناقب.

شاء الله، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع، وسَلْ تُعطَه، واشفع تُشفَّع»[١].

* قرأ أبو بكر الصديق: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٢]، فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حمَّلك الله من دينه، واستحفظك من كتابه، فإنه بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه، وبها رافقوا أنبياءه. وبها نضرت وجوههم، ونظروا إلى خالقهم، وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة.

قال الحسن: لو علم العابدون فى الدنيا أنهم لا يرون ربهم فى الآخرة لذابت أنفسهم فى الدنيا.

قال على بن المدينى: سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾[٣].

قال عبد الله: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحًا ولا يخبر به أحدًا.

وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك يقول: ما حجب الله عز وجل أحدًا عنه إلا عذَّبه ثم قرأ: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ⦗١٥⦘ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ⦗١٦⦘ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٤] قال: بالرؤية.

وقال مالك بن أنس: «الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم».

وقال الحارث بن مسكين: حدثنا أشهب قال: سُئل مالك عن قوله عز

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٦٥) كتاب الرقاق، ومسلم (١٩٣) كتاب الإيمان.

(٢) سورة يونس: الآية: (٢٦).

(٣) سورة الكهف: الآية: (١١٠).

(٤) سورة المطففين: الآيات: (١٥ ـ ١٧).

وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١] : أأنظر إلى الله عز وجل؟ قال: نعم، فقلت: إن أقوامًا يقولون: تنظر ما عنده، قال: بل تنظر إليه نظرًا وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾[٢][٣].

وإذا أردنا أن نعلم قيمة النظر إلى وجه الله ونقارنه بسائر نعيم الجنة، فاسمعوا قول أبى حامد الغزالى:

«ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع فى قلوبهم بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة مُلك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به، والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبى الطالب للعب بالعصفور التارك للذة المُلك وذلك لقصوره عن إدراك لذة المُلك»[٤].

تفاوت النظر

ومن المعلوم أن كل أهل الجنة يتلذذون بالنظر إلى ربهم (جل وعلا) لكن من المؤكد أنه سيكون هناك تفاوت بينهم فى تلك اللذة فكما أنه سيكون بينهم تفاوت فى دخول الجنة فكذلك سيكون هناك تفاوت فى النظر. . . فمنهم من يدخل بغير حساب ولا عذاب ومنهم من يدخل الجنة بعد الحساب والعذاب الشديد ومنهم من يدخل الجنة قبل أخيه بألفى عام. . ومنهم من يكون فى أعلى درجات الجنة فى الوقت الذى يكون فيه من هو أدنى منه فى درجات الجنة.

---

(١) سورة القيامة: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٤٣).

(٣) مختصر حادى الأرواح (ص: ١٥٥، ١٥٦).

(٤) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٢٧).

* ولذلك فإن الناس سيتفاوتون فى لذة النظر كما بين السماء والأرض لأن «لذة النظر إلى وجه الله يوم القيامة تابعة للتلذذ بمعرفته ومحبته فى الدنيا، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة، فكلما كان المحب أعرف بالمحبوب وأشد محبة له كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم»(١).

* بل هناك تفاوت فى عدد المرات التى يتلذذ بها العبد برؤية وجه ربه (جل وعلا) كما يقول ابن سعدى فى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٢).

«أى تنظر إلى ربها حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيًا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم وجماله الباهر، الذى ليس كمثله شىء».

* ومن أجل ذلك فإن الله (جل وعلا) قد جمع لعباده المؤمنين بين التمتع بنعيم الجنة وبين التمتع برؤية وجهه (جل وعلا) فقال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾(٣).

الله يُنشىء للجنة خلقًا جديدًا

ومن رحمة الله (جل وعلا) أنه بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة ويظفر كل واحدٍ منهم بنعيم لا يخطر على قلب بشر فإنه يبقى فى الجنة فضلٌ فيخلق الله خلقًا جديدًا ويُسكنهم فضل الجنة.

عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ: «لا تزال جهنم يُلقَى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٣) بتصرف.
(٢) سورة القيامة: الآيتان: (٢٢-٢٣).
(٣) سورة المطففين: الآيتان: (٢٢-٢٣).

قط بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة»[١].

وأما اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة: «وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد» فغلط من بعض الرواة.

فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٢] .... ولا يظلم الله أحدًا من خلقه.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

يمر المؤمنون في الموقف العظيم بأهوال عظام، ثم يمرون على الصراط فيشاهدون هولاً ورعبًا، ثم يدخلهم الله جنات النعيم بعد أن أذهب عنهم الحزن، فيرون ما أعد الله لهم فيها من خيرات عظام، فترتفع ألسنتهم تسبح ربهم وتقدسه، فقد أذهب عنهم الحزن، وصدقهم وعده، وأورثهم الجنة»[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤].

قال حجاج عن ابن جريج أخبرت أن قوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾. قال: إذا مر بهم الطير ليشتهونه، قالوا: سبحانك اللهم، وذلك

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٤٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٤٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة الملك: الآيات: (٨-١٠).

(٣) الجنة والنار (ص: ٢٥٦).

(٤) سورة يونس: الآيتان: (٩، ١٠).

دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾ . قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

ومعنى الآية أعم من هذا والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسألة.

وفى الحديث: «أفضل الدعاء الحمد لله رب العالين». فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يُلهمونهما كما يُلهمون النَّفَس.

وفى هذا إشارة إلى أن التكليف فى الجنة يسقط عنهم ولا تبقى من عبادتهم إلا هذه الدعوى التى يلهمونها.

قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2] .

* * *

(١) سورة الزمر: الآيات: (٣٣-٣٥).

(٢) سورة الزمر: الآيات: (٧٣-٧٥).

هل تستحق الدنيا أن نضحى من أجلها بالجنة

وأخيراً بعد أن عشنا سوياً رحلة الفرحة ومشاهدها التى تُثلج الصدور بقى لنا أن نسأل أنفسنا سؤالاً واحداً:

هل تستحق الدنيا أن تجعل المؤمن ينشغل بها عن طاعة الله جل وعلا، وأن يُحرَم من تلك الفرحة الغامرة؟!!

كلا والله... لأن الدنيا بأسرها لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

ولذا قال الحبيب ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا»[1].

بل يكفى والله أن تعلم أن حب الدنيا يبعدك عن محبة الله جل وعلا، وأن الزهد فيها يجعلك تظفر بمحبته.

فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دُلَّنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس. فقال: **«ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»**[2].

بل تأمل معى لحال (أنعم أهل الدنيا) الذى انشغل بدنياه عن دينه وعن طاعة ربه عز وجل.

قال ﷺ: «يُوتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب. ويُؤتَى بأشد الناس بُؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بُؤسًا قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يارب! ما مرّ بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط»[3].

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٧٩٧).

(٢) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٩٤٤).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

فيا له من مـشهد تنخلع منه القلوب... فمتـاع الدنيا بأسرها يُنسى مع أول غمسة فى نار جهنم.

بل إن الله جل وعلا حينما يسأل الـكفار والمنافقين، ويقول لهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ فإنهم يشهدون أن الدنيا بأسرها وبكل ما فيها من نعيم ولذة فانيـة لا تساوى يومًا ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ فيبكتهم الله عز وجل بقوله: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

فهـل تستـحق ساعـات لذة مؤقـتة أن يفـرط المسلم فى دينه وينسى ربه وخالقه ويترك الجنة ونعيمها؟!

إذن فلنبدأ صفحة جديدة كلها فرحة بطاعة الله جل وعلا، عسى الله أن يجمعنا على أجمل فرحة إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين وتنادينا الملائكة وتقول: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2].

وأخـيـرًا فـإنى أسـأل الله أن ينفع إخـوانى وأخـواتـى بتلك الرسـالة المتواضعة، وأن يجمعنى بهم فى جنته، وأن يرزقنى وإياهم الفرحة فى الدنيا والآخرة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشـهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)

(١) سورة المؤمنون: الآيات: (١١٢ ـ ١١٤).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٣).



صفات أهل الجنة

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣].

أما بعد:

فلقد قامت نصوص الشرع القويم على ركيزتين أساسيتين ألا وهما: الترغيب والترهيب... ولا بد لهما للمؤمن فى سيره إلى الله.

فلو غلب أحدهما على الآخر لاختلَّت الموازين عند المؤمن.

فإذا كانت النصوص تقوم على الترغيب فحسب (فقط) لتواكل الناس على سعة رحمة الله فتركوا العمل لهذا الدين بل ولربما تكاسلوا حتى عن

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

أداء الفرائض التى افترضها عليهم الخالق جل وعلا.

وإذا كانت النصوص تقوم على الترهيب فحسب لقنط الناس من رحمة الله (جل وعلا).

ولذا فإن من فقه الدعوة والداعية أن يوازن بين الترغيب والترهيب... فتارة يأخذ بقلوب الناس إلى جنة الرحمن جل جلاله وتارة يُذكِّرهم بعذاب الله ليكون ذلك سوطًا رادعًا لهم عن الجرأة على محارم الله.

والإنسان فى هذه الحياة الدنيا ما هو إلا أيام فإذا ذهب يومه ذهب بعضه.. ولا بد له من هدف يضعه نُصب عينيه حتى إذا فترت الهمم وضعفت فإنه يتذكر الهدف فينشط مرة أخرى ويعاود السير إلى ذلك الهدف.

وتالله مهما تعددت وتنوعت الأهداف والغايات فإنها تتضاءل كلها أمام الغاية الكبرى ألا وهى دخول جنة الرحمن والفوز بالقرب والرضوان.

تلك الدار التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فذكر الجنة يحدو النفوس إلى مجاورة الملك القدوس. نعم والله.

فكل نعيم دون الجنة سراب وكل عذاب دون النار عافية.

والحياة مهما طالت فهى قصيرة ومهما عظمت فهى حقيرة لأن الليل مهما طال فلابد من طلوع الفجر ولأن العمر مهما طال فلا بد من دخول القبر.

* إنها الجنة التى غرس الله كرامتها بيديه وختم عليها.. إنها الجنة التى نَلقى فيها الأحبة محمدًا وحزبه... إنها الجنة التى نسمع فيها كلام الرحمن من الرحمن جل جلاله... إنها الجنة التى فيها نرى ربنا... ويا له من نعيم... إنه والله ما تنعَّم أهل الجنة بنعيم أعظم من رؤية وجه الرحمن

الرحيم..... وما تعذّب أهل النار بعذاب هو أشد عليهم من حجبهم عن رؤية وجه الواحد القهار ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [1].

* وها نحن اليوم على موعد مع الجانب المشرق - مع صفات أهل الجنة - فتعالوا بنا لنتعرف من خلال تلك الرسالة القصيرة على صفات أهل الجنة عسى الله أن يجعلنا منهم وأن يجمعنا في جنته إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة المطففين: الآية: (١٥).

إنما الأعمال بخواتيمها

لقد جاءت صفات أهل الجنة كثيراً فى القرآن الكريمْ وفى سُنة الحبيب ﷺ . ولما كانت النفوس تتوق دائمًا إلى ذكر الجنة وأهلها جاءت النصوص تصف أهل الجنة بصفات يعرفها كل عاقل ولكننا لا نحكم أبدًا بالجنة لأى مخلوق - ولو كان متصفًا بصفات أهل الجنة - إلا إذا كان عندنا نصٌ صريح من القرآن أو السُنة بأن هذا الإنسان من أهل الجنة.

وذلك لأن من عقائد أهل السُنة والجماعة: ألا نحكم لُمعيَّن بأنه من أهل الجنة ولا نحكم على مُعيَّن بأنه من أهل النار.

* **وقد قال** ﷺ : **«إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يُختم له عمله بعمل أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يُختم له عمله بعمل أهل الجنة»**[1] . . . . زاد البخارى: **«وإنما الأعمال بخواتيمها»**[2] فلا يدرى الإنسان كيف تكون خاتمته.

* وقد كان ﷺ يخشى على نفسه من سوء الخاتمة فكان أكثر دعائه: **«يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك»**[3] .

وهو من هو؟ هو رسول الله ﷺ وهو خير خلق الله وعلى الرغم من ذلك كان يخشى من سوء الخاتمة.

ولذا فإنك أيها الأخ الكريم عندما تقرأ عن صفات أهل الجنة قد تجد فى نفسك الكثير من تلك الصفات فإياك أن تغتر وإياك أن تأمن من مكر الله - جل وعلا - فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥١) كتاب القدر.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤٩٣) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٨٠١)، (٧٩٨٧).

فإن وجدت فى نفسك تلك الصفات فـاحمد الله على ذلك واجتهد فى أن تستقيم على تلك الحالة وقل لنفسك دائمًا: العبرة بالخاتمة.... وتضرع إلى الله تعالى أن يثبت قلبك على هذا وقل بلسان الحال والمقال: ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (١).

وتذكر قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ (٢).

وهنا ستجد نفسك تنقاد إلى طاعة الله ولن تنظر إلى عملك نظر المُعجب وإنما ستنظر إليه نظر المشفق عليه من أن يُحبطه الله أو أن يصرفك عن طاعته.

الصحابة ﷺ لم يغتروا بأعمالهم

وها هم أصحاب النبى ﷺ وهم خير الناس بعد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وعلى الرغم من ذلك لم ينظر واحد منهم إلى عمله بإعجاب بل كانوا جميعًا يتهمون أنفسهم بالتقصير.

فهؤلاء العشرة المبشرون بالجنة على الرغم من أن النبى ﷺ أخبرهم بتلك البُشرى العظيمة إلا أنهم كانوا يزدادون يومًا بعد يوم فى طاعة الله (جل وعلا) ولم يركنوا إلى تلك البشرى ولم يغتروا بها بل كانوا يتسابقون دائمًا فى طاعة الله (جل وعلا).

* فهذا صدِّيق الأمة (أبو بكر) رضي الله عنه كان يقول: وددت أنى شعرة فى جنب مؤمنٍ... وكان يُمسك بلسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد.

* **وهذا عمر** رضي الله عنه: كان فى وجهه خطان أسودان من البكاء.

وكان يسأل حذيفة رضي الله عنه **ويقول:** أنشدك الله هل سمَّانى لك رسول الله ﷺ - يعنى فى المنافقين -.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٨).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٤٧).

وهو من هو: إنه أمير المؤمنين الذى ملأ الدنيا زهدًا وعدلاً وطاعة لله (جل وعلا).

* **وهذا عثمان** ﷺ **يقول:** لو أنى بين الجنة والنار ولا أدرى إلى أيتهما يُؤمر بى لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وهذا كان دأب الصحابة كلهم ﷺ.

فإن كان هذا حال أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين فكيف بحالنا نحن؟!!!.

نسأل الله أن يسترنا فى الدنيا والآخرة.

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

قال ﷺ: **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**(١).

* وهنا قصة عجيبة لابن حجر العسقلانى - رحمه الله - فقد خرج يومًا بأُبهته - وكان رئيس القضاة بمصر - فإذا برجل يهودى، فى حالة رثة، فقال اليهودى: قف. فوقف ابن حجر. فقال له: كيف تفسر قول رسولكم: **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»** وها أنت ترانى فى حالة رثة وأنا كافر، وأنت فى نعيم وأبهة مع أنك مؤمن؟!... فقال ابن حجر: أنت مع تعاستك وبؤسك تُعد فى جنة، لما ينتظرك فى الآخرة من عذاب أليم - إن مت كافرًا -.

وأنا مع هذه الأبهة - إن أدخلنى الله الجنة - فهذا النعيم الدنيوى يُعَدُّ سجنًا بالمقارنة مع النعيم الذى ينتظرنى فى الجنات إن متُّ على التوحيد.

فقال: أكذلك؟ قال: نعم. فقال: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

* فلا تنشغل - أخى الحبيب - بالدنيا ولكن احرص على آخرتك ولا تترك عملاً يقربك من الجنة إلا أقبلت عليه بقلبك وجوارحك لتتصف بصفات أهل الجنة فتكون معهم فى صُحبة الحبيب ﷺ فى جنة الرحمن (جل وعلا).

صفة أهل الجنة عند دخول الجنة

قال تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾(٣).

* عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دُرى فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خُلق رجلٍ واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء»(٤).

وفى رواية البخارى: «ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يُسبِّحون الله بُكرة وعشيًا»(٥).

---

(١) سورة الرعد: الآيتان: (٢٣-٢٤).

(٢) سورة النحل: الآية: (٣٢).

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٢٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق.

وعن ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسدُّ بهم الثغور وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنُسلِّم عليهم؟ قال إنهم كانوا عباداً يعبدوني لا يُشركون بي شيئًا وتُسَدُّ بهم الثغور وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب، سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار»(١).

* وعن سهل بن سعد رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنَّة من أمتِّي سبعون ألفًا (أو: سبعمائة ألف) متماسكون، آخذٌ بعضهم ببعض، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»(٢).

وقال ﷺ: «أولُ زُمرة تدخلُ الجنَّة، على صُورةِ القَمر ليلةَ البدرِ، والثانية على لونِ أحسنَ منْ كوكبٍ دُريٍّ في السَّماء، لكلِّ رجلٍ منهمْ زوجتَانِ، على كلِّ زَوجةٍ سبعُونَ حُلَّةً يبدو مخُّ ساقها منْ ورائها»(٣).

وقال ﷺ: «أولُ زمرة تدخلُ الجنَّة على صورةِ القَمرِ ليلةَ البدرِ، والذينَ على أثرِهم كأشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السَّماء إضاءةً، قلوبُهم على قلبِ رجلٍ واحد، لا اختلافَ بينَهم، ولا تباغُضَ، ولا تحاسُدَ، لكلِّ امرىء منهمْ زَوجتان، كلُّ واحدةٍ منهما يُرى مُخُّ سُوقِها منْ وراءِ لَحمها منَ الحُسنِ، يُسبِّحونَ الله بُكرةً

(١) أخرجه أحمد (٢/١٦٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٤٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢١٩) كتاب الإيمان.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥٣٤) كتاب صفة الجنة، وأحمد (٣/١٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٦٤).

وعشيًا، لا يسقمونَ، ولا يمتخطونَ، ولا يبصقونَ، آنيتُهم الذَّهبُ والفضةُ، وأمشاطهمُ الذَّهبُ، ووقودُ مجامرِهِمُ الألُوَّةَ»[(١)(٢)].

* وعن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جُردًا مُردًا كأنهم مُكحَّلون أبناء ثلاث وثلاثين»[(٣)].

جُردًا: أى بدون شعر على أجسادهم.

مُردًا: أى بدون لحية.

* وأما الأخلاق فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[(٤)]. فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم.

أول من يدخل الجنة

* وتأمل معى هذا المشهد الجليل... عن عبد الله بن عمرو ابن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسد بهم الثغور ويتُقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم؟!! قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدونى لا يشركون بى شيئًا وتُسد بهم الثغور ويتُقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) مجامرهم الألُوّة: وهو العود الذى يتبخر منه.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٤٥) كتاب صفة الجنة، وأحمد (٢/ ٢٩٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٧٢).

(٤) سورة الحجر: الآية: (٤٧).

في صدره لا يستطيع لها قضاءً .... قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار» (١).

فأبشروا أيها الفقراء فإن الله - عزَّ وجل- سيجبر كسركم في الجنة، ويسبغ عليكم من ألوان النعيم ما لا يخطر على قلب بشر.

* بل وفوق ذلك كله فإن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنياء المؤمنين بخمسمائة عام.

قال ﷺ: **«يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام»** (٢).

وقال ﷺ: **«إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا»** (٣).

أدنى أهل الجنة منزلة

عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: **«سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة فيقول: أي رب. كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيُقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك، ولذَّت عينك... فيقول رضيت رب، قال رب فأعلاهم منزلة. قال: أولئك**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٦٥٣٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٨٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٥٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٢٢) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٨٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٠٧٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٧٩) كتاب الزهد والرقائق، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترَ عين ولم تسمع أُذن ولم يخطر على قلب بشر»(١).

وعن أبى هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طُرفة ليست مع صاحبه».

وعن أبى هلال قال: حدثنا حميد بن هلال: قال: «ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه».

وعن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ».

آخر أهل الجنة دخولاً الجنة

* وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يحكى لنا قصة آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة. . ويحكى لنا ذلك الحوار الذى دار بينه وبين ربه (جل وعلا) وتلك الكرامات التى أكرمه الله بها حتى أن هذا الرجل لم يصدق أن الله أكرمه بكل هذا الخير الذى لا يخطر على قلب بشر.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«إنى لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيُخيَّل إليه أنها ملأى فيرجع، فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيُخيَّل إليه أنها ملأى. فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بى (أو أتضحك بى) وأنت**

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان .

الملك؟ قال ابن مسعود: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتَسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذى نجانى منك، لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرة، فيقول: أى رب ادنُنى من هذه الشجرة، فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول: لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم تُرفع له شجرة هى أحسن من الأولى، فيقول: أى رب ادنُنى من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أنك لا تسألنى غيرها؟ فيقول: لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين، فيقول: أى رب ادنُنى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ قال: بلى يارب، هذه لا أسألك غيرها. وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أى رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصرينى منك؟ - والمعنى: أى شىء يرضيك ويقطع السؤال بينى وبينك - أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب أتستهزئ منى وأنت رب العالمين. فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألونى مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ ، فقالوا: مم تضحك يا

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان.

رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر»(١).

وعن أبي ذر قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «إني لأعلمُ آخر أهل الجنة دُخُولاً الجنة، وآخر أهل النار خُرُوجًا منها، رجُلٌ يُؤتى به يوم القيامة، فيُقالُ: اعرضُوا عليه صغار ذُنُوبه وارفعُوا عنهُ كبارها، فتُعرضُ عليه صغارُ ذُنُوبه، فيُقالُ: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقُولُ: نعم، لا يستطيعُ أن يُنكر، وهُو مُشفقٌ من كبار ذُنُوبه أن تُعرَض عليه، فيُقالُ لهُ: فإن لك مكان كُل سيئة حسنةً، فيقُولُ: رب قد عملتُ أشياء لا أراها ها هُنا».

فلقد رأيتُ رسُول الله ﷺ ضحك، حتى بدت نواجذُهُ(٢).

جمال أهل الجنة

* عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حُسنًا وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً»(٣).

نسأل الله من فضله

وأما حديث صهيب فرواه مسلم عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئًا أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٧) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»، ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1][2].

* وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا، وسعديك، والخير فى يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[3].

* وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه»[4].

هذا هو النعيم الحقيقى

* قال ﷺ: «لو أن ما يقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطَّلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم»[5].

* وعن جابر قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ فى صفوفنا فى الصلاة صلاة الظهر والعصر فإذا رسول الله ﷺ يتناول شيئًا ثم تأخر فتأخر الناس فلما قضى الصلاة قال له أُبى بن كعب: شيئًا صنعته فى الصلاة لم تكن تصنعه؟ قال: «عُرِضت علىَّ الجنة بما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفًا من عنب لآتيكم به، فحيل بينى وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨١) كتاب الإيمان.

(٢) سورة يونس: الآية: (٢٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥١).

مَن بين السماء والأرض لا ينقصونه شيئًا»(١).

* وعن أبي هريرة قال: قلنا: يا رسول الله: إذا رأيناك رقَّت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقنا أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد. قال: «لو تكونون أو قال: لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكُفهم ولزارتكم فى بيوتكم، ولو لم تُذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر لهم. قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه...»(٢).

صفات أهل الجنة

إن الله (جل وعلا) قد وصف أهل الجنة بصفات جليلة تدور كلها حول الإيمان بالله والطاعة المطلقة لله (جل وعلا) ولرسوله ﷺ.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تلك الصفات عسى الله أن يجعلنا ممن يتصفون بها لنكون أهلاً لرحمة الله ورضوانه وجنته. فأهل الجنة هم السعداء، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(٣).

(١) الإيمان بالله وكثرة العمل الصالح:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ

---

(١) رواه أحمد، والحاكم، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف فقد تفرد عبد الله بن محمد بن عقيل به بهذه السياقة.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وهناد فى الزهد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١١٦).

(٣) سورة هود: الآية: (١٠٨).

الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ للَّه الَّذى هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَدىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ (٤).

* وقال رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطاب، اذهب فناد فى الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون». قال: فخرجت فناديت أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون(٥).

* فأول صفة من صفات أهل الجنة أنهم آمنوا بالله (جل وعلا) وامتلأت قلوبهم حبًا لله ورغبة فيما عند الله.

(٢) التقوى:

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلى فى جامع العلوم والحكم.

(وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين من يخافه ويحذره وقاية تقية منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان: (٤٢-٤٣).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥).

(٣) سورة الكهف: الآيتان: (٣٠-٣١).

(٤) سورة الكهف: الآيتان: (١٠٧-١٠٨).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١١٤) كتاب الإيمان.

وسخطه وعقابه وقاية تقية من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه) اهـ.

وقال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: «أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله».

* فهؤلاء هم أهل التقوى الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية تقيهم منه.

قال تعالى في حقهم: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

ووصفهم الله عند دخولهم الجنة فقال: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٣).

* وعن النعمان بن سعد في هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ (٤).

قال: «والله لا يُحشر الوفد على أرجلهم، ولكن يؤتون بنوقٍ لم ترَ الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمّتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة».

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٣).

(٣) سورة الزمر: الآيتان: (٧٣-٧٤).

(٤) سورة مريم: الآية: (٨٥).

وأخبر عن النعيم الذى ينتظرهم فى الجنة فقال: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (٥) .

(٣) الإحسان:

وأهل الجنة هم المحسنون. . . . والإحسان كما جاء فى الحديث الصحيح

(١) سورة الرعد: الآية: (٣٥).

(٢) سورة محمد الآية: (١٥).

(٣) سورة الدخان: الآيات: (٥١-٥٧).

(٤) سورة ص: الآيات: (٤٩-٥٤).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٢٠).

عندما سأل جبريل - عليه السلام - النبى ﷺ فقال له: ما الإحسان؟ قال ﷺ : «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١).

قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢).

(٤) طاعة الله ورسوله ﷺ :

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦).

بل قد جعل الله جل وعلا طاعة الرسول ﷺ واتباعه عنوان محبته جل وعلا.

قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾(٧).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩) كتاب الإيمان.

(٢) سورة يونس: الآية: (٢٦).

(٣) سورة النساء: الآية: (١٣).

(٤) سورة النساء: الآية: (٦٩).

(٥) سورة النساء: الآية: (٨٠).

(٦) سورة النساء: الآية: (٦٥).

(٧) سورة آل عمران: الآيتان: (٣١-٣٢).

يقول ابن كثير - رحمه الله - :

هذه الآية حاكمة على كل من ادَّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى، والدين النبوى فى جميع أقواله وأفعاله. اهـ (تفسير ابن كثير: ١/ ٣٣٨).

فمن كان لمحمدٍ مُتبعًا.. كان لله محبًا.

* ولقد أحسن من قال:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه
هذا لعمرى فى القياس شنيعُ
لو كنت صادقًا فى حبه لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيعُ

قال ﷺ: **«كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا:** يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: **من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»**[١].

وقال ﷺ: **«من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله»**[٢].

وجعل الله طاعته موجبة للهداية.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [٣].

* وعن أبى سعيد الخدرى، أن رجلاً قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، فقال: **«طوبى لمن رآنى وآمن بى، ثم طوبى، ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى، فقال رجل:** يا رسول الله، وما طوبى؟ قال: **شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»**[٤].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٥٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨٣٥) كتاب الإمارة.

(٣) سورة النور: الآية: (٥٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩٢٣).

(٥) متابعة أصحاب النبى ﷺ :

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

* لا يشك عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر أن أصحاب النبى ﷺ هم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين - عليهم أفضل الصلاة والتسليم - وأنه ﷺ سيد ولد آدم. . وصحابته هم خير قرنٍ وأمة وُجدت على وجه الأرض.

وإن معرفة أحوالهم وأخلاقهم وسيرهم لتضيء الطريق أمام المؤمن الذى يريد أن يعيش أسوة محمد ﷺ .

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ (٢).

فالصحابة رضي الله عنهم هم حَمَلَةُ الإسلام وحَفَظته بعد رسول الله ﷺ .

اختارهم الله واصطفاهم لصُحبة نبيه ﷺ ونشر رسالته من بعده.

عدَّلهم وزكاهم ووصفهم بأوصاف الكمال فى غير ما آية من كتاب الله.

فقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (٣).

* **وقال ﷺ : «النجوم أَمَنَة للسماء فإذا ذهبت النجومُ أتى السماء ما توعدُ، وأنا أمنةٌ لأصحابى فإذا ذهبتُ أتى أصحابى ما يُوعدون، وأصحابى أمنةٌ لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون»(٤).**

(٦) الصدق:

قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٠٠).

(٢) سورة يوسف: الآية: (١١١).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٢٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٣١) كتاب فضائل الصحابة.

تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

وقال ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقًا...»(٢).

وقال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(٣).

ولقد أمر الله أهل الإيمان بأن يكونوا مع الصادقين فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٤).

وأخبر عن حال الكاذبين يوم القيامة فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٥).

أما أهل الصدق فإن الله يبيِّض وجوههم ويُدخلهم جنته بل ويرضى عنهم - فنسأل الله من فضله -.

(٧) الاستقامة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٧).

---

(١) سورة المائدة: الآية: (١١٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة.

(٤) سورة التوبة: الآية: (١١٩).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٦٠)

(٦) سورة فصلت: الآيات: (٣٠: ٣٢).

(٧) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣: ١٤).

وعن سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم»[١].

* قال ابن تيمية (رحمه الله): أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

* وقال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة.

والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.

* قال أبو إسحاق السبيعى: «لما احتضر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، قال: لا تبكوا علىَّ، فإنى لم أتنطف بخطيئة منذ أسلمت».

لله دره، ثنتا عشرة سنة لم يفعل خطيئة، وحياتُه كلها طاعة.

«كان يصلى فى الصيف نصف النهار حتى تُكره الصلاة، ثم يصلى من الظهر إلى العصر».

(٨) الصبر على البلاء:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨) كتاب الإيمان.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢١٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٩٥).

* وقال ﷺ: «قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه (يريد عينيه) ثم صبر عوضته منهما الجنة»[(١)].

وفى رواية: قال الله تعالى: «إذا سلبت من عبدى كريمتيه وهو بهما ضنين لم أرضَ له بهما ثوابًا دون الجنة إذا حمدنى عليهما»[(٢)].

* وقال ﷺ: «إن الله تعالى لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيِّه من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب دون الجنة»[(٣)].

* وقال ﷺ: «من احتسب ثلاثة من صُلبه دخل الجنة. قالت امرأة: واثنان؟ قال: واثنان»[(٤)].

* وقال ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدى؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدى؟ فيقولون: حَمِدك واسترجع - أى قال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون - فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسمُّوه بيت الحمد»[(٥)].

* فاللهم إنا نسألك أن ترزقنا نعمة الصبر والرضا.

(٩) التوكل:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[(٦)].

* وقال ﷺ: «عُرضت علىَّ الأمم - وفى نهاية الحديث - فإذا سواد عظيم فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٦٥٣) كتاب المرضى.

(٢) حسن: رواه الطبرانى وابن حبان، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٠٥).

(٣) حسن: رواه النسائى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٥١).

(٤) صحيح: رواه النسائى، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٦٩).

(٥) حسن: رواه أحمد، والترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥).

(٦) سورة العنكبوت: الآيتان: (٥٨: ٥٩).

عذاب: هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[1].

* فأهل الجنة هم المتوكلون على الله (جل وعلا)...

هم الذين امتلأت قلوبهم ثقة فى الله ويقينًا فيما عند الله (عز وجل).

إنهم يعلمون أنه لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه... إنهم يخرجون من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته ولسان حال الواحد منهم: اللهم إنى أبرأ من الثقة إلا بك ومن الأمل إلا فيك ومن التسليم إلا لك ومن التفويض إلا إليك ومن التوكل إلا عليك ومن الرضا إلا عنك ومن الطلب إلا منك ومن الصبر إلا على بابك ومن الذل إلا فى طاعتك ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم ومن الرجاء إلا لما فى يديك الكريمتين.

(١٠) التوبة والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [2].

فأهل الجنة هم الأوابون التائبون الذين لا يصرون على الذنوب والمعاصى... ولما كان الجزاء من جنس العمل - فكما أنهم يقتربون من الله ويعودون إليه فسوف يجعل الله الجنة تقترب منهم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٠٥) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

(٢) سورة مريم: الآيات: (٦٠: ٦٣).

(٣) سورة ق: الآيات: (٣١: ٣٥).

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾ (١).

* وقال ﷺ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» (٢).

وقال تعالى: «يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفرونى أغفر لكم»(٣).

وقال تعالى: «يا ابن آدم إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى، وإن ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير منهم، وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعًا، وإن دنوت منى ذراعًا دنوت منك باعًا، وإن أتيتنى تمشى أتيت إليك أهرول»(٤).

(١١) الجهاد بالنفس والمال:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦).

---

(١) سورة النساء: الآية: (٢٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٧).

(٥) سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٦) سورة الصف: الآيات: (١٠ : ١٣).

وقال ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»(١).

وقال ﷺ: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجَّر أنهار الجنة»(٢).

بل لقد أخبر النبى ﷺ عن حالهم بعد موتهم فقال: «إن أرواح الشهداء فى طير خُضر تعلق - أى تأكل - من ثمار الجنة»(٣).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ④ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (٤).

قال مجاهد: يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خُلقوا لا يستدلون عليها أحدًا.

(١٢) الإيمان بآيات الله والانقياد لشرع الله:

قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ⑥⑧ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ⑥⑨ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ⑦⓪ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑦① وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⑦② لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥).

فأهل الجنة هم الذين آمنت قلوبهم وبواطنهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم فهم الذين رضوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٢) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٤٢٣) كتاب التوحيد.

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٥٩).

(٤) سورة محمد: الآيات: (٤: ٦).

(٥) سورة الزخرف: الآيات: (٦٨: ٧٣).

(١٣) الإحسان إلى الناس:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ۝١٥ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ۝١٨ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [(١)].

*** وعن عبدالله بن عمرو، عن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟ قال: أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام»[(٢)].**

*** وعن عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله ﷺ قال: «..... وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال....»[(٣)].**

*** ومن أعظم أنواع الإحسان إلى الناس - إحسان الرجل إلى أخيه**

(١) سورة الإنسان: الآيات: (٥: ٢٢).

(٢) حسن: رواه أحمد، والترمذى وابن حبان والبيهقى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

وإحسان الزوجة لـزوجها - ولذا قال ﷺ : «ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبى فى الجنة، والشـهيـد فى الجنة، والصـدِّيق فى الجنة والمولود فى الجنة والرجل يزور أخـاه فى ناحيـة المصر فى الله فى الجنة. ألا أخـبركم بنسـائكم من أهل الجنة؟: الوَدود الـوَلود العَـؤود التى إذا ظُلمت قـالـت: هذه يدى فى يدك لا أذوق غمضًا حتى ترضى»[(١)] .

* وهذا كله ينشـر المحبـة والإخـاء فى المجتـمع المسلم ويجـعل الناس متـحابين فى الله (جل وعلا) فـلا تجد شحناء ولا تبـاغض وإنما تجد محـبة ورحمة بين الناس.

(١٤) المسابقة إلى الخيرات:

قال تعـالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[(٢)] .

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا﴾[(٣)] .

---

(١) حسن: رواه الدارقطنى والطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٠٤).

(٢) سورة فاطر: الآيات: (٣٢: ٣٥).

(٣) سورة الواقعة: الآيات: (١٠: ٢٦).

*ولقد كان أصحاب النبى ﷺ يتسابقون إلى كل خيرٍ يقربهم من الجنة ويبعدهم عن النار.

* **عن أبى هريرة ﷺ قال:** قال رسول الله ﷺ : «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**». قال أبو بكر: أنا. قال: «**من تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر ﷺ: أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر ﷺ: أنا قال: «**من عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر ﷺ: أنا. فقال رسول الله ﷺ : «**ما اجتمعن فى امرئٍ إلا دخل الجنة**»(١).

(١٥) الولاء والبراء:

ومن صفات أهل الجنة أنهم يوالون الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ويعادون الكافرين والمنافقين.

ولقد ضرب أصحاب النبى ﷺ المثل فى تحقيق معنى الولاء والبراء.

ولا نستطيع أن ننسى أبدًا موقف سعد بن أبى وقاص من أمه وموقف (الصدِّيق) من ابنه عبد الرحمن وموقف عبد الله من أبيه (رأس المنافقين) يوم أن قال قولته الخطيرة: «لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل».

* بل لقد ظهر هذا المعنى واضحًا جليًّا فى غزوة بدر ففى هذه الغزوة برزت قوة العقيدة وثبات المبدأ فلقد التقى الآباء بالأبناء والإخوة بالإخوة.. خالفت بينهم المبادئ ففصلت بينهم السيوف.

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٢٨) كتاب الزكاة.

(٢) سورة المجادلة: الآية: (٢٢).

قال ابن كثير: نزلت ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ فى «أبى عُبيدة» قتل أباه الجراح يوم بدر، ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فى الصدِّيق همَّ بقتل ابنه «عبد الرحمن بن أبى بكر» ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ فى مُصعب بن عمير قتل أخاه عُبيد بن عمير يومئذ ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ فى حمزة، وعلى، وعبيدة بن الحارث، قتلوا عُتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة يوم بدر.

* وبعد انتهاء المعركة مَرَّ مصعب بن عمير بأخيه أبى عزيز بن عمير، الذى خاض المعركة ضد المسلمين، مَرَّ به، وأحد الأنصار يشد يده، فقال مصعب للأنصارى: شُدَّ يديك به؛ فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصاتك بى؟ فقال مصعب: إنه - أى الأنصارى - أخى دونك.

(١٦) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١].

فمن صفات أهل الجنة أنهم لا يعيشون لأنفسهم ولا لشهواتهم وإنما يعيشون لحمل هذه الأمانة العظيمة التى أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها.

إنهم يريدون أن يُعبِّدوا الكون كله لله (جل وعلا).... كما قال ربعى ابن عامر ﷺ لرستم: نحن قومٌ ابتعثنا الله لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا

(١) سورة التوبة: الآيتان: (٧١: ٧٢).

إلى سعة الدنيا والآخرة.

* إنهم يعلمون أن الأمة تستمد خيريتها من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله قبل أى شىء...

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١).

* فاستحقوا أن يرزقهم الله الراحة فى الجنة بعد ما كابدوا المتاعب فى طلب العلم والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فنسأل الله (جل وعلا) أن يستعملنا ويستخدمنا لحمل تلك الأمانة العظيمة.

(١٧) الخوف من الله (جل وعلا):

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٤).

*** وقال ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»(٥).**

*** وقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم - ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(٦).**

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٢) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠ : ٤١).

(٣) سورة الرحمن: الآية: (٤٦).

(٤) سورة ق: الآيات: (٣١: ٣٥).

(٥) صحيح: رواه الترمذى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

* وقال ﷺ : «عينان لا تمسهما النار أبدًا: عينٌ بكت من خشية الله وعينٌ باتت تحرس فى سبيل الله»(١).

(١٨) إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل:

قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢).

* وهل من الممكن أن نتخيل رجلاً من أهل الجنة لا يقيم الصلاة ولا يؤتى الزكاة ولا يؤمن برسل الله (جل وعلا)؟!!!.

فيا من تركتم الصلاة ولم تُخرجوا زكاة أموالكم كيف تطمعون فى جنة الرحمن؟!!!.

أما علمتم أن أفضل شىء نتقرب به إلى الله - بعد التوحيد - هو أداء الفرائض؟.

قال تعالى فى الحديث القدسى: «من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه، وإن استعاذنى لأعيذنّه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددُّى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»(٣).

(١٩) قيام الليل والإنفاق:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤١١٣).

(٢) سورة المائدة: الآية: (١٢).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [(٢)].

وقال جبريل (عليه السلام) للنبي ﷺ: «واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعِزَّه استغناؤه عن الناس» [(٣)].

قنطار من الأجر... والفوز بالخلد والنعيم

* قال ﷺ: «من قرأ عشر آيات في ليلة كُتب له قنطار (من الأجر) والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل اقرأ وارقَ بكل آية درجة، حتى ينتهي إلى آخر آية معه، يقول الله عز وجل للعبد: اقبض. فيقول العبد بيده: يا رب! أنت أعلم. يقول: بهذه الخُلد، وبهذه النعيم» [(٤)].

درجات الجنة لأهل القيام

* وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات - وفي آخر الحديث -. وأما الدرجات: فإطعام الطعام وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام» [(٥)].

---

(١) سورة الذاريات: الآيات: (١٥ : ١٩).

(٢) سورة الحديد: الآيتان: (١١ : ١٢).

(٣) حسن: رواه الحاكم، والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣).

(٤) حسن: رواه الطبراني ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٣٨).

(٥) حسن: رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٤٥).

* وقال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال يا محمد: هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا، فوضع يده بين كتفي، حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمت فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات والدرجات... - وفي آخر الحديث -. والدرجات: «إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام»[(١)].

(٢٠) أولوا الألباب:

فأهل الجنة هم أصحاب العقول السليمة والفطر النقية.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[(٢)].

(٢١) الشكر وبر الوالدين:

ومن باب قول النبي ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[(٣)].

فأهل الجنة لا ينسون شكر الناس من حولهم - وعلى وجه الخصوص شكر الوالدين.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩).

(٢) سورة الرعد: الآيات: (١٩ : ٢٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي ، وأبو يعلى، والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٤١).

أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١).

(٢٢) عباد الرحمن... وغرف الجنة:

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٢).

* ويا لها من كرامة لا تعدلها كرامة حينما يرفع قدرهم بقوله «وعباد الرحمن».

قال الإمام القرطبي: وصف تعالى «عباد الرحمن» بإحدى عشرة خصلة هي أوصافهم الحميدة من التحلي، والتخلي وهي «التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والبعد عن الشرك، والنزاهة

---

(١) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٥، ١٦).

(٢) سورة الفرقان: الآيات: (٦٣: ٧٦).

عن الزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله» ثم بيّن جزاءهم الكريم وهو نيل الغرفة - أى الدرجة الرفيعة - وهى أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا.

(٢٣) صفات جليلة:

وها هى باقة عطرة من صفات أهل الجنة ذكرها الله (عز وجل) فى كتابه فقال تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** (١).

(٢٤) العودة إلى الدين الحق:

ومن صفات أهل الجنة أن الواحد منهم ما إن تتضح له الحقائق ويعرف سبيل المؤمنين حتى يسارع ويترك ما كان عليه من الكفر والشرك ليسلك صراط الله المستقيم ليكون من أصحاب جنات النعيم.

قال تعالى: **﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾** (٢).

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات: (١ : ١١).

(٢) سورة المائدة: الآيات: (٨٢: ٨٥).

(٢٥) المخبتون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١).

وقد وصف الله المخبتين في سورة الحج فقال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٢).

(٢٦) من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء الناس:

* قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء الناس خيرًا وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء الناس شرًا وهو يسمع»(٣).

* وقال ﷺ: «يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بِمَ ذاك يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيئ أنتم شهداء الله بعضكم على بعض»(٤).

* وقال ﷺ: «أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة...»(٥).

(٢٧) الفقراء أكثر أهل الجنة:

قال ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها من الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»(٦).

---

(١) سورة هود: الآية: (٢٣).

(٢) سورة الحج: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٢٧).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٢١) كتاب الزهد، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، وفي تخريج الطحاوية (ص ٤٨٩).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٢٦٤٣) كتاب الشهادات.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٦٥٤٦) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٧٣٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام»(١) .

وفى رواية: «بأربعين خريفًا»(٢).

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره فى الدخول. والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفًا، وقد يكون بعض مَن يُحاسَب أفضل من أكثرهم والغنى إذا حوسب على غِناه فوُجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول، ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

* * *

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذى ، وابن ماجه ، والنسائى فى الكبرى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٧٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٧٩) كتاب الزهد والرقائق بلفظ: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا...».

وأخيرًا

أخى الحبيب... أختى الفاضلة:

هكذا تعايشنا بقلوبنا مع بعض صفـات أهل الجنة فإذا وجدنا فى أنفسنا تلك الصفات فلنعلم أن هذا مـحض فضل الله علينا وإن لم تكن فينا تلك الصفات فلنجـتهد لكى نتصف بصفات أهل الجنة عـسى الله أن يجمعنا فى جنته لـننسى كل شقاءٍ وعـذابٍ وظلم رأيناه فى الدنيا. . . أسـأل الله (جل وعلا) أن يرحمنا برحـمته التى وسعت كل شىء وأن يرزقنا صُحبـة الحبيب ﷺ فى الجنة وأن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم.

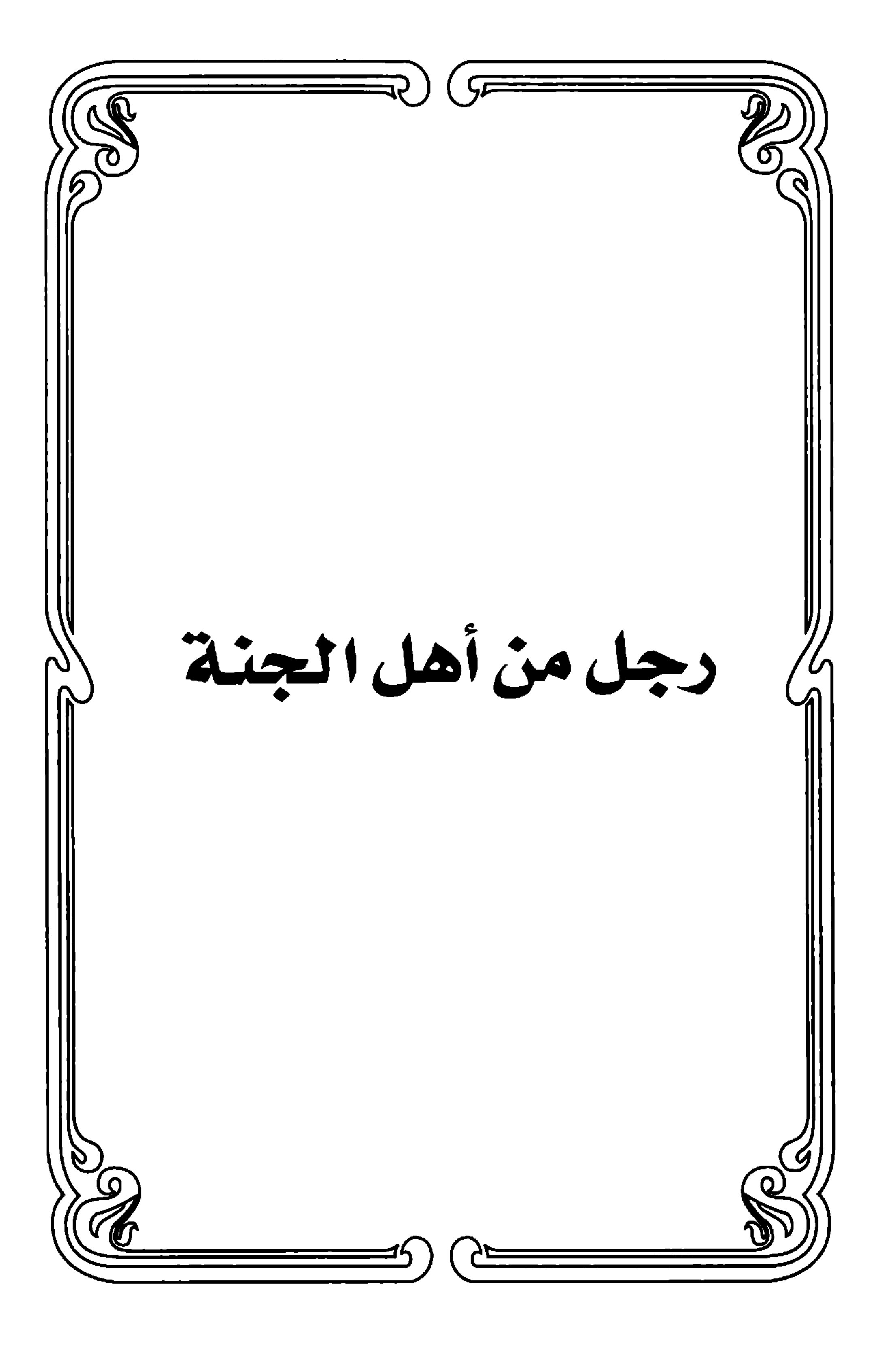
سبـحانك اللهم وبحـمدك أشـهد أن لا إله إلا أنت أسـتغـفرك وأتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



رجل من أهل الجنة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(٣).

أما بعد:

«فاعلموا يا إخوانى - وفقنا الله وإياكم للسداد والائتلاف وعصمنا وإياكم من الشتات والاختلاف - أن الله (عز وجل) قد أعلمنا اختلاف الأمم الماضين قبلنا، وأنهم تفرقوا واختلفوا فتفرقت بهم الطرق، حتى صار بهم الاختلاف إلى الافتراء على الله (عز وجل) والكذب عليه، والتحريف لكتابه والتعطيل لأحكامه، والتعدّى لحدوده، وأعلمنا تعالى أن السبب الذى

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

أخرجهم إلى الفُرقة بعد الأُلفة، والاختلاف بعد الائتلاف هو شدة الحسد من بعضهم لبعض، وبغى بعضهم على بعض، فأخرجهم ذلك إلى الجحود بالحق بعد معرفته، وردِّهم البيان الواضح بعد صحته، وكل ذلك وجميعه قد قصَّه الله (عز وجل) علينا، وأوعز فيه إلينا، وحذرنا من مواقعته، وخوَّفنا من مُلابسته. ولقد رأينا ذلك فى كثير من أهل عصرنا وطوائف ممن يدَّعى أنه من أهل ملتنا»(١).

وإنه مما لا شك فيه أن الأمة المسلمة الآن تمر بمرحلة قاسية نحتاج فيها إلى توحيد الصفوف وتآلف القلوب وسلامة الصدور لتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

ولترجع راية الإسلام خفاقة عالية على الكون كله... ولن يكون ذلك إلا إذا تآلفت قلوب أفراد هذه الأمة الميمونة وعاشت فى ظل الأخوة الصادقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٢).

وكما قال (عز وجل): ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٣).

فهذه صفات المؤمنين الكُمَّل، أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، متعززًا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤).

فهيا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تلك الرسالة التى تصف لنا حال رجل من

---

(١) الإبانة / لابن بطة (١/ ٢٧٠).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (١٠).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

(٤) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

أهل الجنة كان من أعظم مؤهلاته التى ستُدخله الجنة - بعد التوحيد - أنه لا يحمل لأحدٍ من المسلمين فى قلبه غشًا ولا حسدًا . . . فنسأل الله (جل وعلا) أن يملأ قلوبنا حبًا لإخواننا المسلمين إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

رجلٌ من أهل الجنة

عن أنس ﷺ **قال:** كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته أيضًا فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إنى لاحيت أبى فأقسمت أنى لا أدخل عليه ثلاثًا فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت، قال: «نعم» . . .

قال أنس: فكان عبد الله يُحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعارَّ - تقلب على فراشه - ذكر الله وكبّر حتى يقوم لصلاة الفجر . . قال عبد الله: غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرًا. فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لك الثلاث مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به فلم أركَ تعمل كبير عمل فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت. فلما وليت دعانى فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحدٍ من المسلمين غشًا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فهذه التى بلغت بك وهى التى لا تُطاق[1].

* ولقد بدأت تلك الرسالة بهذا الحديث لنرى كيف بلغ هذا الصحابى

---

(١) رواه أحمد والنسائى وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤/٣٣٨): وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين.

الجليل (الذى لا نعرف اسمه) إلى تلك الدرجة العالية حتى يشهد له النبى ﷺ ثلاث مرات بأنه من أهل الجنة، وذلك لأنه لا يجد فى نفسه لأحد من المسلمين غشًّا ولا يحسد أحدًا على خيرٍ أعطاه الله إياه... فنحن نحتاج أن نستحضر تلك الصورة المشرقة لنكون مثل هذا الصحابى الجليل عسى الله أن يحشرنا فى الجنة مع هذا الصحابى، ونكون فى صُحبة الحبيب النبى ﷺ .

صفات القلب السليم

إن القلب السليم له صفات جليلة ينبغى أن نتعرف عليها عسى أن يرزقنا الله (جل وعلا) قلبًا سليمًا... فصاحب هذا القلب هو الذى ينجو فى الآخرة، كما قال (جل وعلا): ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١).

* **قال الإمام ابن القيم (رحمه الله):**

«القلب السليم هو الذى سَلِم من الشرك والغل والحقد والحسد والشُّح والكبر وحب الدنيا والرئاسة، فسَلِم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله»(٢).

ويزيد الإمام ابن القيم (رحمه الله) هذه المسألة إيضاحًا فيقول: «الفرق بين سلامة القلب والبَلَه والتغفل، أن سلامة القلب تكون من عدم إرادة الشر بعد معرفته، فيسلم قلبه من إرادته وقصده لا من معرفته والعلم به، وهذا بخلاف البله والغفلة، فإنها جهل وقلة معرفة، وهذا لا يُحمد إذ هو نقص، وإنما يحمد الناس من هو كذلك لسلامتهم منه.

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان: (٨٨، ٨٩).

(٢) الجواب الكافى (ص:١٢٧).

والكمال أن يكون القلب عارفًا بتفاصيل الشر سليمًا من إرادته، قال عمر ابن الخطاب ﷺ: لست بخِبٍّ ولا الخب يخدعنى، وكان عمر أعقل من أن يُخدَع وأورع من أن يَخدع... قال تعالى: ﴿ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]، فهذا هو السليم من الآفات التى تعترى القلوب المريضة من مرض الشبهة التى توجب اتباع الظن، ومرض الشهوة التى توجب اتباع ما تهوى الأنفس، فالقلب السليم الذى سَلِم من هذا وهذا»[2].

أخلاق العالم الربانى

وسلامة الصدر مطلبٌ شرعى لكل مسلم، وبخاصة إذا كان من أهل العلم الذين يقتدى بهم الناس من حولهم...

قال الإمام الآجرى (رحمه الله) وهو يعدد أخلاق العالم الربانى أنه:

«لا مداهن، ولا مشاحن، ولا مختال، ولا حسود، ولا حقود، ولا سفيه، ولا جافٍّ، ولا فظ، ولا غليظ، ولا طعّان، ولا لعّان، ولا مغتاب، ولا سبَّاب، يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربه وينهاه عما يكره مولاه، ويخالق بالجميل من لا يأمن شره إبقاءً على دينه، سليم القلب للعباد من الغل والحسد، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين فى كل ما أمكن فيه العذر، لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد»[3].

هذا أدب العالم وقريبًا منه ما ذكره ابن جماعة (رحمه الله) عن أدب المتعلم، حيث قال «أن يطهر قلبه من كل غش ودنس وغل وحسد، وسوء عقيدة وخُلق ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه، فإن العلم كما قال بعضهم: صلاة السر وعبادة القلب

(١) سورة الشعراء: الآية: (٨٩).

(٢) الروح (ص: ٢٢٠).

(٣) أخلاق العلماء (ص: ٥٤).

وقربة الباطن، وكما لا تصح الصلاة التى هى عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحدث والخَبَث، فكذلك لا يصح العلم الذى هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خبث الصفات وحدث مساوئ الأخلاق ورديئها. وإذا طُيِّب القلب للعلم ظهرت بركته ونما كالأرض إذا طُيبت للزرع نما زرعها وزكا... وفى الحديث: **«ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»**(١).

هكذا كان النبى ﷺ

لقد كان النبى ﷺ صاحب القلب الرحيم الذى قال عنه (جل وعلا): **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** (٢)، بل وزكَّاه الحق (جل وعلا) فقال: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** (٣)، فلم يكن النبى ﷺ يحمل فى صدره إلا الحب والرحمة والشفقة على الناس من حوله ولم يكن للحسد والغل فى قلبه حظ ولا نصيب... ولِمَ لا؟ وقد عصمه الله من ذلك واستخرج كل هذا من قلبه.

ففى الحديث الذى رواه مسلم عن أنس بن مالك ؓ: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشقَّ عن قلبه فاستخرج القلب، واستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله بطست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَه(٤)، ثم أعاده فى مكانه»(٥)، وقد ورد فى رواية أن الذى أُخرج من صدره ﷺ هو «الغل والحسد»(٦)، ومع

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٣) سورة القلم: الآية: (٤).

(٤) لأمه: أى: جَمعَه وضم بعضه إلى بعض.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.

(٦) هذه الرواية جاءت فى حديث فى المسند (٥/ ٣٩) عن عبد الله بن الإمام أحمد. قال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٢٣) رجاله ثقات وثقهم ابن حبان.

ذلك فقد كان الله (عز وجل) يأمره بالعفو والصفح والتجاوز، كما في قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[١].

ولذلك كان النبي ﷺ في غاية الرفق والشفقة بالكون كله من حوله حتى بالعُصاة والكافرين فقد كان النبي ﷺ يتمنى لهم الهداية، بل وكان يبذل كل ما في وسعه من أجل أن يأخذ بأيديهم إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

وها هي بعض الصور المشرقة

وإليكم جميعًا بعض الصور المشرقة التي توضح لنا صفاء ونقاء قلب النبي ﷺ وإن كنا لسنا بحاجة إلى أن نقرأ تلك الصور حتى نعرف مدى نقاء وصفاء قلب النبي ﷺ فنحن نعلم يقينًا أن النبي ﷺ هو صاحب أنقى وأتقى وأرحم قلب في الكون كله.

ولكني أعرض لكم تلك الصور لنتعلم ونتأسى بالنبي ﷺ.

* **تقول أمنا عائشة** رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى»[٢].

* «وتأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم ويقول: **«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**[٣] كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه.

أحدها: عفوه عنهم. والثاني: استغفاره لهم، والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون. الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال: **«اغفر لقومي»**،

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل.

(٣) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كأني انظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» رواه البخاري ومسلم.

كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدى، هذا غلامى، هذا صاحبى فهبه لى»[١].

فإذا كان هذا حال النبى ﷺ مع أعدائه الكفار فكيف سيكون حاله إذن مع أصحابه الأبرار؟ . . . تقول عائشة رضي الله عنها: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا سخَّابًا فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»[٢].

بل إنه لما اشتد إيذاء المشركين للمسلمين قال أصحاب النبى ﷺ: يا رسول الله ألا تدعو على المشركين؟ فقال ﷺ : «**إنى لم أُبعث لعَّانًا، وإنما بُعثت رحمة**»[٣].

بل وتسأله أمنا عائشة رضي الله عنها وتقول له: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يُجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، وإن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين**»، فقال النبى ﷺ : «**بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[٤].

فلم يكن (عليه الصلاة والسلام) يغضب لنفسه، ولا يبغض أحدًا لذاته، إنما كان كل أمره لله (عز وجل).

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٣).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى، وصححه العلامة الألبانى فى المشكاة (٥٨٢٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

بل تأمل معى هذا الموقف الجليل الذى يفيض بالرحمة والشفقة. . .

كان الطفيل بن عمرو الدوسى رضي الله عنه قد أسلم بمكة، ثم رجع إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام فلم يزل يدعوهم ويُبطئون عليه حتى يئس منهم ورجع إلى رسول الله ﷺ فطلب منه أن يدعو على دوس - قبيلته - فقال ﷺ : **«اللهم اهد دوسًا»**.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «جاء الطفيل بن عمرو إلى النبى ﷺ فقال: إن دوسًا قد هلكت، عصت وأبت، فادعُ الله عليهم»، فقال: **«اللهم اهدِ دوسًا وائت بهم»**(١).

* وكان ﷺ حريصًا على سلامة صدور أصحابه تجاهه حتى لا يهلكوا فيه، ومما يدل على ذلك ما رواه البخارى ومسلم أن صفية زوج النبى ﷺ زارته فى المسجد وهو معتكف، فأراد أن يوصلها فلما بلغ باب المسجد مرَّ رجلان من الأنصار، فسلَّما على النبى ﷺ ، فقال لهما: **«على رسلكما إنما هى صفية بنت حُيى»**. فقالا: سبحان الله يا رسول الله. . . وكَبُرَ عليهما. فقال النبى ﷺ : **«إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئًا»**(٢).

أرأيتم كيف كان النبى ﷺ يحب الخير لكل من حوله ويخشى عليهم من كل سوء - بأبى هو وأمى ﷺ -.

وهؤلاء هم أصحاب الرسول ﷺ

وإذا كان المربى الأول ﷺ هو الذى تولى بنفسه تربية هذا الجيل الفريد من الصحابة رضي الله عنهم ، فلنا أن نتخيل كيف كانت أخلاقهم وكيف كانت الرحمة والشفقة تفيض من قلوبهم لتنشر شذاها وعبيرها على الكون كله. . . وليس

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٣٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٥٢٤) كتاب فضائل الصحابة.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٣٥) كتاب الاعتكاف، ومسلم (٢١٧٥) كتاب السلام.

هناك أدق من وصف الله (عز وجل) لهم حينما قال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ (١).

لقد ألَّف الله (عز وجل) بين قلوبهم وامتنَّ بذلك على نبيه ﷺ فقال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

ولذلك كانوا كالجسد الواحد يفرح أحدهم لفرح أخيه، ويحزن لحزن أخيه، ويرحم بعضهم بعضًا، ويعطف بعضهم على بعض ﴿وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٣).

صور مشرقة من حياتهم ﷺ

ولقد كانت حياتهم ﷺ مليئة بالرفق والرحمة والتسامح، ولم يعرف الغل والحسد طريقًا إلى قلوبهم الطاهرة النقية.

قال إياس بن معاوية بن قرة: «كان أفضلهم عندهم أسلمهم صدوراً وأقلهم غيبة»... وعن سفيان بن دينار قال: قلت لأبي بشر: أخبرني عن أعمال مَن كان قبلنا؟ قال: «كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا» قال: قلت: ولِمَ ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم».

* فعن عائذ بن عمرو ﷺ: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٩).
(٢) سورة الأنفال: الآية: (٦٣).
(٣) سورة الحشر: الآية: (٩).

أغضبت ربك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي»[(١)].

فأبو بكر ﷺ جاء ليعتذر لهم فوجد أن قلوبهم لم يُداخلها شيء أصلاً فدعوا له بالمغفرة ﷺ أجمعين.

* وهذا أبو دجانة ﷺ لما دُخل عليه وهو مريض كان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليمًا»[(٢)].

* **وهذا ابن عباس ﷺ عندما شتمه رجل قال له:** إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية في كتاب الله (عز وجل) فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبدًا، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين فأفرح به، وما لي به من سائمة»[(٣)].

* **وعن أبي حبيبة قال:** دخلت على (عليّ) مع عمران بن طلحة بعد وقعة الجمل، فرحب به ثم أدناه ثم قال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك ممن قال فيهم: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾[(٤)(٥)].

* بل لما دعا النبي ﷺ أصحابه لتجهيز جيش العُسرة - في غزوة تبوك - قام أحد الصحابة ﷺ ليتصدق فلم يجد عنده ما يقدمه فبكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغَّبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسول

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٠٤) كتاب فضائل الصحابة.
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٣).
(٣) صفة الصفوة (١/ ٧٥٣).
(٤) سورة الحجر: الآية: (٤٧).
(٥) السير (١/ ٣٨).

الله ﷺ ولم تجعل فى يد رسولك ما يحملنى عليه، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى فيها من مال أو جسد أو عِرض.

فتأمل معى - أخى الحبيب - كيف كان قلب هذا الصحابى الجليل خاليًا من الغل والحقد والحسد.. مملوءًا بالخير والحب والتسامح لكل إخوانه المسلمين.

* بل ولا ننسى أبدًا هذا المشهد الجليل لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه الذى لما طُعن وهو يتهيأ للصلاة، بعد أن مرَّ بشوارع الكوفة يوقظ أهلها لصلاة الفجر. قال لبنيه بعد أن علم قاتله: «أحسنوا نُزله، وأكرموا مثواه، فإن أعش، فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا، وإن أَمُت، فألحقوه بى، أخاصمه عند ربى العالمين، ولا تقتلوا بى سواه، إن الله لا يحب المعتدين».

بل ولا ننسى أبدًا موقف أمنا صفية بنت حُيى رضي الله عنها مع جاريتها.

قال أبو عمر بن عبد البر: روينا أن جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب، فقالت: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود. فبعث عمر يسألها. فقالت: أما السبت، فلم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة؛ وأما اليهود، فإن لى فيهم رحمًا، فأنا أَصِلُها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان، قالت: فاذهبى فأنت حرة[1].

لقد كانت رضي الله عنها تستطيع أن تنتقم لنفسها، ولكنها تعلَّمت العفو عند المقدرة من صاحب الخلق الرفيع محمد بن عبد الله ﷺ.

* * *

(١) الاستيعاب (١٣/ ٦٥).

والذين جاءوا من بعدهم

ولم يكن هذا دأب الصحابة ﷺ فحسب، بل كان ذلك دأب الذين جاءوا من بعدهم وساروا على هديهم وعاشوا على آثار نبيهم ﷺ .

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

فهم يتوجهون إلى الله (عز وجل) فى طلب المغفرة.. لا لأنفسهم فحسب، بل لسلفهم الذين سبقوهم بالإيمان... وفى نفس الوقت يسألون الله (عز وجل) أن يطهر قلوبهم من الغل لأى مؤمن لأن تلك القلوب اجتمعت وتآلفت على توحيد الخالق (جل وعلا) فلا ينبغى أن يكون بينها إلا الحب فى الله (جل وعلا).

فها هو إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (رحمه الله)، الذى ناله من الأذى ما ناله فصبر واحتسب، وكان موقفه من خصومه أن جعل كل من آذاه فى حلٍّ إلا أهل البدعة، وكان يتلو فى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ (٢)، ويقول: ما ينفعك أن يُعذَّب أخوك المسلم بسببك؟ وقد قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣)(٤).

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) يقول عنه تلميذه ابن القيم (رحمه الله): «ما رأيت أحدًا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية»(٥)، ويعنى بالخصال: الصفح والعفو وسلامة الصدر.

---

(١) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٢) سورة النور: الآية: (٢٢).

(٣) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٤) البداية والنهاية (١٠/٣٤٩).

(٥) مدارج السالكين (٢/٣٥٩).

قال ابن القيم (رحمه الله): كان بعض أصحاب ابن تيمية الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي كابن تيمية لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد من خصومه قط، بل كان يدعو لهم، وجئته يومًا مُبشرًا بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة، وأذى له، فنهرني وتنكَّر لي واسترجع. ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام فسُرُّوا به ودعوا له، وعظَّموا هذه الحال منه فرحمه الله ورضي عنه»[١]. . .

حتى أعداؤه وخصومه شهدوا له بذلك (رحمه الله).

فهذا ابن مخلوف كان من أشد الناس عداوة لشيخ الإسلام، بل إنه ممن أفتى بقتله، كان يقول: «ما رأينا مثل ابن تيمية حرَّضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا»[٢].

الإسلام.. والحرص على سلامة الصدر

لقد حرص الإسلام حرصًا شديدًا على توحيد صفوف هذه الأمة الميمونة وعلى نشر المحبة والإخاء بين أفرادها. . . ومن هنا جاءت وصية الحبيب ﷺ حيث قال: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولاتدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»[٣].

وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»[٤].

وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[٥].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٥٩).

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٥٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٦٥) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤٦) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب.

قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): «إن سلامة الصدر راحة فى الدنيا وغنيمة فى الآخرة. وأى لذة ونعيم فى الدنيا أطيب من برد القلب وسلامة الصدر ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته؟! وهل العيش فى الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟»(١)... قال قاسم الجوعى: «أفضل العبادة مكابدة الليل وأفضل طريق للجنة سلامة الصدر»(٢).

وقال السقطى (رحمه الله): «من أجلِّ أخلاق الأبرار سلامة الصدر للإخوان والنصيحة لهم»(٣).

وسلامة الصدر وصلاح ذات البين أمر من لوازم تقوى الله، ولهذا قرن الله (عز وجل) بينهما فى قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (٤).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هذا تحريج من الله ورسوله أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم»(٥).

ولو تأملنا قول النبى ﷺ : «والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٦) لوجدنا أننا لا نستطيع أن نمتثل قول النبى ﷺ إلا إذا سلمت صدورنا تجاه كل أخٍ مسلمٍ فى هذا الكون.

قال ابن رجب (رحمه الله): (وهذا الحديث يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير، وهذا إنما يأتى من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد)(٧).

ولما سُئل ﷺ عن أفضل الناس عدَّ من الصفات التى تؤهل العبد لأن

---

(١) الجواب الكافى (ص/ ١٢٧).

(٢) بستان العارفين (ص: ٣٤).

(٣) آداب العشرة (ص: ١٤).

(٤) سورة الأنفال: الآية: (١).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٥).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٥) كتاب الإيمان.

(٧) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٠٦).

يكون كذلك سلامة الصدر، . . . ففى حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ : أى الناس أفضل؟ قال: «**كل مخموم القلب صَدوق اللسان**»، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد**»[(١)].

فانظر كيف بدأ النبى ﷺ بتقوى القلب التى من ثمراتها سلامته من الإثم والبغى والغل والحسد.

بل إنه (عليه الصلاة والسلام) جعل درجة صلاح ذات البين وإصلاحها، أفضل من درجة نوافل الصلاة والصيام والصدقة، فقال: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى. قال: «**إصلاح ذات البين**»[(٢)].

ولذلك كان النبى ﷺ من أعظم الأسباب التى ألَّف الله بها بين الأوس والخزرج الذين دامت الحروب بينهم لسنوات عديدة.

فلقد جاء رسولنا ﷺ على حين فترة من الرسل، فى مجتمع غلبت عليه العداوة والبغضاء والشحناء، ولم يبق فيه إلا أخوة المادة والمصلحة.

ذكر ابن إسحاق: أن النبى ﷺ لما كلّم مَن كلَّم من الخزرج فى الموسم، وعرض عليهم الإسلام فقبلوا، قالوا: «**إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك**»[(٣)]. وفعلاً جمع الله به القلوب حتى قال مرة (عليه الصلاة والسلام): «**يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بى، وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بى**»[(٤)]، . . . قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [(٥)].

(١) **صحيح:** رواه ابن ماجه ، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٤٨).
(٢) **صحيح:** رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٩٥).
(٣) السيرة لابن هشام (١/ ٤٢٩).
(٤) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٣٣٠) كتاب المغازى، ومسلم (١٠٦١) كتاب الزكاة.
(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٠٣).

الإسلام يتعاهد قلبك فى كل لحظة

والإسلام يتعاهد النفوس والقلوب ليغسلها من الأحقاد بشكلٍ دائم ومستمر، فالقرآن يُذكرنا دائمًا بأن المسلم الذى اجتمع معك على توحيد الخالق (جل وعلا) هو أخوك وحبيبك... كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (١).

والنبى ﷺ يرسخ هذا المعنى فى أذهاننا فيقول ﷺ: «المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمهُ ولا يُسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان اللهُ فى حاجته، ومن فرَّج عن مسلمٍ كربةً، فرَّج اللهُ عنه بها كربةً من كُربِ يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا، ستره اللهُ يوم القيامة» (٢).

فإذا حدث شىء من الحسد أو التشاحن بين مسلمين فإن الإسلام يتعاهد تلك النفوس ليغسلها من الأحقاد (أسبوعيًّا وسنويًّا).

أما الأولى فقد قال ﷺ: «تُعرضُ أعمالُ الناس فى كل جمعة مرتين: يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبدٍ مؤمن، إلا عبدًا بينه وبين أخيه شحناء، فيقال اتركوا هذين حتى يفيآ» (٣).

وقال ﷺ: «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفرِ فيها لكل عبد لا يُشرك بالله شيئًا؛ إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا» (٤).

وأما الثانية فقد قال ﷺ: «إذا كان ليلةُ النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه، فيغفر للمؤمنين، ويُملى للكافرين، ويَدَع أهل الحقد بحقدهم حتى يَدعوه» (٥).

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) حسن: رواه البيهقى فى شعب الإيمان، وابن أبى عاصم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧١).

هكذا نجد أن الإسلام يتعاهد قلوب العباد فى كل لحظة من لحظات حياتهم حتى لا يبقى فى القلوب غلٌّ ولا غش ولا حسد، بل تبقى القلوب صافية نقية يملؤها الود والرحمة والمحبة.

أهل الجنة هم أصحاب القلوب السليمة

وسلامة الصدر نعمة من النعم التى توهب لأهل الجنة حينما يدخلونها، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [(١)]، وقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ [(٢)].

فأهل الجنة لا اختلاف بينهم ولا تباغض فقلوبهم على قلب رجلٍ واحد كما أخبر النبى ﷺ، حيث قال: «**... لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجلٍ واحد يسبحون الله بُكرة وعشيًا**»[(٣)].

فأصل الإحساس بالغل يُنزع من صدورهم، ولا تكون إلا الأخوة الصافية، فمن كانت هذه الخصلة فيه فى الدنيا فإنها من المبشرات له بأن يكون من أهلها يوم القيامة»[(٤)].

ولذلك أخبر النبى ﷺ أن دخول الجنة ابتداءً لا يكون إلا بمحبة أهل الإيمان، . . . فقال ﷺ : «**والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[(٥)].

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٤٧).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٤٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) فى ظلال القرآن / سيد قطب (٤/ ٢١٤٥) بتصرف.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

حكمة جليلة

ومن أجل نشر المحبة والمودة بين المسلمين. . . ومن أجل إقامة مجتمع إسلامى مثالى تتآلف فيه القلوب وتجتمع على الحب فى الله حضَّ الإسلام على الإصلاح بين المسلمين، بل ورخَّص فى الكذب من أجل الإصلاح بين المتخاصمين.

قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [(١)].

وقال ﷺ: «ليس الكذاب بالذى يُصلح بين الناس فينمى خيراً ويقول خيراً»[(٢)].

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: **«إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة»**[(٣)].

ومن أجل ذلك حرَّم الإسلام السعى بالنميمة بين الناس؛ لأنها تُشعل نار الفتنة بين المسلمين.

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»[(٤)].

بل وأخبر النبى ﷺ أن السعى بين الناس بالنميمة من أعظم أسباب عذاب القبر.

ففى الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: مرَّ بقبرين فقال: **«إنهما يُعذَّبان، وما يُعذَّبان فى كبير، بلى إنه كبير: أما أحدهما، فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»**[(٥)].

---

(١) سورة النساء: الآية: (١١٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٦٩٢) كتاب الصلح، ومسلم (٢٦٠٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٩٥).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٠٥٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥) كتاب الإيمان، واللفظ له.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢١٨) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٩٢) كتاب الطهارة.

الحسد المحمود... والحسد المذموم

إن المؤمن لا يحسد أحداً على نعمة أنعم الله بها عليه؛ لأنه يعلم يقينًا أن الدنيا بكل ما فيها لا تساوى عند الله جناح بعوضة، وأن الدنيا لا يُحسَد عليها لذاتها، وإنما لمن استعملها فى طاعة الله (جل وعلا).

قال ﷺ : «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»(١).

وفى رواية قال ﷺ : «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علَّمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جارٌ له، فقال: ليتنى أُوتيت مثل ما أُوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً، فهو يُهلكه فى الحق، فقال رجلٌ: ليتنى أُوتيت مثل ما أُوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل»(٢).

والحسد هنا بمعنى الغبطة: وهى تمنى مثل ما عند الغير دون تمنى زوال النعمة من عند الغير... وهذا هو الحسد المحمود، وهو بمثابة التنافس فى أمر الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (٣).

أما الحسد المذموم فهو أن يتمنى الإنسان زوال النعمة من عند الغير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود أن الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسدٌ من حسد، ولكن اللئيم يُبديه والكريم يخفيه»(٤).

* * *

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٧٥٢٩) كتاب التوحيد، ومسلم (٨١٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٥٠٢٦) كتاب فضائل القرآن.

(٣) سورة المطففين: الآية: (٢٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢٤).

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا

لقد أمرنا الحق (جل وعلا) بأن نعتصم ولا نتفرق فقال (جل وعلا): ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ (١).

وحذرنا الحق (جل وعلا) من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم من قبلنا، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢)، ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣).

بل وحذرنا الحق (جل وعلا) من مكائد الشيطان ومن كل الأسباب التى تمكّن الشيطان من التفريق بين المسلمين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٤).

إذ أن الاختلاف شر وفتنة، ولذلك فإن الشيطان يجعله فى المرتبة الثانية بعد الشرك بالله، فهو متى ما رأى أن باب عبادة الخلق له مغلق أتى من هذا الباب بالتحريش وإيغار الصدور، وفى ذلك يقول النبى ﷺ: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكن فى التحريش بينهم**»(٥).

* * *

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٠٥).

(٣) سورة الروم: الآيتان: (٣١، ٣٢).

(٤) سورة المائدة: الآيتان: (٩٠، ٩١).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٢) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

أسباب التشاحن والتباغض والقطيعة

وأما عن أسباب التشاحن والتباغض والقطيعة فهى كثيرة جدًّا، ولكن سأذكر بعض تلك الأسباب عسى الله أن يعيننا على البُعد عنها، وأن يجعلنا من المتحابين بجلاله الذين يُظلهم فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.

*** أولاً: عدم تحقيق التوحيد لله (جل وعلا):**

فمن المعلوم أن أعظم شىء تجتمع عليه القلوب هو توحيد الله (جل وعلا)، فإذا وقع أفراد الأمة فى الشرك فإن الله (عز وجل) يُلقى بينهم العداوة والبغضاء؛ لأنهم لم يوحدوا رب الأرض والسماء.

*** ثانيًا: كثرة الذنوب والمعاصى:**

قال ﷺ: «ما تَوادَّ اثنان فى الله فيُفرَّق بينهما إلا بذنب يُحدثه أحدهما»[1].

فالطاعة تجمع القلوب.. والمعصية تفرق بين القلوب، ولذلك فإن من أعظم أسباب التشاحن والتباغض والقطيعة انتشار المعاصى فى المجتمع المسلم.. فما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفع إلا بتوبة.

قال أحد السلف: «إنى لأعصى الله فأرى ذلك فى خُلُق دابتى وامرأتى»، وقد قال تعالى: **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾**[3].

*** ثالثًا: الشيطان:**

فالشيطان قد جعل همه الأول والأخير أن يغوى بنى آدم وأن يُفرق بينهم، ولذا قال الله تعالى: **﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ**

---

(١) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٠٣).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٦٥).

(٣) سورة الشورى: الآية: (٣٠).

بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [(١)].

وقال ﷺ : «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكن فى التحريش بينهم»[(٢)].

*** رابعًا: النميمة:**

فمن المعلوم أن السعى بين الناس بالنميمة يُشعل نار الفتنة بين أفراد المجتمع المسلم ويجعل القلوب متنافرة بدلاً من أن تكون متآلفة. ولذا كان الجزاء من جنس العمل... فكما أشعل النمام نار الفتنة بين المسلمين فى الدنيا فإن الله (عز وجل) يشعل عليه قبره نارًا، بل ويحرمه يوم القيامة من دخول الجنة، كما قال ﷺ : «لا يدخل الجنة نمام»[(٣)].

*** خامسًا: سوء الظن بالمسلمين:**

فمن المعلوم أن القلب إذا مرض فإن صاحبه يُسىء الظن بمن حوله، وإذا أساء الظن فإنه يتجسس على أخيه ليتأكد من ظنه الذى يظنه بأخيه.. وإذا تجسس فإنه قد يرى أشياء على أخيه فيقع فى الغيبة. وهكذا فإن معظم النار من مستصغر الشرر.

ولذا قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[(٤)].

وقال ﷺ : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[(٥)] «أى اجتنبوا ظن السوء بالمسلم، فلا تتهموا أحدًا بالفاحشة ما لم يظهر عليه ما يقتضيها، والظن تهمة تقع فى القلب بلا دليل»[(٦)].

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٥٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٢) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٥٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥) كتاب الإيمان، واللفظ له.

(٤) سورة الحجرات: الآية: (١٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٤٤) كتاب النكاح، ومسلم (٢٥٦٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) شرح الزرقانى على موطأ مالك (٤/ ٢٦٣).

وأما ما يُروى عن النبى ﷺ أنه قال: «احترسوا من الناس بسوء الظن» فإنه حديث لا يصح[١].

فالمؤمن لا يُسيء الظن بأحد من المسلمين أبدًا، بل ينبغى عليه أن يُحسن الظن بإخوانه.

*** سادسًا: الغضب:**

فالغضب يجعل الإنسان يخرج عن شعوره فيؤذى الناس من حوله بكلمات نابية لا يحب أحد أن يسمعها، . . . ولذلك كان من دعاء النبى ﷺ : **«اللهم أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الإخلاص فى الرضا والغضب»**[٢].

ولما طلب منه أحد الصحابة أن يوصيه قال له ﷺ : «لا تغضب»[٣].

قال جعفر بن محمد: (الغضب مفتاح كل شر).

وقال ابن رجب (رحمه الله): «وقد مدح الله من يغفر عند غضبه فقال: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [٤]؛ لأن الغضب يحمل صاحبه على أن يقول غير الحق ويفعل غير العدل، فمن كان لا يقول إلا الحق فى الغضب والرضا دَلَّ ذلك على شدة إيمانه وأنه يملك نفسه»[٥].

*** سابعًا: الحسد:**

وهو من أعظم أسباب الغيبة؛ لأن الحاسد يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه، فيريد أن يُسقط ماء وجهه عند الناس، حتى يكفوا عن

---

(١) **ضعيف جدًا:** رواه الطبرانى فى الأوسط، وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (١٥٦).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد، والنسائى، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٠١).

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٦١١٦) كتاب الأدب.

(٤) سورة الشورى: الآية: (٣٧).

(٥) شرح حديث عمار بن ياسر / لابن رجب (ص:٢٨).

كرامته والثناء عليه؛ لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له[١].

حيث إنه «يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما»، وهو الذى سمَّاه النبى ﷺ داء الأمم فقال: «دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء»[٢].

فالنبى (عليه الصلاة والسلام) (قرن فى الحديث بين الحسد والبغضاء؛ لأن الحاسد يكره أولاً فضل الله على ذلك الغير، ثم ينتقل إلى بُغضه، فإن بغض اللازم يقتضى بغض الملزوم)[٣].

وأقبح أنواع الحسد هو ما يكون بين المنتسبين إلى العلم والدعوة.

*** ثامنًا: الوقوع فى البدع:**

«وذلك أن صاحب البدعة ينتصر لبدعته، والسنة لابد لها من طائفة تبينها وتقوم عليها، وبذلك تنقسم الأمة على نفسها وتصبح شيعًا وأحزابًا، وقد يشتد الخصام بين الفرق فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماء، وتنقلب الأمة يضرب بعضها رقاب بعض»[٤].

*** تاسعًا: كثرة المنافقين:**

فالنفاق هو السوس الذى ينخر فى عظام الأمة المسلمة... فأهل النفاق هم الذين يندسُّون بين صفوف الأمة المسلمة للإيقاع بين أفرادها وإحداث الفتنة بينهم... فهم كما وصف الله أهل الكتاب: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [٥]، ولذلك فهم يستخدمون ما يقدرون عليه من الطرق التى يتحقق بها التفريق بين المؤمنين، فيلبسون مسوح الضأن

---

(١) الإحياء (٣/ ١٥٦).

(٢) رواه أحمد، والترمذى، وأورده الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٦١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢٧).

(٤) البدعة، أسبابها ومضارها، للشيخ محمود شلتوت (٥٨).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٢٠).

على قلوب الذئاب، ويُظهرون التـدين والنصح للأمة، وقد يطبـعون الكتب ويوزعون الأشرطة مجانًا ﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [١].

*** عاشرًا: التنافس على الدنيا:**

فـأهل الدنيا الذين يلهـثون وراءهـا هم أكثـر الناس عُرضـة للتشـاحن والتباغض. . أما أهل الدين الذين لا تشغلهم الدنيا وزهرتها الفانية فإن الله (عز وجل) يُلقى بينهم المحبة والمودة.

قال ﷺ يومًا لأصحابه: «إذا فُتحت عليكم فارس والروم أى قوم أنتم؟» قال عبـد الرحمن بن عوف: نقول كـما أمرنا الله، قال رسول الله ﷺ : **«أو غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون»**[٢].

قال ابن الجوزى (رحمه الله): تأملت التحاسد بين العلماء، فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون»[٣].

*** الحادى عشر: الجدال والمراء:**

قال بعض السلف: «إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعـبد شرًّا أغلق عنه باب العـمل وفتح له باب الجدل»، . . . ولما سمع الحـسن قومًا يتـجادلون قال: «هؤلاء ملُّوا العـبادة، وخَفَّ عليهم القول وقَلَّ ورعهم فتكلموا».

قـال ابن رجب (رحمـه الله): «ومما أنكره أئمـة السلف الجدال والخـصام والمراء فى مسائل الحـلال والحرام أيضًا، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام وإنما أُحدث ذلك بعدهم».

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٠٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) صيد الخاطر (ص:٢١).

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال ﷺ : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: « ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (١) »(٢)(٣).

وقال الآجري (رحمه الله): «وعند الحكماء أن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان ويورث التفرقة بعد الألفة والوحشة بعد الأنس»(٤).

وقال مالك (رحمه الله): المراء يقسى القلوب ويورث الضغائن»(٥).

*** الثاني عشر: حب الرياسة:**

فمن المعلوم أن حُب الرياسة شيءٌ متأصل في قلوب أهل الدنيا... ومن المعلوم أيضًا أن حرص كل واحدٍ منهم على الرياسة والزعامة يجعل قلبه ممتلأً حقدًا وحسدًا لمن ينافسه على هذا المنصب الذى يسعى إليه.

قال الفضيل بن عياض (رحمه الله): «ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحدًا بخير».

وقال أبو نعيم: «والله ما هلك من هلك إلا بحب الرياسة»(٦).

وقال شداد بن أوس رضي الله عنه: «يا بقايا العرب: إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية» قيل لأبى داود ما الشهوة الخفية؟ قال: «حب الرياسة» قال شيخ الإسلام معلقًا: «فهى خفية تخفى عن الناس وكثيرًا ما تخفى على صاحبها»(٧).

---

(١) سورة الزخرف: الآية: (٥٨).

(٢) فضل علم السلف على علم الخلف (ص: ٣٢).

(٣) حسن: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، والطبرانى، والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٣٣).

(٤) أخلاق العلماء (ص: ٥١).

(٥) الإحياء (٣/ ١٢٦).

(٦) جامع بيان العلم (ص: ٢٢٧).

(٧) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٤٦).

*** الثالث عشر: التعصب لغير الحق:**

فمن الناس من يتعصب لقبيلته أو لحزبه أو لجماعته. . . وهذا أمرٌ مذموم. فقد قال ﷺ : «**من قُتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية**»(١).

وعند البخارى أن النبى (عليه الصلاة والسلام) أنكر على من استغاث بالمهاجرين ومن استغاث بالأنصار، وقال: «**ما بال دعوى الجاهلية**»، وقال: «**دعوها فإنها خبيثة**»(٢) وفى رواية قال: «**دعوها فإنها مُنتنة**»(٣).

وقال ابن القيم (رحمه الله): «وإنما كثر الاختلاف وتفاقم أمره بسبب التقليد وأهله، وهم الذين فرقوا الدين وصيَّروا أهله شيعًا كل فرقة تنصر متبوعها وتدعو إليه وتذم من خالفها ولا يرون العمل بقولهم، حتى كأنهم ملة أخرى سواهم يدأبون ويكدحون فى الرد عليهم، ويقولون: كُتبهم وكُتبنا وأئمتهم وأئمتنا ومذهبهم ومذهبنا، . . . هذا والنبى واحد والدين واحد والرب واحد، فالواجب على الجميع أن ينقادوا إلى كلمة سواء بينهم كلهم وأن لا يطيعوا إلا الرسول ﷺ ، ولا يجعلوا معه من يكون أقواله كنصوصه ولا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله»(٤).

*** الرابع عشر: اتباع الهوى:**

فاتباع الهوى يجعل القلوب متفرقة. . وأما اتباع الشرع فيجمع شتات القلوب. . . قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ**﴾(٥).

وعدَّ النبى ﷺ الهوى من المهلكات فقال: «ثلاث مهلكات: شُحٌّ مُطاع،

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٠) كتاب الإمارة.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٣٥١٨) كتاب المناقب.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤٩٠٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٨٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) إعلام الموقعين (٢/ ١٧٣).

(٥) سورة القصص: الآية: (٥٠).

وهوى مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[١].

قال عمر بن عبد العزيز (رحمه الله): «لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تُثاب على ما اتبعته من الحق وتعاقَب على مخالفته».

وقال ابن رجب (رحمه الله): «ولما كثر اختلاف الناس فى مسائل الدين وكثر تفرقهم كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم وكلٌ منهم يظهر أنه يبغض لله، وقد يكون فى نفس الأمر معذورًا، وقد لا يكون معذورًا بل يكون متبعًا لهواه مقصرًا فى البحث عن معرفة ما يبغض عليه»[٢].

قال ابن الجوزى (رحمه الله): «من ركب الهوى هوى به»[٣].

*** الخامس عشر: كثرة المزاح:**

إن الشرع لا يُحرم المزاح، بل إن المزاح مطلوبٌ أحيانًا من أجل تأليف القلوب.. وإنما المذموم هنا هو كثرة المزاح، وبخاصة إذا كان فيه نوع من السخرية بالآخرين... فالمزاح كالملح فى الطعام إذا كثر أو عدم فسد الطعام، وإذا وُضع فيه بالقدر المعقول جعل الطعام طيبًا.

قال عمر بن عبد العزيز (رحمه الله): «إياكم والمزاح، فإنه يورث الضغينة ويجرُّ إلى القبيح»، وقيل: «لكل شىء بذور وبذور العداوة المزاح»[٤].

*** السادس عشر: البغى فى الخلاف:**

إن المؤمن لابد أن يكون مُنصفًا فإذا اختلف مع أخيه المسلم فلا ينبغى أن يحمله هذا الخلاف على البغى والعدوان.

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٨٠٢)، وصحيح الجامع (٣٠٤٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٦٧).

(٣) المدهش (ص: ٥١٧).

(٤) الإحياء (٣/ ١٣٧).

قال الإمام الشاطبى: (كل مسألة حدثت فى الإسلام، واختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة، علمنا أنها ليست من أمر الدين فى شىء»[١].

فإن (الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغى لا لمجرد الاجتهاد... كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[٢]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[٣]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[٤]، فلا يكون فتنة ولا فرقة مع وجود الاجتهاد السائغ، بل مع نوع بغى)[٥] «وكل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين سواء كان قولاً أو فعلاً»[٦].

(قال يونس الصدفى: ما رأيت أعقل من الشافعى ناظرته يومًا فى مسألة ثم افترقنا ولقينى فأخذ بيدى ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق فى مسألة واحدة؟)[٧]، وكان الإمام أحمد يذكر إسحاق ابن راهويه فيمدحه ويثنى عليه ويقول: «لم يعبر الجسر إلى خُراسان مثل إسحاق وإن كان يخالفنا فى أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا»[٨].

---

(١) الاعتصام (٢/ ٧٣٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٩).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٥٩).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٠٥).

(٥) الاستقامة (١/ ٣١).

(٦) الاستقامة (١/ ٣٧).

(٧) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦).

(٨) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧١).

*** السابع عشر: النجوى بين المؤمنين:**

إن النجوى بين المؤمنين تجعل القلوب تسىء الظن بمن حولها، ومن ثم تقع الغيبة والنميمة فتمتلئ القلوب بالحقد والضغينة، ولذلك نهى الحق (جل وعلا) عن النجوى؛ لأنها من الأشياء التى تفتح الأبواب للشيطان ليوقع بين المؤمنين... قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [1].

وقال ﷺ: **«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس فإن ذلك يُحزنه»** [2].

قال صاحب الظلال: «إن رؤية المسلمين للوسوسة والهمس والانعزال بالحديث تبث فى قلوبهم الحزن والتوجس، وتخلق جواً من عدم الثقة، والشيطان يغرى المتناجين ليُحزنوا نفوس إخوانهم ويُدخلوا بها الوساوس والهموم» [3].

*** الثامن عشر: عدم تسوية الصفوف فى الصلاة:**

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لتسوون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم»** [4].

قال النووى (رحمه الله): والأظهر - والله أعلم - أن معناه: يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب، كما يقال: تغير وجه فلان، أى: ظهر لى من وجهه كراهة لى وتغير قلبه علىَّ؛ لأن مخالفتهم فى الصفوف مخالفة فى ظواهرهم، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن» [5].

---

(١) سورة المجادلة: الآية: (١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٩٠) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢١٨٤) كتاب السلام.

(٣) فى ظلال القرآن (٥/ ٣٥١٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٧) كتاب الأذان، ومسلم (٤٣٦) كتاب الصلاة.

(٥) مسلم بشرح النووى (٤/ ١٥٧).

آثار التنازع والفرقة

إننا حينما نتأمل فى تلك المصائب التى حلَّت بالأمة المسلمة نعلم يقينًا أن من أعظم الأسباب فى ذلك فساد ذات البين.

فتعالوا بنا لنتأمل سويًّا بعض آثار التنازع والفُرقة عسى الله أن يجمع قلوبنا على الحب فى الله، وأن يجمع كلمتنا على التوحيد.

*** أولاً: ضعف الأمة المسلمة:**

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1]، ومن المعلوم أن المستفيد الأول من تفرق الأمة وتنازعها هم الأعداء الذين يتربصون بنا الدوائر ويتمنون من أعماق قلوبهم أن يستأصلوا شأفة الإسلام والمسلمين، ولذلك فإن المسلمين يجب أن ينتبهوا لذلك حتى لا يكونوا سببًا فى ضعف الأمة وتفرقها فإن الاجتماع قوة.

وصدق من قال:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسُّرًا

وإذا افترقن تكسرت آحادًا

*** ثانيًا: الحرمان من خيرات الدنيا والآخرة:**

فمن المعلوم أن تماسُك الأمة وتكاتف أفرادها يرتقى بالأمة من الحسن إلى الأحسن ويجعلها مشعل هداية للبشرية كلها من حولها. . . فتزدهر الأمة ويعم الخير على جميع أفرادها، أما إذا تفرقت الأمة فإن ذلك إهدار لجهود الأمة وحائل بينها وبين أى تقدم.

أما بالنسبة لأمر الآخرة فلقد أسلفنا أن الله (عز وجل) يغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا إلا من كانت بينه وبين أخيه شحناء. فالعبد يُحرم من المغفرة بسبب الشحناء.

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٤٦)

بل إن الأمة حُرمت من معرفة ليلة القدر بسبب التشاحن.

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «**خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرُفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة**»[1].

وفى رواية مسلم: «فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان»[2].

قال النووى: «ومعناه يطلب كل واحد منهما حقه ويدَّعى أنه المحق، . . . وفيه أن المخاصمة والمنازعة مذمومة، وأنها سبب للعقوبات المعنوية»[3].

*** ثالثاً: الخوف من سوء الخاتمة:**

فمن المعلوم أن فساد ذات البين قد يصل إلى الهجر والقطيعة، مما يُعرض المسلم إلى تلك العقوبة التى أخبر عنها النبى ﷺ حيث قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار**»[4].

هل هناك حقدٌ شرعى

والسؤال الذى يخطر على البال: هل هناك حقدٌ شرعى؟

والجواب: نعم هناك حقدٌ شرعى، وهو أن يحقد المؤمن على اليهود والكافرين وأن يبغضهم لله (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[5].

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٠٢٣) كتاب صلاة التراويح.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١١٦٧) كتاب الصيام.

(٣) مسلم بشرح النووى (٨/٦٣).

(٤) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٦٥٩).

(٥) سورة التوبة: الآيتان: (١٤، ١٥).

ولكن المؤمن لا يحمله هذا الكُره للكافرين على أن يظلمهم؛ لأن ظُلم الكافر حرام، كما قال سيد الأنام ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب**»[(١)].

فالمؤمن لابد أن يحب ويكره، كما قال ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»[(٢)].

ولكنه مع ذلك يكره كُرهًا ممزوجًا بالشفقة... فهو يكره الكافر لكفره، ولكنه مع ذلك يشفق عليه من عذاب جهنم، ويتمنى من أعماق قلبه أن يكون سببًا فى إسلام هذا الكافر حتى يأخذ بيديه إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

السلام العالمى لن يكون إلا بعد نزول المسيح (عليه السلام)

وقد يسأل سائل ويقول: متى يأتى السلام العالمى الحقيقى؟

والجواب: إن ذلك لن يكون إلا بعد نزول المسيح عيسى (عليه السلام)... وقبل ذلك كله جهاد فى سبيل الله (جل وعلا).

قال ﷺ: «**والله لينزلن عيسى ابن مريم حكمًا عادلاً... وليضعنَّ الجزية ولتُتركنَّ القلاص**[(٣)]**، فلا يُسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليُدعونَّ إلى المال فلا يقبله أحد**»[(٤)].

وفى رواية: «**ولتذهبن الشحناء من قلوب الناس... وتُملأ الأرض من السِّلْم كما يُملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة واحدة وتضع الحرب أوزارها**»[(٥)].

---

(١) حسن: رواه أحمد، وأبو يعلى، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧٦٧)، وصحيح الجامع (١١٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود ، والضياء وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٨٠)، وصحيح الجامع (٥٩٦٥).

(٣) القلاص: الناقة الشابة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه، والحاكم، وابن خزيمة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٧٥).

فتأمل معى كيف أن الشحناء والتباغض والتحاسد تُنزع من قلوب الناس فى هذا الزمان ويصبح الناس فى غاية الحب والتآلف والمودة.

وسائل دفع الحسد.. وموقف المسلم من حاسديه

إن الذى يتدبر كتاب الله يجد فيه مصير أهل البغى والحسد وعاقبة المتقين كما فى قصة قابيل وهابيل، وقصة يوسف مع إخوته، وكذلك يجد صفات الدعاة الصادقين فى دعوتهم، والذين كانت قلوبهم سليمة من الغل والحسد، كما فى قصة صاحب يس الذى قال بعد أن قتله قومه: ﴿**يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾ [١].

والإنسان لا يخلو أبدًا من عدوٍّ يتربص به الدوائر ويكيد له بالليل والنهار... وبخاصة إذا كان من ورثة الأنبياء.

قال (عز وجل): ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾[٢]، وقال (عليه الصلاة والسلام): «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صُلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة ابتُلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة**»[٣].

قال ابن عبد البر (رحمه الله): لقد رأينا البغى والحسد قديمًا.

ألا ترى إلى قول الكوفى فى سعد بن أبى وقاص إنه لا يعدل فى الرعية ولا يغزو فى السرية ولا يقسم بالسوية،... وسعدٌ بدرى وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب الشورى فيهم،

(١) سورة يس: الآيتان: (٢٦، ٢٧).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١١٢).

(٣) **صحيح:** رواه أحمد ، والترمذى، وابن ماجه وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٤٣).

وقال: توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ[١].

* فتعالوا بنا لنرى ما هى الوسائل التى يُدفع بها الحسد، وما هو موقف المسلم من حاسديه.

*** أولاً: تجريد التوحيد لله (جل وعلا):**

فإذا جرَّد العبد التوحيد لله فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يُفرد الله بالمخافة وقد أمَّنه منه وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره، فيرى أن إعماله فكره فى أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده وإلا فلو جرَّد توحيده لكان له فيه شغل شاغل والله يتولى حفظه والدفع عنه فإن الله يدافع عن الذين آمنوا [٢].

«فالتوحيد حصن الله الأعظم الذى مَن دخله كان من الآمنين. قال بعض السلف «من خاف الله خافه كل شىء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شىء»[٣].

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [٤]، . . وقال النبى ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **«واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»**[٥].

*** ثانيًا: التوبة:**

«فيجرد التوبة إلى الله من الذنوب التى سلطت عليه أعداءه، فإن الله

---

(١) جامع بيان العلم (ص:٥١٨).

(٢) فقه الحسد/ للشيخ مصطفى العدوى (ص:٧٧).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٥).

(٤) سورة يونس: الآية: (١٠٧).

(٥) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (١)، وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ﷺ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ (٢).

فما سُلِّط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما علمه وعمله أضعاف ما يذكره»(٣).

* **ثالثا: تقوى الله (جل وعلا):**

قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٤).

فالصبر وتقوى الله (سبحانه وتعالى) يدفعان كيد الكائدين ومكر الماكرين، وقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **«احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك..»**.

وكما قال ابن القيم (رحمه الله): فمن حفظ الله حفظه الله ووجده أمامه أينما توجَّه، ومن كان الله حافظه وأمامه فمن يخاف ومن يحذر؟!!.

* **رابعًا: التوكل على الله:**

قال ابن القيم (رحمه الله) (التفسير القيم): والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبُه - أي كافيه -، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً.

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٣٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٦٥).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٢).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٢٠).

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

*** خامسًا: عدم إخبار الحاسد بنعمة الله عليك:**

ولذلك قال يعقوب ليوسف (عليهما السلام): **﴿يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾** (٣).

ومن هذا الباب وصية رسول الله ﷺ لمن رأى رؤيا يحبها أن لا يقصها إلا على من يحب.

ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «الرؤيا الصالحة من الله، والرؤيا السوء من الشيطان فمن رأى رؤيا فكره منها شيئًا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان فإنها لا تضره ولا يخبر بها أحداً. فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر بها إلا من يحب»(٤).

*** سادسًا: التعوذ بالله من شر كل حاسد:**

وذلك بقراءة المعوذات... فقد قال ﷺ لأحد الصحابة: **«﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»(٥).**

قال ابن القيم (رحمه الله) - في تفسير سورة الفلق -: فهذه السورة من أكبر أدوية الحسد فإنها تتضمن التوكل على الله والالتجاء إليه والاستعاذة به من شر حاسد النعمة فهو مستعيذ بولي النعم ومُوليها كأنه يقول: يا من

---

(١) سورة الطلاق: الآية: (٣).

(٢) سورة آل عمران: الآيتان: (١٧٣، ١٧٤).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٥).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٠٦).

أولانى نعمته وأسداها إلىَّ أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها منى ويزيلها عنى، وهو حَسْب من توكل عليه وكافى من لجأ إليه وهو الذى يؤمِّن خوف الخائف ويجير المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

*** سابعًا: فراغ قلب المحسود عن الاشتغال بالحاسد:**

ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود فراغ قلب المحسود من الاشتغال بالحاسد والفكر فيه، . . . قاله ابن القيم، وقال (رحمه الله): وأن يمحوه من باله كلما خطر له فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه، بل انعزل عنه لم يقدر عليه، فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر.

*** ثامنًا: الصبر على الحاسد:**

قال ابن القيم (رحمه الله) «فى بيان ما يندفع به شر الحاسد عن المحسود»: الصبر على عدوه وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً فما نُصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله ولا يستطل تأخيره وبغيه فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جندًا وقوة للمبغى عليه المحسود يقاتل به الباغى نفسه وهو لا يشعر، فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه، ولو رأى المبغى عليه ذلك لسرَّه بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغى دون آخره ومآله، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ (١)فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولاً فكيف بمن لم يستوفِ شيئًا من حقه، بل بُغى عليه وهو صابر؟.

*** تاسعًا: العدل مع الحاسد:**

وفى ذلك يقول (جل وعلا): ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٢).

---

(١) سورة الحج: الآية: (٦٠).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٨).

«فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالمًا له[(١)].

* «شتم رجل أبا ذر رضي الله عنه فقال له: يا هذا لا تغرقنَّ في شتمنا ودَعْ للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه»[(٢)].

* عاشرًا: الإحسان إلى الحاسد:

قال ابن القيم (رحمه الله): وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفَّق له إلا من عَظُم حظه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي، والمؤذي بالإحسان إليه فكلما ازداد أذًى وشرًّا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانًا وله نصيحةً وعليه شفقةً وما أظنك تُصدق بأن هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قوله (عز وجل): ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [(٣)] وقال: ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [(٤)] وتأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**» كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه.

أحدها: عفوه عنهم، والثاني: استغفاره لهم، والثالث: اعتذاره عنهم

---

(١) الاستقامة (١/ ٣٨).

(٢) بهجة المجالس (١/ ٤١٨).

(٣) سورة فصلت: الآيات: (٣٤: ٣٦).

(٤) سورة القصص: الآية: (٥٤).

بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، فقال: «اغفر لقومى».

*** الحادى عشر: الرقية:**

ومن أسباب دفع الحسد (الرقية).

ففى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال: «**يا محمد اشتكيت؟**» فقال: «**نعم**» قال: «**باسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسدٍ الله يشفيك باسم الله أرقيك**»[1].

*** الثانى عشر: اغتسال الحاسد:**

ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود اغتسال الحاسد (أعنى: غسل بعض أعضائه على ما سيرد» وصبّ ماءه على المحسود.

ففى صحيح مسلم من حديث ابن عباس ﷺ، عن النبى ﷺ أنه قال: «**العين حق، ولو كان شىء سابق القدر سبقته العين، وإذ ا استُغسلتم فاغتسلوا**»[2].

وفى سنن أبى داود بإسناد صحيح عن عائشة قالت: كان يُؤمَر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين.

قال النووى فى شرح مسلم: وصفة وضوء العائن عند العلماء أن يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح فى الأرض، فيأخذ منه غرفة فيتمضمض بها ثم يمجها فى القدح، ثم يأخذ منه ما يغسل وجهه، ثم يأخذ بشماله ماءً يغسل به كفه اليمنى، ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر، ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين، ثم يغسل قدمه اليمنى، ثم اليسرى على الصفة المتقدمة، وكل ذلك فى القدح، ثم داخلة إزاره وهو الطرف المتدلى الذى يلى حقوه

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٨٦) كتاب السلام.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٨٨) كتاب السلام.

الأيمن، وقد ظن بعضهم أن داخلة الإزار كناية عن الفرج (وجمهور العلماء على ما قدمناه) فإذا استكمل هذا صبَّه من خلفه على رأسه، وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه وليس فى قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات فلا يُدفع هذا بألا يُعقل معناه.

الطريق إلى سلامة الصدر

أيها الأخ الحبيب: اعلم أن سلامة الصدر مطلب شرعى يتمناه كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر... لكن يا تُرى كيف الطريق إلى سلامة الصدر؟ هذا هو العنصر الذى أختم به تلك الرسالة... وسأذكر الوسائل التى نصل من خلالها إلى سلامة الصدر عسى الله أن يُصلح فساد قلوبنا.

*** أولاً: إقامة التوحيد لله (جل وعلا):**

فإن العبد إذا أقام التوحيد لله (جل وعلا) بقلبه وجوارحه... وذلك بأن يحقق التوحيد بكل أنواعه من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، فإن ذلك يظهر على أخلاقه ومعاملاته وسلوكياته، ويجعله راضيًا عن قضاء الله (جل وعلا) فلا يحسد أحدًا ، ولا يحقد على أحدٍ من العباد.

فعلى سبيل المثال إذا علم العبد أن من أسماء الله (جل وعلا) أنه الحكيم علم يقينًا أن الحكيم (جل وعلا) هو الذى يضع الشىء فى موضعه... وبذلك يرضى العبد إذا وجد غيره غنيًا ووجد نفسه فقيرًا؛ لأنه يعلم أن الله لا يفعل ذلك إلا لحكمة جليلة لا يعلمها أحدٌ من البشر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[1] ، أى: خبير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر... فمن العباد

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٠).

من لا يصلح حاله إلا بالغِنى ومنهم من لا يصلح حاله إلا بالفقر... والرزق ليس دليلاً على محبة الله للعبد... فالله (عز وجل) يعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولا يعطى الآخرة إلا لمن يحب.

*** ثانيًا: الإخلاص:**

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»(١).

قال ابن القيم (رحمه الله): «أى لا يبقى فيه غل، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفى عنه غِلَّه وتُنقيه منه وتُخرجه عنه، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة، فهذه الثلاثة تملؤه غلاً ودغلاً،... ودواء هذا الغل، واستخراج أخلاطه، بتجريد الإخلاص والنصح، ومتابعة السنة»(٢).

*** ثالثًا: إفشاء السلام:**

قال ﷺ: «والذى نفسى بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(٣).

قال ابن عبد البر (رحمه الله): فى هذا دليل على فضل السلام لما فيه من رفع التباغض وتوريث الود... ولقد أحسن القائل:

قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهم
وِدٌّ فيزرعه التسليم واللطف(٤)

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٩٠).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٩٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان.

(٤) التمهيد (٦/ ١٢٨).

ومن المعلوم أن السلام يجعل القلوب تتآلف وتشعر بالمودة والمحبة لما فى إفشاء السلام من إحساس المسلم بقدره ومكانته فى قلب أخيه المسلم.

*** رابعًا: قراءة القرآن:**

فالقرآن هو دواء القلوب وشفـاء الصدور... قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (١)، وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) ، قال ابن القيم (رحمه الله): «والصحيح أن (من) هاهنا لبيان الجنس لا للتبعيض... وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (٣).

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة»... إلى أن قال: «وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذى لو نزل على الجبال لصدَّعها، أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفى القرآن سبيل الدلالة على دوائه، وسببه، والحمية منه، لمن رزقه الله فهمًا فى كتابه»(٤).

*** خامسًا: الهدية:**

فالهدية لها أثرٌ عظيم فى تأليف القلوب ونشر المحبة بين العباد.

قال ﷺ: «تهادوا تحابوا»(٥).

قال ابن عبد البر (رحمه الله): «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية، وندب أمته إليها، وفيه الأسوة الحسنة ﷺ، ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تورث المودة وتُذهب العداوة»(٦).

(١) سورة فصلت: الآية: (٤٤).
(٢) سورة الإسراء: الآية: (٨٢).
(٣) سورة يونس: الآية: (٥٧).
(٤) زاد المعاد (٤/ ٣٥٢).
(٥) حسن: رواه البيهقى، والبخارى فى الأدب المفرد، وأبو يعلى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٠٤).
(٦) التمهيد (٢١/ ١٨).

* **سادسًا: الدعاء:**

فالدعاء هو السهم الذى لا يُخطئ أبدًا.. فما عليك إلا أن ترفع يديك إلى من يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء فى الليلة الظلماء، وتسأله (جل وعلا) أن يجعل قلبك سليمًا تجاه إخوانك المؤمنين.

وما أجمل أن تقوم فى جوف الليل حين ينزل ربنا إلى السماء الدنيا - نزولاً يليق بجلاله وعظمته - فيقول: **«من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له»**[(١)]... فتسأل الله (جل وعلا) كل ما تريده وتتمناه.

فلقد كان من دعاء النبى ﷺ: «واسلل سخيمة قلبى»[(٢)].

واعلم أن من دأب الصالحين أن يدعو لإخوانهم، كما قال تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾** [(٣)].

* **سابعًا: أن تكون راضيًا عن الله (جل وعلا):**

قال ابن القيم (رحمه الله) فى الرضى: إنه يفتح للعبد باب السلامة، فيجعل قلبه نقيًّا من الغش والدغل والغل، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضى، وكلما كان العبد أشد رضى كان قلبه أسلم، فالخبث والدغل والغش قرين السخط،.... وسلامة القلب.... وبره ونصحه: قرين الرضى، وكذلك الحسد هو من ثمرات السخط وسلامة القلب منه من ثمرات الرضى»[(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٨٥).

(٣) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٤) مدارج السالكين (٢/٢١٦).

*** ثامنًا: حُسن الظن بإخوانك المسلمين:**

فإن حُسن ظنك بإخوانك يجعلك دائمًا نقى الصدر لا تحقد على أحدٍ ولا تحسد أحدًا ولا تحمل الكره والضغينة لأحدٍ.

كان الشافعى (رحمه الله) يقول: «من أراد أن يقضى الله له بالخير فليحسن الظن بالناس»[1]، وقال محمد بن سيرين: «إذا بلغك عن أخيك شىء فالتمس له عذرًا، فإن لم تجد له عذرًا فقل: لعل له عذرًا»[2].

وقال ابن مازن: «المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم»[3].

*** تاسعًا: الصدقة:**

من المعلوم أن الصدقة تطهر القلب وتزكى النفس وتؤلف بين القلوب... فالعبد إذا تصدق على أخيه المسلم فإن ذلك يزيد من رصيد المحبة بينهما.

وإذا كان النبى ﷺ قد قال: «داووا مرضاكم بالصدقة»[4] فإن صاحب القلب المريض يحتاج أن يعالج قلبه بالصدقة ليصبح قلبه سليمًا لا يحمل غلاً ولا غشًا ولا حسدًا لأحدٍ من المسلمين.

*** عاشرًا: صوم ثلاثة أيام من كل شهر:**

وفى ذلك يقول النبى ﷺ : «ألا أخبركم بما يذهب وحَرَ الصدر، صوم ثلاثة أيام من كل شهر»[5].

ووحر الصدر: هو الغل.

* * *

---

(١) بستان العارفين (٣٢).

(٢) التوبيخ والتنبيه (١٢٨).

(٣) آداب العشرة (٩).

(٤) حسن: رواه أبو الشيخ فى الثواب وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٥٨).

(٥) صحيح: رواه النسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٠٣٦).

وأخيرًا

أخي الحبيب: وها أنا أُذكرك بالقصة التي بدأت بها هذه الرسالة... وهي قصة الرجل الذي أخبر النبي ﷺ بأنه من أهل الجنة؛ لأنه لا يحمل في صدره غلاً ولا غشًا ولا حسدًا لأحدٍ من المسلمين.

أخي الحبيب: ألا تحب أن تكون مثل هذا الصحابي الجليل لتفوز بالجنان وبرضوان الرحيم الرحمن (جل وعلا)؟

إذن فما عليك إلا أن تتعهد قلبك وأن تنقيه من الغل والحسد وأن تحب لإخوانك المسلمين مثلما تحب لنفسك.

أسأل الله (جل وعلا) أن يُصلح فساد قلوبنا وأن يؤلف بين قلوبنا وأن يرزقنا صُحبة النبي ﷺ وأصحابه في الجنة... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)



هل تريد
بيتًا فى الجنة؟

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أما بعد:

ففى هذا الزمان الذى طغت فيه الماديات والشهوات وانصرف فيه كثيرٌ من الناس عن طاعة رب الأرض والسماوات وانشغل فيه كثيرٌ من الناس بتشييد القصور والعمارات ظنًا منهم أنهم مُخلَّدون فى تلك الحياة. وهيهات هيهات، فلقد قال الله تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة الأنبياء: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

فكان لابد لنا من وقـفة لنأخذ بقلوب الناس إلى جـنة الرحمن لتشـتاق تلك القلوب إلى مسـاكن وقصور الجنة فلا ينشغلوا بجـمع حُطام الدنيا، بل ويوحدوا الهمم فيـجعلوا مقصودهم تحقيق العـبودية لله (جل وعلا) وبذلك يربح كل مسلم دُنياه وآخرته.

وإن كان المسلم قـد حُرم من قصور الدنيـا وبيوتها الفانيـة الزائلة فليعلم يقينًا أن الله سيعوضه فى الجنة بقصـورٍ تجرى من تحتها الأنهار... جدرانها من الذهب والفضة وملاطها المسك وتربتها من الزعفران.

وتالله لو لم يكن فى الجنة إلا نعـمة الرضوان والنظر إلى وجـه الرحمن (جل وعلا) لكان ذلك كافيًا.

فهيا أيها الإخوة الكرام... وهيا أيتها الأخوات الفاضلات.

هيا لنعلم من خـلال تلك السطور كيف نحصل على قـصرٍ أو بيتٍ فى جنة الرحمن (جل وعلا).

وليكن لسان حالنا ومقالنا: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ (١).

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تلك الرسالة لنتعرف من خلالها على تلك الأعمال التى تجعلنا نحصل على قصرٍ فى جنة الرحمن.

فاللهم ارزقنا بيتًـا فى جنتك ننسى فيه متاعب الدنيـا واجمعنا فى جنتك إخوانًا على سُرِرٍ متقابلين.

سبـحانك اللهم وبحـمدك أشـهد أن لا إله إلا أنت أسـتغـفرك وأتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة التحريم: الآية: (١١).

نعمة البيت

إن نعمة البيت لا يشعر بها إلا من حُرم منها.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[1] .

والواجب على العبد أن يتعلق قلبه بالله فيشكره على كل نعمة أنعم بها عليه. . . فهناك من ينشغل بالنعمة عن شكر ربه، ولذا قال تعالى: **﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2]** .

فالبيت يستر العبد عن أعين الناس فيعبد ربه ويستريح فيه من عناء السعي على الأرزاق ويأوى إلى فراشه وزوجه ويحمى نفسه من الفتن بلزوم البيت فى زمن الفتن.

ولذا قال ﷺ لأحد الصحابة عندما سأله: ما النجاة؟ قال ﷺ : «أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك عل خطيئتك»[3] .

وقال تعالى موضحًا نعمة السكن فى زمن الفتن: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] .

فإذا اشتدت الفتن وكادت أن تعصف بالقلوب يصبح البيت هو حصنه الحصين، وذلك لأنه يجعل منه قلعة للعبادة.

---

(١) سورة النحل: الآية: (٨٠).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٢٤).

(٣) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٨٩٠).

(٤) سورة يونس: الآية: (٨٧).

هذا هو بيت المسلم الذى يعبد فيه ربه إلى أن يأذن الله له بالرحيل من هذه الدنيا لينعم فى بيته الذى أعدَّه له فى الجنة.

ثلاثة من السعادة وثلاثة من الشقاء

قال ﷺ: «ثلاثةٌ من السعادة، وثلاثةٌ من الشقاء، فمن السعادة: المرأةُ الصالحةُ؛ تراها فتُعجبك، وتغيبُ عنها فتأمنها على نفسها ومالك، والدابةُ تكونُ وطيئة؛ فتُلحقُك بأصحابك، والدارُ تكونُ واسعةً كثيرة المرافق. ومن الشقاء: المرأة تراها فتسوؤك، وتحملُ لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابةُ تكونُ قطوفًا، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تُلحقك بأصحابك، والدارُ تكونُ ضيقة قليلة المرافق»[1].

وفى رواية: قال ﷺ: «أربعٌ من السعادة: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسعُ، والجارُ الصالحُ، والمركبُ الهنىءُ. وأربعُ من الشقاء: المرأةُ السوءُ، والجارُ السوءُ، والمركبُ السوءُ، والمسكنُ الضيقُ»[2].

وكان ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لى ذنبى ووسِّع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى»[3].

فالدار الواسعة سببٌ من أسباب السعادة، وذلك لأن الزوج يستطيع أن يخصص مكانًا لأولاده ومكانًا لبناته ومكانًا له ولزوجه بعيدًا عن أعين الأولاد، وبذلك يضمن ستر العورات لأهل البيت جميعًا.. : وكذلك فالدار الواسعة تُدخل السعادة على الأطفال حيث يتمكنون من ممارسة الألعاب التى يحبونها.

* * *

---

(١) حسن: رواه الحاكم، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٠٤٧).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان، والحاكم ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٨٧).

(٣) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٦٥).

المساكن أربعة

إن الله (عز وجل) جعل المؤمن ينتقل من مسكنٍ ووطنٍ إلى مسكنٍ ووطنٍ آخر.. فجعل أول وطن للمؤمن فى بطن أمه وجعل آخر وطن له فى جنته ومستقر رحمته.

فبينما الإنسان فى بطن أمه يعيش فى وطنه هذا تسعة أشهر، ثم يأذن الله له بمفارقة هذا الوطن إلى تلك الحياة الدنيا فيستهل باكيًا من نخسة الشيطان - كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ حيث قال: **«ما من مولود يولد إلا نَخَسه الشيطان فيستهلُّ صارخًا من نخسة الشيطان إلا ابنُ مريم وأمه»**[1].

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيًا
والناس حولك يضحكون سرورًا
فاجهد لنفسك أن تكون إذا بكوا
فى يوم موتك ضاحكًا مسرورًا

فيخرج الإنسان من بطن أمه ليعيش فى وطنه الثانى وهو مسكنه فى هذه الحياة الدنيا.

والإنسان مفطورٌ على حُب المكان الذى يعيش فيه، فإذا انتقل إلى مكانٍ آخر استوحش فترة حتى يألف المكان الثانى.

ولذا قال تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّى أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [2].

وذلك لأن النبى ﷺ خرج من مكة وهى أحب البلاد إلى قلبه، وذلك لكثرة إيذاء كفار قريش... فاشتاق الحبيب ﷺ إلى مكة فأنزل الله تعالى قوله: **﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾** قال ابن عباس: أى لرادك إلى مكة.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٦) كتاب الفضائل.

(٢) سورة القصص: الآية: (٨٥).

ولذلك لما هاجر الصحابة رضي الله عنهم وضحّوا بمساكنهم ابتغاء وجه الله أراد الله أن يكافئهم، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١).

- وهكذا يتعلق قلب الإنسان بوطنه ومسكنه... فإذا مات العبد انتقل من مسكنه ووطنه الثاني إلى وطنه الثالث ألا وهو القبر.

عن عبد الله بن عُبيد بن عُمير قال: يجعل الله للقبر لسانًا ينطق به فيقول: ابن آدم، كيف نسيتني؟ أما علمت أني بيت الأكلة وبيت الدود، وبيت الوحدة، وبيت الوحشة؟(٢).

وعن ابن عائذ الأزدي عن غضيف بن الحارث قال: أتيت بيت المقدس أنا وعبد الله ابن عبيد بن عمير، قال: فجلسنا إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول: إن القبر يكلم العبد إذا وُضع فيه فيقول: يا ابن آدم، ما غرَّك بي؟! ألم تعلم أني بيت الوحدة؟ ألم تعلم أني بيت الظُّلمة؟ ألم تعلم أني بيت الحق؟ يا ابن آدم، ما غرك بي؟! لقد كنت تمشي حولي فدادًا، قال ابن عائذ: قلت لغضيف: ما الفداد يا أبا إسماعيل؟ قال: كبعض مشيتك يا ابن أخي. قال غضيف: فقال صاحبي - وكان أكبر مني - لعبد الله بن عمرو: فإن كان مؤمنًا فماذا له؟ قال: يُوسَّع له في قبره ويُجعل منزله أخضر، ويُعرج بروحه إلى السماء(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصلاه فرأى ناسًا يكْتشِرون - أي يضحكون - فقال: **«أما أنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى** - يعني الموت - **فأكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت.**

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٠٠).

(٢) خبر صحيح: أخرجه هناد (٣٤١) في الزهد - وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧١).

(٣) خبر صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ١٨٨) وابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١٤٧).

فإنه لم يأتِ على القبر يوم إلا تكلم فيه. فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود.....»[١].

وبعد أن يأذن الله بقيام الساعة يخرج الناس من قبورهم حُفاةً عُراةً غُرلاً للوقوف فى أرض المحشر على بساط العدل الإلهى ليقضى بين الخلائق، وليُدخل ويُسكن كل واحدٍ فى مسكنه ومثواه الأخير إما فى الجنة وإما فى النار (أسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة).

السكن النفسى

إن السكن النفسى للمؤمن لا يقل أبداً فى أهميته عن المسكن الذى يعيش فيه بجسده، بل قد يكون احتياجه إليه أكثر من احتياجه لهذا المسكن.

ويتمثل السكن النفسى والروحى للمؤمن فى معرفة الله ومحبته والقيام بواجبه، وذلك من خلال امتثال أمره واجتناب نهيه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٢].

وقال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً»[٣].

وقال ﷺ: «ثلاثٌ مَن كُن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى فى النار»[٤].

أما عن الكافرين فقد قال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا

---

(١) ضعيف: رواه الترمذى، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (١٢٣١).

(٢) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٤) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢١) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.

تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ (١) .

والسكن النفسى الثانى للمؤمن يتمثل فى حُبه لإخوانه المؤمنين ولزوجته المؤمنة.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢) .

والسكن النفسى الثالث للمؤمن يتمثل فى إيمانه بقضاء الله وقدره.

قال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكَر فكان خيراً له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»(٣) .

فهو يعلم يقينًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه فسكنت نفسه واطمأنت ورضيت بقضاء الله.

والسكن النفسى الرابع للمؤمن يتمثل فى علمه بأن الله لن يضيِّع عمله الصالح، بل سيكافئه عليه ويكرمه فى جنته ودار كرامته.

ولذلك تجد أن أجمل لحظات يمر بها المؤمن هى تلك اللحظات التى يقضيها فى مناجاته لربه فى الثلث الأخير من الليل.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٤) .

بل جعل الله ذلك كله من رحمته بالعباد... فقال تعالى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**(٥) .

---

(١) سورة محمد: الآية: (١٢).

(٢) سورة الروم: الآية: (٢١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) سورة يونس: الآية: (٦٧).

(٥) سورة القصص: الآيتان: (٧٢، ٧٣).

بل إن الله تعالى يجعل السكينة لا تنزل إلا فى قلوب المؤمنين.

فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١)، أى هو الذى جعل السكون والطمأنينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا يقينًا مع يقينهم وتصديقًا مع تصديقهم برسوخ العقيدة فى القلوب والتوكل على علام الغيوب.

بل ثبت أن النبى ﷺ قال: «وما اجتمع قومٌ فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة...» (٢).

إن صلاتك سكنٌ لهم

بل قال تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ (٣).

أى ادع لهم - للمؤمنين - بالمغفرة فإن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم... قال ابن عباس: ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أى رحمة لهم.

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: كانت هذه بعض صور السكن النفسى للعبد المؤمن.

فنسأل الله أن يجعل نفوسنا وقلوبنا تسكن بطاعته ومحبته ومجاورته فى جنته.

الظلم و زوال النعمة

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٤).

---

(١) سورة الفتح: الآية: (٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) سورة التوبة: الآية: (١٠٣).

(٤) سورة لقمان: الآية: (١٣).

فالشرك بالله هو أظلم الظلم.

ولذلك فإن الله تعالى ضرب لنا الأمثلة التى تحكى لنا كيف أن الله أنعم على الأمم من قبلنا بالمال الوفير والحدائق الجميلة والمساكن فلما كفروا بالله (جل وعلا) عاقبهم بزوال النعمة وحلول النقمة.

قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ (٤).

فخسفنا به وبداره الأرض

وهذا هو قارون الذى أنعم الله عليه بثروة كبيرة فلم يشكر ربه، بل ملأ الأرض بغيًا وظلمًا وتكبرًا فعاقبه الله بأن خسف به وبداره الأرض.

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ

---

(١) سورة القصص: الآية: (٥٨).

(٢) سورة السجدة: الآية: (٢٦).

(٣) سورة العنكبوت: الآية: (٣٨).

(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٤٥).

علْمٍ عندى أَوَ لَمْ يعلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ من قَبْله منَ الْقُرُون مَنْ هُوَ أَشَدُّ منْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِه فِي زِينَتِه قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾ (١).

فكانت النتيجة: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢).

ولذلك قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣).

لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴾ (٤).

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ﴾ اللام موطئة للقسم، أى والله لقد كان لقوم سبأ فى موضع سُكناهم باليمن آية عظيمة دالة على الله جل وعلا وعلى قدرته على مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فإن قوم سبأ لما كفروا نعمة الله خرَّب الله مُلكهم، وشتَّت شملهم، ومزَّقهم شر ممزَّق،

---

(١) سورة القصص: الآيات: (٧٦، ٨٠).

(٢) سورة القصص: الآيتان: (٨١، ٨٢).

(٣) سورة القصص: الآية: (٨٣).

(٤) سورة سبأ: الآيات: (١٥ : ١٧).

وجعلهم عبرةً لمن يعتبر، ثم بيَّن تعالى وجه تلك النعمة فقال: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أى: حديقتان عظيمتان فيهما من كل أنواع الفواكه والثمار عن يمين الوادى بساتين ناضرة، وعن شماله كذلك.

قال قتادة: كانت بساتينهم ذات أشجار وثمار، تسرُّ الناس بظلالها، وكانت المرأة تمشى تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل، فيتساقط من الأشجار ما يملؤه من غير كلفةٍ ولا قطاف لكثرته ونضجه(١).

وقال البيضاوى: ولم يُرد بستانين اثنين فحسب، بل أراد جماعتين من البساتين، جماعة عن يمين بلدهم، وجماعة عن شماله... سُميت كل جماعة منها جنة لكونها فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة(٢).

﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أى: وقلنا لهم على لسان الرسل: كلوا من فضل الله وإنعامه واشكروا ربكم على هذه النعم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، أى هذه بلدتكم التى تسكنونها بلدةٌ طيبة، كريمة التربة، حسنة الهواء، كثيرة الخيرات، وربكم الذى رزقكم وأمركم بشكره ربٌّ غفورٌ لمن شكره ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ أى: فأعرضوا عن طاعة الله وشكره، واتباع أوامر رسله، فأرسلنا عليهم السيل المدمر المخرب الذى لا يُطاق لشدته وكثرته، فغرَّق بساتينهم ودورهم.

قال الطبرى: وحين أعرضوا عن تصديق الرسل، ثقب ذلك السد الذى كان يحبس عنهم السيول، ثم فاض الماء على جناتهم فغرَّقها، وخرَّب أرضهم وديارهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ أى: وأبدلناهم بتلك البساتين الغنَّاء، بساتين قاحلة جرداء، ذات أُكل مرٍّ بشع ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ وشيء من الأشجار التى لا ينتفع بثمرها كشجر الأثل والسِّدر. قال الرازى: أرسل الله عليهم سيلاً غرق أموالهم، وخرَّب

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٦).

(٢) حاشية زادة على البيضاوى (٣/ ٨٥).

دورهم، . . والخمطُ كلُّ شجرة لها شوك وثمرتها مُرة، والأثلُ نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة إلا فى بعض الأوقات، يكون عليه شيء كالعفص أو أصغر منه فى طعمه وطبعه، والسدر معروف وقال فيه: ﴿قَلِيلٍ﴾ لأنه كان أحسن أشجارهم، وقد بيَّن تعالى بالآية طريقة الخراب، وذلك لأن البساتين التى فيها الناس تكون فيها الفواكه الطيبة بسبب العمارة، فإذا تُركت سنين تصبح كالغيضة والأجمة تلتفُّ الأشجار بعضها ببعض وتنبتُ المفسدات فيها، فتقل الثمار وتكثر الأشجار[1].

قال المفسرون: وتسمية البدل «جنتين» فيه ضربٌ من التهكم؛ لأن الأثل والسدر وما كان فيه خمط لا يسمى جنة؛ لأنها أشجار لا يكاد ينتفع بها، وإنما جاء التعبير على سبيل المشاكلة ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾، أى ذلك الجزاء الفظيع الذى عاقبناهم به إنما كان بسبب كفرهم ﴿وَهَلْ نُجَازِى إِلاَّ الْكَفُورَ﴾؟ أى: وما نجازى بمثل هذا الجزاء الشديد إلا الكافر المبالغ فى كفره[2].

جنات عدن مُفتحةً لهم الأبواب

ومن صفات أبواب الجنة أنها مفتوحة على الدوام. . لماذا؟!

لو طُلب إليك أن تمكث فى أفخم قصر فى العالم وأهنى نعيم يتصوره عقلٌ بشرى لمدة شهر كامل، ثم أردت المغادرة لقضاء حاجة من حوائجك فوجدت الباب مغلقًا، فماذا يكون حالك؟! لابد أنك تستشعر الضيق، وأنك محبوس ولو كان هذا الحبس فى الجنة، لكنه فى النهاية حَبْسٌ!! فكيف إذا استمر هذا الحبس أبدا؟! وفى أمثال العوام: «يغور السجن ولو فى جنينة».

ولأن الجنة مخلوقة بحيث توصل إلى المرء كل ما يُنعمه وأقصى ما

---

(١) القرطبى (١٤/٢٨٨).

(٢) صفوة التفاسير (٢/ ٥٥٠-٥٥١) بتصرف.

يتخيله بل وفوق ذلك، ولأنها مصنوعة علـى عين الله ورعايته، فقد راعت أدق التفاصيل مثل هذه وغيرها، لذا جاء في وصفها: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾(١)(٢).

أبواب الجنة الثمانية.. ومضاعفة الرزق للمؤمن

قال الإمام ابن القيم: فرِّغ خاطرك للهمِّ بما أُمرت به ولا تشغله بما ضُمن لك؛ فإن الرزق والأجل قـرينان مضمـونان فما دام الأجل باقيًـا كان الرزق آتيًا. وإذا سَدَّ عليك بحكمـته طريقًا من طرقه فتح لك برحمـته طريقًا أنفع لك منه.

فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم، من طريق واحد وهو السرة، فلمـا خـرج من بطن الأم، وانقطع ذلك الطريق، فـتح له طريقـين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيب وألذ من الأول لبنًا خالصًا سائغًا. فإذا تمت مدة الرضاع، وانقطع الطريقان بالفطام، فتح طُرقًـا أربعًا أكـمل منها: طعـامان وشرابان، فالطعامان مـن الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يضاف إليهمـا من المنافع والملاذ. فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربع. لكنه سبـحانه فتـح له - إن كان سعـيدًا - طُرقًا ثمـانية، وهي أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

فهكذا الرب سـبحانه، لا يمنع عبده المؤمن شـيئًا من الدنيا، إلا ويؤتيه أفـضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغيـر المؤمن، فـإنه يمنعـه الحظ الأدنى الخسـيس ولا يرضى له به ليعـطيه الحظ الأعلى النفـيس... والعبـد لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه، لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وبين ما ذُخر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كـان دنيًا، وبقلة

(١) سورة ص: الآية: (٥٠).

(٢) ليلى بين الجنة والنار (ص:٥٩).

الرغبة فى الآجل وإن كان عليًا. ولو أنصف العبدُ ربه، وأنّى له بذلك؟! لعَلِمَ أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليُعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليُحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة إليه. فـ ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[١] ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا﴾[٢] والله المستعان[٣].

«الوسيلة» أعلى منزلة فى الجنة للنبى ﷺ

والوسيلة هى أعلى منزلة فى جنة الرحمن (جل وعلا) وهى من نصيب حبيب الرحمن محمد بن عبد الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾[٤].

قال مجاهد وغيره: منهم من كلم الله (موسى)، ورفع بعضهم درجات، هو محمد ﷺ.

وفى حديث الإسراء المتفق على صحته: أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: «**رب لم أظن أن ترفع علىَّ أحدًا**»، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدرة المنتهى[٥].

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا**

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٩٩).

(٣) الفوائد (ص: ٨٧-٨٨).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٥٣).

(٥) **متفق عليه:** رواه البخارى (٣٢٠٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٦٤) كتاب الإيمان.

عليَّ، فإنه مَن صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلَّت له الشفاعة»[١].

ما أعده الله للمؤمنين فى الجنة

عن أبى هريرة ﵁، عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى، أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر»[٢].

قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٣].

فيا من تضحى بعمرك ويا من تضحى بدينك من أجل الحصول على متاعٍ زائل... أما علمت أن الله (جل وعلا) هو الذى أعد لك الجنة وغرس كرامتها بيديه؟!

فلو جمعت الأموال الطائلة وسكنت القصور الفاخرة على ضفاف البحار والأنهار وأنت تعلم أن الدنيا إلى زوال فكيف تشعر بالراحة والطمأنينة؟

أما فى جنة الرحمن فالقصور تجرى من تحتها الأنهار، ونحن لا نستطيع بحال أن نقارن بين ما صنعه الإنسان وبين ما أعدَّه الرحيم الرحمن (جل وعلا).. ولكن حسبُك أن نعيم الجنة لا يزول لأن الله كتب لك فيها الخلود - فاحذر يا أخى أن تضحى بآخرتك من أجل حطامٍ زائل.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٣) سورة السجدة: الآية: (١٧).

ستنسى كل شقاء مع أول غمسة فى الجنة

ويا من حُرمت من نعمة البيت الهادئ الجميل، بل ولم تشعر لحظة واحدة فى حياتك بنعمة الراحة والاستقرار.. اعلم أنك ستنسى كل شقاء وعناء مع أول غمسة فى الجنة.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصَبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم؟ هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مَرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مَرَّ بى بؤسٌ قَطّ، ولا رأيت شدة قط»**(١).

قصر النبى ﷺ فى جنة عدن

ولابد أن نعلم أن للنبى ﷺ قصورًا كثيرة فى الجنة، ومن بينها قصره فى (جنة عدن).

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لنا: **«أتانى الليلة آتيان فابتعثانى، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجالٌ شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطرٌ كأقبح ما أنت راء قالا لهم: اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة. قالا لى: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك. قالا: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن، وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، تجاوز الله عنهم»**(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٦٧٤) كتاب تفسير القرآن.

قصرٌ مثل الربابة البيضاء

وفى رواية أخرى فى البخارى:

قال ﷺ : «... فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أرَ روضةً قطُّ أعظم منها ولا أحسن... قال: قالا لى: ارقَ فيها قال: فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففُتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجالٌ شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطرٌ كأقبح ما أنت راء، قال: قالا لهم: اذهبوا فقعُوا فى ذلك النهر. قال: وإذاً نهرٌ مُعترضٌ يجرى كأنّ ماءهُ المحضُ فى البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوءُ عنهم فصاروا فى أحسن صورة قال: قالا لى: هذه جنة عدن وهذاك منزلك قال: فسما بصرى صُعُدًا، فإذا قصرٌ مثلُ الربابة البيضاء. قال: قالا لى: هذاك منزلك قال: قلتُ لهما: بارك الله فيكما ذرانى فأدخلهُ. قال: قالا: أما الآن فلا وأنت داخله...»(١). أى: ليس الآن ولكن ستدخله بعد ذلك عندما تعيش فى الجنة.

قصرٌ على نهر الكوثر

وجاء فى رواية أخرى فى البخارى أن للنبى ﷺ قصراً على نهر الكوثر.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال - فى جزء من حديث -: «..... ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفُراتُ عُنصرُهُما ثُم مضى به فى السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصرٌ من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فإذا هو مسكٌ أذفرُ قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثرُ الذى خبأ لك ربك....»(٢).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٨١) كتاب الرقاق.

منزل مثل السحاب لسيد الأحباب ﷺ

وفى الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه عن سمرة ابن جندب قال: كان النبى ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟» قال: فإن رأى أحدٌ قَصَّها، فيقول ما شاء الله. فسألنا يومًا فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» قلنا: لا. قال: «لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالسٌ ورجلٌ قائم بيده كُلُّوب من حديد..... - إلى أن قال -: فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخٌ وصبيان، وإذا رجلٌ قريب من الشجرة بين يديه نارٌ يوقدها فصعدا بى الشجرة وأدخلانى دارًا لم أرَ قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجانى منها فصعدا بى الشجرة فأدخلانى دارًا أحسن وأفضل، فيها شيوخ وشباب. قلت: طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت. قالا: نعم.» - إلى أن قالا -: «والدار الأولى التى دخلت دار عامة المؤمنين. وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل. فارفع رأسك. فرفعت رأسى، فإذا فوقى مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك. قلت: دعانى أدخل منزلى. قالا: إنه بقى لك عُمُرٌ لم تستكمله، فلو استكملت أُتيت منزلك» (١).

بيت فى الجنة من قصب لخديجة رضي الله عنها

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشِّرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صَخَب فيه ولا نَصَب» (٢).

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٨٦) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

والقصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف.

قال السهيلى: النكتة فى قوله: «من قصب» ولم يقل: من لؤلؤ؛ أن فى لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها، ولذا وقعت هذه المناسبة فى جميع ألفاظ هذا الحديث[١]. اهـ.

وفى القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه، وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها، إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها.

قصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «رأيتُنى دخلتُ الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة وسمعت خشفةً، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيتُ قصراً بفنائه جاريةٌ فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردتُ أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك. فقال عمر: بأبى وأمى يا رسول الله أعليك أغار»[٢].

أهل الجنة هم الملوك

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكًا كَبِيراً﴾[٣]. عن مجاهد «ملكًا كبيرًا» قال: عظيمًا.

وعن ابن عباس أنه ذكر مراتب أهل الجنة ثم تلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكًا كَبِيراً﴾.

وقال ابن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمان يقول فى قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيراً﴾. قال الملك الكبير، أن المَلَك (من

(١) فتح البارى (٧/ ١٧١-١٧٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٧٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) سورة الإنسان: الآية: (٢٠).

الملائكة) يأتيه بالتحفة واللطف، فلا يصل إليه حتى يُستأذن له عليه، فيقول للحاجب: استأذن على ولى الله، فإنى لست أصل إليه، فيُعلم ذلك الحاجب حاجبًا آخر وحاجبًا بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالمُلك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربه بلا إذن.

وعن **أبى هريرة** قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طُرفة ليست مع صاحبه».

وعن **أبى هلال** قال: حدثنا حميد بن هلال: قال: «ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه».

وعن **أبى عبد الرحمن الحبلى** قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ».

وعن **أبى عبد الرحمن المغافرى** قال: «إنه ليُصَفّ للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه، حتى إذا مَرَّ مشوا وراءه»(١).

لك قوة مائة رجل إذا دخلت الجنة

قال ﷺ: «إنَّ الرجل من أهل الجنة، ليُعطَى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والشهوة والجماع، حاجةُ أحدهم عرقٌ يفيضُ من جلده، فإذا بطنُهُ قد ضمر»(٢).

فيا من عانيت من ضعف الصحة وكثرة الأمراض... اعلم أن الله (جل وعلا) سيعطيك فى الجنة قوة مائة رجلٍ فى الطعام والشُرب والشهوة

(١) حادى الأرواح (ص: ٢٥٧-٢٥٨).

(٢) أخرجه الطبرانى (٥/ ١٧٨)، وأحمد (٤/ ٣٧١)، وابن أبى شيبة (٧/ ٣٣)، والدارمى (٢/ ٤٣١)، والطبرانى فى الأوسط (٨/ ٣٦١). وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢٧).

والجماع . . . وأنت مع ذلك لا يصيبك مرض ولا ألم ولا مشقة ولا عناء.

فاللهم إنا نسألك من فضلك العظيم.

هذه خيمتك فى الجنة

قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (١).

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى، عن النبى ﷺ: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا» (٢).

وفى لفظ لمسلم: «فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً فى كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين. يطوف عليهم المؤمن؟».

وعن عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ قال: دُرٌّ مجوف.

وعن أبي الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابًا كلها من درة».

وأما السُّرر فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ (٥).

فأخبر تعالى عن سُررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً عن بعض، وأخبر أنها موضونة، والوضن فى اللغة: النضيد والنسيج المضاعف.

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٧٢).

(٢) صحيح رواه مسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) سورة الطور: الآية: (٢٠).

(٤) سورة الواقعة: الآيات: (١٣ : ١٦).

(٥) سورة الغاشية: الآية: (١٣).

قـال عطاء عن ابن عبـاس: قال سـرر من ذهب مكللة بالزبرجـد والدُّر والياقوت. والسرير مثل ما بين مكة وأيلة.

وقـال الكلبى: طول السـرير فى السـماء مـائة ذراع، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه(١).

طوبى لك منزل الملوك

عن أبى سـعيد الخـدرى رضي الله عنه أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قال: «خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنةً من ذهب، ولبنةً من فضة، وملاطها المسك، وقال لها: تكلَّمى، فقالت. قد أفلح المؤمنون: فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك»(٢).

من يكون فى الفردوس الأعلى؟

قـال تعـالى عن وصف هؤلاء الذيـن يرثون الفـردوس الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن فى الجنة مائة درجـة أعدها الله للمجاهدين فى سـبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجَّر أنهار الجنة»(٤).

---

(١) مختصر حادى الأرواح / للمصنف (ص: ١١٠ : ١١٢).

(٢) صحيح: رواه الترمـذى (٢٥٢٥) كتـاب صفة الجنـة، وصححـه العلامـة الألبانى رحمـه الله فى الصحيحة (٢٦٦٢).

(٣) سورة المؤمنون: الآيات: (١: ١١).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير.

من يريد المساكن الطيبة فى جنات عدن؟

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أى: وعدهم على إيمانهم بجنات وارفة الظلال، تجرى من تحت أشجارها الأنهار ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى: لابثين فيها أبداً، لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ أى: ومنازل يطيب فيها العيش فى جنات الخلد والإقامة.

قال الحسن: هى قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد(٢) ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أى: وشىء من رضوان الله أكبر من ذلك كله.

وفى الحديث يقول الله تعالى لأهل الجنة: «يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خلقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً» (٣).

من كان عبداً للرحمن...
فاز بالغرفة فى أعلى الجنان

قال تعالى عن صفات عباد الرحمن: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٢) الكشاف للزمخشرى (٢/ ٢٨٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

(٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (١) .

فمن اتصف بصفات عباد الرحمن كان جزاؤه فى الآخرة كما قال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (٢) .

قال الإمام القرطبى: وصف تعالى «عباد الرحمن» بإحدى عشرة خصلة هى أوصافهم الحميدة من التخلِّى، والتحلى وهى «التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والبعد عن الشرك، والنزاهة عن الزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله» ثم بيَّن جزاءهم الكريم وهو نيل الغرفة أى الدرجة الرفيعة وهى أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا.

* * *

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٦٣: ٧٤).

(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (٧٥: ٧٦).

الغرف العُلى من الجنة لهؤلاء

عن نعيم بن همار أن رجلاً سأل النبى ﷺ، أىُّ الشهداء أفضل؟ قال: «الذين يقاتلون فى الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك ينطلقون فى الغرف العلى من الجنة. ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبدٍ فى الدنيا فلا حساب عليه»(١).

الفائزون بالغرف فى الجنة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٢).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى: جمعوا بين إخلاص العقيدة وإخلاص العمل ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ أى لنُنزلنَّهم أعالى الجنة ولنُسكننهم منازل رفيعة فيها ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أى: تجرى من تحت أشجارها وقصورها أنهار الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أى: ماكثين فيها إلى غير نهاية لا يخرجون منها أبداً ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ أى نعمت تلك المساكن العالية فى جنات النعيم أجراً للعاملين ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣) هذا بيانٌ للعاملين أى هم الذين صبروا على تحمُّل المشاق من الهجرة والأذى فى سبيل الله، وعلى ربهم يعتمدون فى جميع أمورهم.

قال فى البحر: وهذان جماع الخير كله: الصبر، وتفويض الأمر إليه تعالى(٤).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٧)، والطبرانى فى الأوسط (٣/ ٢٨٦)، قال الهيثمى (٥/ ٢٩٢): رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال أحمد وأبى يعلى ثقات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٠٧).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٥٨).

(٣) سورة العنكبوت: الآية: (٥٩).

(٤) البحر (٧/ ١٥٧).

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾(٢) .

وعن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُّرِّىَّ الغابر فى الأفق، من المشرق أو المغرب. لتفاضُل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى والذى نفسى بيده، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين»(٣) .

الشهداء... وخير منزل

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُؤتَى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم! كيف وجدتَ منزلك؟ فيقول: أى ربِّ! خير منزل، فيقول: سَلْ وتمنَّ، فيقول: يا رب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردَّنى إلى الدنيا، فأُقتل فى سبيلك عشر مرار، لما يرى من فضل الشهادة، ويؤتَى بالرجل من أهل النار، فيقول له: يا ابن آدم! كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! شرَّ منزل، فيقول له: أتفتدى منه بطلاع الأرض ذهبًا؟ فيقول: أى ربِّ نعم، فيقول: كَذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيُردُّ إلى النار»(٤) .

* * *

(١) سورة الزمر: الآية: (٢٠).

(٢) سورة سبأ: الآية: (٣٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٥٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣١) كتاب الجنة.

(٤) صحيح: رواه النسائى (٣١٢٦٠) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٩٦).

بيت فى الجنة لمن آمن بالنبى ﷺ وهاجر وجاهد فى سبيل الله

قال ﷺ: «أنا زعيمٌ لمن آمنَ بى وأسلم وهاجرَ ببيت فى ربض الجنة، وبيت فى وسط الجنة، وبيت فى أعلى غُرف الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بى وأسلمَ وجاهد فى سبيل الله ببيت فى ربض الجنة، وبيت فى وسط الجنة، وبيت فى أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبًا، ولا من الشرِّ مهربًا، ويموتُ حيث شاء أن يموت»[1].

بيت فى أعلى الجنة لصاحب الخلق الحسن

عن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًّا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسُن خُلُقُه»[2].

والزعيم: الضامن.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلىَّ، وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة، أحاسنَكُم أخلاقًا. وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمُتشدقون والمُتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارونَ والمُتشدقون، فما المُتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[3].

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال: «ما من شىء أثقلُ فى ميزان

---

(١) صحيح: رواه النسائى (٣١٣٣) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٥).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٠١).

العبد المؤمن يوم القيامة من حُسن الخُلُق. وإنَّ الله يُبغضُ الفاحش البذىَّ»(١).

«البذىُّ»: هو الذى يتكلَّم بالفُحش، ورديء الكلام.

وعن أبى هريرة ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخلُ الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحُسنُ الخُلُق» وسُئل عن أكثر ما يُدخلُ الناس النار فقال: «الفمُ والفرج»(٢).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خُلقًا، وخياركُم خياركُم لنسائهم»(٣).

وعن عائشة ﷺ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ المؤمن ليُدركُ بحُسن خُلُقه درجة الصائم القائم»(٤).

الحب فى الله ... وغرف الجنة

قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ (٧).

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٠٠٢) كتاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٢٦).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤٢٤٦) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٩٧٧).

(٣) حسن: رواه الترمذى (١١٦٢) كتاب الرضاع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٣٢).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٣٢).

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

(٦) سورة الحجرات: الآية: (١٠).

(٧) سورة الحشر: الآية: (١٠).

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ : «إن المتحابين لترى غُرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى، فيقال: من هؤلاء فيقال: المتحابون فى الله عز وجل»[١] .

وقال ﷺ : «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»[٢] .

وقال ﷺ : «قال الله عز وجل: المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء»[٣] .

بيت فى الجنة لمن ترك المراء والكذب

قال ﷺ : «أنا زعيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًّا، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكَذب وإن كان مازحًا، وبيت فى أعلى الجنة لمن حَسُن خُلقه»[٤] .

بيت فى الجنة... لمن فوَّض أمره لله

عن البراء بن عازب، عن النبى ﷺ قال: «إذا اضطجع الرجل فتوسَّد يمينه ثم قال: اللهم أسلمت نفسى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، ووجهت وجهى إليك، رهبة منك ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، وبنبيك الذى أرسلت، ومات على ذلك بُنى له بيت فى الجنة، أو بوئ له بيت فى الجنة»[٥] .

---

(١) أخرجه أحمد فى «المسند» (٣/ ٨٧)، وأورده الحافظ الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ٤٢٢)، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٠) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣١٢).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء.

غرف فى الجنة... لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام

عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ: «إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها»، قال أبو مالك الأشعرى: لمن هى يا رسول الله؟ قال: «أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»(١).

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى، عن النبى ﷺ قال: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا»(٢).

بيت فى الجنة... لمن بنى مسجدًا لله

قال ﷺ: «من بنى مسجدًا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة»(٣).

وقال ﷺ: «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاةٍ أو أصغر بنى الله له بيتًا فى الجنة»(٤).

فيا من امتن الله عليك بنعمة المال لا تبخل وابنِ لله مسجدًا لتنال الأجر والمثوبة فى الدنيا والآخرة، وذلك بأن الله يجعل صلاة من يصلى (فى هذا المسجد) فى ميزان حسناتك بل ويكرمك بأن يبنى لك بيتًا فى الجنة... ألا تريد بيتًا فى الجنة؟!.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٨٠) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٠) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣٣) كتاب الصيام.

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٧٣٨) كتاب المساجد والجماعات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٢٨).

بيت فى الجنة.... باثنتى عشرة ركعة كل يوم

قال ﷺ : «من ثابر على اثنتى عشرة ركعة من السُّنة بنى الله له بيتًا فى الجنة: أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر»(١).

وفى رواية قال ﷺ : «من صلى فى يومٍ وليلةٍ ثنتى عشرة ركعةً بُنى له بيتٌ فى الجنة....»(٢).

صلاة الضحى وبيت فى الجنة

قال ﷺ : «يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة، ويجزى من ذلك ركعتان تركعهما من الضحى»(٣).

وقال ﷺ : «من صلَّى الضحى أربعًا وقبل الأولى أربعًا بُنى له بيت فى الجنة»(٤).

بيت فى الجنة... لمن سدَّ فرجة فى الصف

قال ﷺ : «من سدَّ فُرجةً بنى الله له بيتًا فى الجنة ورفعه بها درجةً»(٥).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٤١٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٧٩٤) كتاب قيام الليل، وابن ماجه (١١٤٠) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٨٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٤١٥) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٦٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) حسن: الطبرانى فى «الأوسط» (٥٩ / ١ من ترتيبه)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٤٠).

(٥) أخرجه المحاملى فى «الأمالى» (ق ٣٦ / ٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٨٩٢).

منزل فى الجنة... لمن عاد مريضًا

قال ﷺ: «من عاد مريضًا أو زار أخًا له فى الله ناداه منادٍ أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»[١] .

وقال ﷺ: «إن المسلم إذا عاد أخاه لم يزل فى خُرفة الجنة حتى يرجع»[٢] .

بيت فى الجنة بدعاء السوق

قال ﷺ: «من دخل السُوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يُحيى ويميت، وهو حىٌ لا يموت بيده الخيرُ، وهو على كل شىء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتًا فى الجنة»[٣] .

وذلك لأن الغالب على أهل الأسواق أنهم فى غفلة شديدة عن ذكر الله.. بل ومنهم من يحلف بالله كاذبًا من أجل أن يبيع سلعته. فإذا جاء المسلم ودخل السوق وذكر الله (جل وعلا) بين أهل الغفلة فإن الله يُجزل له الأجر والمثوبة.

وهذا كله كشأن المؤمن فى أيام الفتن والهرج عندما يتمسك بدينه فإن الله يعطيه أجر خمسين شهيدًا - كما جاء فى الحديث الصحيح -.

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٠٨) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (١٤٤٣) كتاب ما جاء فى الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٨٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٨) كتاب البر والصلة.

(٣) حسن: رواه الترمذى (٣٤٢٨) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٢٢٣٥) كتاب التجارات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٣١).

بيت الحمد فى جنة الرحمن (جل وعلا)

عن أبى موسى ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ماتَ ولدُ العبد قال اللهُ تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدى؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقولُ: ماذا قال عبدى؟ فيقولون: حَمدك واسترجع، فيقولُ اللهُ تعالى: ابنُوا لعبدى بيتًا فى الجنة، وسمُّوه بيتَ الحمد»[1].

حَمدك واسترجع: أى قال: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد قال تعالى عن هذا الصنف الكريم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[2].

وهذه والله ثمرة من ثمرات الرضا بقضاء الله (جل وعلا).

رضوان لا سخط بعده أبدًا

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال النبى ﷺ: «إن الله يقولُ لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخيرُ فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأىُّ شىء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[3].

وتلك والله أعظم نعمة يُكرم الله بها عباده فى الجنة، وذلك بأن يرضى

(١) حسن: رواه الترمذى (١٠٢١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥).

(٢) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥١٨) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

عنهم ويرزقهم نعمة النظر إلى وجهه الكريم.

فاللـهم ارضَ عنا وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الـكريم فى غيـر ضراء مُضرة ولا فتنة مُضلة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



لهيب النار
ورياح الجنة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [(١)].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [(٢)].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [(٣)].

أما بعد :

فإن المؤمن الذى أحيا الله قلبه بالإيمان، وملأه باليقين يحرص دائمًا على مرضاة الله فى كل عملٍ يعمله، بل فى كل سكناته وحركاته، وذلك لأنه يرى الجنة والنار بعينى قلبه وهو على يقين من أنه مسافر إلى ربه يوشك أن يلقاه.. ولابد للمسافر من يومٍ يصل فيه إلى نهاية رحلته ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴾ [(٤)] ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾ [(٥)] فهو يطير

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة الانشقاق: الآية: (٦)

(٥) سورة النجم: الآية: (٤٢)

فى طريقه إلى الله بجناحى الخوف والرجاء... وإن أعظم ما يصلح قلب المؤمن إيمانه بالله واليوم الآخر.... فذكر اليوم الآخر يحدو النفوس إلى مجاورة الملك القدوس.

ومن هنا جاءت الحاجة الماسة لمعرفة الأسباب التى بها ندخل الجنة، وكذلك الأسباب التى تُدخل العبد النار... فاجتهدت قدر استطاعتى لجمع تلك الأسباب، وأنا لا أدّعى أننى قد جمعت كل الأسباب، ولكنى اجتهدت فى جمع أهم الأسباب.

والإنسان فى أشد الحاجة إلى الترغيب والترهيب لينصلح قلبه وجوارحه، وتنقاد إلى طاعة الله - جل وعلا - ولذلك فالعاقل هو الذى يُلزم نفسه بتلك الطاعة التى تجعله يعيش فى جنة الدنيا قبل جنة الآخرة.. تلك الجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.. ومن ثم ينأى بها عن النار التى أُوقد عليها ألف عامٍ حتى احمرّت وألف عامٍ حتى ابيضّت وألف عامٍ حتى اسودّت فهى الآن سوداء قاتمة.

والأمل فى الله كبير أن ينفع بتلك الرسالة وأن يجعلها حاديًا لنا؛ لنعمل بأسباب دخول الجنة، ونبتعد عن أسباب دخول النار حتى يجمعنا الله فى جنته إخوانًا على سُرِرٍ متقابلين.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

أسباب دخول الجنة

(١) (٢) الإيمان بالله وكثرة العمل الصالح:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ (٢)، والآيات في ذلك كثيرة.

(٣) طاعة الرسول ﷺ:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٣).

وقال ﷺ: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى». قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»(٤).

(٤) الخوف من الله:

قال ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»(٥).

وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (٦).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٨٢).

(٢) سورة الكهف: الآية: (١٠٧).

(٣) سورة الفتح: الآية: (١٧).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام.

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٣٣٥).

(٦) سورة الرحمن: الآية: (٤٦).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (١).

(٥) كثرة السجود لله تعالى:

فعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته. فقال لي: «سَلْ». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة فقال: «أَوَ غير ذلك»... قلت: هو ذاك... قال: «فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود» (٢).

(٦) أن تدركك رحمة الله تعالى ومغفرته:

قال ﷺ: «سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أنه لن يُدخل أحدكم الجنة عمله..» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة» (٣).

(٧) الجهاد في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٥).

---

(١) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠ ، ٤١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٦٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة.

(٤) سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٥) سورة الصف: الآيات: (١٠-١٢).

وقال ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»[١].

وقال ﷺ: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجَّر أنهار الجنة»[٢].

وقال ﷺ: «عليكم بالجهاد فى سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يُذهب الله به الهم والغم»[٣].

(٨) الشهادة فى سبيل الله:

قال ﷺ: «للشهيد عند الله سبع خصال: يُغفر له فى أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويُحلَّى حُلة الإيمان ويُزوَّج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ويُجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويشفع فى سبعين إنسانًا من أهله»[٤].

ثم يوضح النبى ﷺ: أن الشهادة لا تقتصر على من قاتل فى سبيل الله وإن كان هذا هو أفضل الشهداء فقال ﷺ: «القتل فى سبيل الله شهادة والطاعون شهادة والغرق شهادة، والبطن شهادة والحرق شهادة والسُّل شهادة والنفساء يجرها ولدها بسررها إلى الجنة»[٥].

ثم يخبر عن حالهم بعد موتهم فيقول ﷺ: «إن أرواح الشهداء فى طير خضر تعلق (أى: تأكل) من ثمار الجنة»[٦].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٢) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٤٢٣) كتاب التوحيد.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣١٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٩٤١).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (١٦٦٣) كتاب فضائل الجهاد، وابن ماجه (٢٧٩٩) كتاب الجهاد، وأحمد (٤/ ١٣١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٨٢).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣١٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٣٨).

(٦) صحيح: رواه الترمذى (١٦٤١) كتاب فضائل الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٥٩).

وقال تعـالى: ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾(١).

(٩) التمسك بالقرآن:

قال ﷺ : «القرآن شـافعٌ مُشفَّع ومـاحلٌ مُصـدَّق مَن جعله أمامـه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»(٢).

(١٠) الحج المبرور:

قال ﷺ : «تابعوا بيـن الحج والعمرة فـإنهمـا ينفيان الفـقر والذنوب كـما ينفى الكيـر خَبَث الحـديد والذهب والفـضة وليـس للحجـة المبـرورة ثواب إلا الجنة»(٣).

(١١) صيام النوافل:

قال ﷺ : «من صام يومًـا فى سبيل الله بعَّد الله وجهـه عن النار سبـعين خريفًا»(٤).

وقـال ﷺ : «إن فى الجنة بابًـا يقـال له: الريان يدخل منه الـصـائمـون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم....»(٥).

(١٢) صيام رمضان:

قـال ﷺ : «إذا جـاء رمـضـان فُـتـحت أبواب الجنة وغُلـقت أبواب النار وصُـفِّدت الشياطين»(٦).

---

(١) سورة محمد: الآيات: (٤-٦).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان (١٧٩٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٠١٩).

(٣) صحيح: رواه الترمـذى (٨١٠) كتـاب الحج، والنسائى (٢٦٣١) كتـاب مناسك الحج، وصحـحه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١١٨٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٤٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٥٣) كتاب الصيام.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٦) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٢) كتاب الصيام.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٨) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٧٩) كتاب الصيام.

وقال ﷺ : «اتقوا الله وصلُّوا خَمسكم وصوموا شهركم وأدُّوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم»[(١)].

(١٣) من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه:

قال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أذّن فى الناس أنه من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصًا دخل الجنة»[(٢)].

وقال ﷺ : «قال لى جبريل: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق»[(٣)].

(١٤) من صلى الصلوات الخمس:

قال ﷺ : «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئًا استخفافًا بحقهن كان له عند الله عهد أن يُدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذَّبه وإن شاء أدخله الجنة»[(٤)].

وقال ﷺ : «اتقوا الله وصلُّوا خمسكم.... تدخلوا جنة ربكم»[(٥)].

(١٥) من غدا إلى المسجد أو راح (مداومًا على ذلك):

قال ﷺ : «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نُزلاً كلما غدا أو راح»[(٦)].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (٦١٦) كتاب الجمعة، وأحمد (٥/ ٢٥١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٨٦٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البزار (١/ ٢٧٦)، وأبو يعلى (٣/ ٣٥٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٥١).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٢٣٧) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٤) كتاب الإيمان.

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٥) كتاب الصلاة، والنسائى (٤٦١) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٤٠١) كتاب إقامة الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٤٣).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٦١٦) كتاب الإيمان، وابن ماجه (٣٩٧٣) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح تخريج مشكلة الفقر (١١٧).

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٦٦٩) كتاب المساجد.

(١٦) من صلى البردين (الصبح والعصر):

قال ﷺ :«من صلى البردين دخل الجنة» (١).

(١٧) من صلى الضحى أربعًا :

قال ﷺ : «من صلى الضحى أربعًا وقبل الأولى أربعًا بُنى له بيت فى الجنة» (٢).

(١٨) من صلى اثنتى عشرة ركعة فى اليوم والليلة:

قال ﷺ : «من صلى فى يوم وليلة ثنتى عشرة ركعة بُنى له بيت فى الجنة: أربعًا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل صلاة الغداة» (٣).

(١٩) من صلى أربعين يومًا فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى:

قال ﷺ : «من صلى لله أربعين يومًا فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كُتب له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق» (٤).

(٢٠) من بنى مسجداً لله :

قال ﷺ :«من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة» (٥).

(٢١) من صلى أربعًا قبل الظهر وأربعًا بعده:

قال ﷺ :«من صلى قبل الظهر أربعًا وبعدها أربعًا حرمه الله على النار» (٦).

---

(١) متفق عليه:رواه البخارى (٥٧٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٥) كتاب المساجد.

(٢) صحيح:رواه الطبرانى فى «الأوسط» (١/ ٥٩ من ترتيبه)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٣٤٩).

(٣) صحيح:رواه الترمذى (٤١٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٧٩٤) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، وابن ماجه (١١٤٠) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٦٥).

(٤) صحيح:رواه الترمذى (٢٤١) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٦٥).

(٥) متفق عليه:رواه البخارى (٤٥٠) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٣٣) كتاب المساجد.

(٦) صحيح:رواه أبو داود (١٢٦٩) كتاب الصلاة، والترمذى (٤٢٧) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١١٦٠) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٦٤).

(٢٢) المداومة على الطهارة وصلاة ركعتين بعد الأذان:

- أصبح رسول الله ﷺ يومًا فدعا بلالاً فقال: «**يا بلال بِمَ سبقتنى إلى الجنة؟ إننى دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك** (أى: صوت مشيتك) **أمامى؟**».

فقال بلال: يا رسول الله! ما أذَّنت قط إلا صليت ركعتين ولا أصابنى حَدَثٌ قط إلا توضأت عنده فقال رسول الله ﷺ: «**بهذا**»(١).

(٢٣) الترديد خلف الأذان:

قال ﷺ: «**إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر** - إلى آخر الحديث - **ثم قال: لا إله إلا الله قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة**»(٢).

(٢٤) الصدق:

قال ﷺ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقًا...**»(٣).

(٢٥) كفالة اليتيم:

قال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم له أو لغيره فى الجنة والساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله**»(٤).

(٢٦) من مات على الإسلام:

لأن من مات على غير الإسلام فهو من أهل النار بإجماع أهل العلم قاطبة على مدى العصور والأزمان ولا نعرف مخالفًا فى ذلك.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (٣٦٨٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٩٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨٥) كتاب الصلاة.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة.

(٤) **صحيح**: رواه البخارى (٦٠٠٥) كتاب الأدب.

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾(١) . . وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢).

قال ﷺ: «إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى، وميكائيل عند رجلى، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك؛ إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول، من أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل ما فيها»(٣).

(٢٧) التمسك بنهج النبى ﷺ وأصحابه:

قال ﷺ: «...... والذى نفسى محمد بيده لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة فى الجنة واثنتان وسبعون فى النار»(٤).

وقد وضح النبى ﷺ فى رواية أن الفرقة الناجية هى التى تتمسك بسنته وسنة أصحابه من بعده ألا وهم الجماعة المسلمة ففى الرواية الأخرى قيل: يا رسول الله: من هم؟ قال: «هم الجماعة».

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٢٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٨٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى معلقًا (٦/ ١١٥)، والترمذى (٢٨٦٠) كتاب الأمثال، وابن سعد (١/ ١٧٢)، والحاكم (٢/ ٣٦٩)، والبيهقى فى الدلائل (١/ ٣٧٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٤٦٥).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٩٩٢) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٤٩٢).

(٢٨) عيادة المريض:

قال ﷺ : «من عاد مريضًا أو زار أخًا له فى الله ناداه مُناد أن طِبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»[١].

(٢٩) من شهد له الناس بالخير:

قال ﷺ : «أهل الجنة من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء الناس خيرًا وهو يسمع......»[٢].

وقال ﷺ : «أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة....»[٣].

(٣٠) البعد عن الشحناء:

قال ﷺ : «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيُغفر فيها لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أَنظروا هذين حتى يصطلحا»[٤].

(٣١) لزوم جماعة المسلمين:

قال ﷺ : «.... عليكم بالجماعة وإياكم والفُرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد... من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة....»[٥].

(٣٢) السماحة فى البيع والشراء:

قال ﷺ : «أدخل الله عز وجل الجنة رجلاً كان سهلاً مشتريًا وبائعًا وقاضيًا ومقتضيًا»[٦].

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٠٠٨) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (١٤٤٣) كتاب ما جاء فى الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٨٧).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٢٤) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٢٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٣٦٨) كتاب الجنائز.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢١٦٥) كتاب الفتن، وابن ماجه (٢٣٦٣) كتاب الأحكام، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٦٣٨٧).

(٦) صحيح: رواه النسائى (٤٦٩٦) كتاب البيوع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١١٨١).

(٣٣) التجاوز عن المعسر:

فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبى ﷺ: «أن رجلاً مات فدخل الجنة فقيل له: ما كنت تعمل (قال: فإما ذكر وإما ذُكرّ) فقال: إنى كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجوز فى السكة أو فى النقد (أى: فى الدراهم والدنانير المضروبة) فغفر له»(١). قال أبو مسعود: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ.

(٣٤-٣٥) البكاء من خشية الله والحراسة فى سبيل الله:

قال ﷺ: «عينان لا تمسهما النار أبداً: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله»(٢).

(٣٦) أن تسأل الله الجنة ثلاث مرات:

قال ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجِره من النار»(٣).

(٣٧) إماطة الأذى عن طريق الناس:

قال ﷺ: «لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى الناس»(٤).

(٣٨) من يحصى أو يحفظ أسماء الله الحسنى ويعمل بها:

قال ﷺ: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة» وفى رواية: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا مائة غير واحدٍ لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٦٠) كتاب المساقاة.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (١٦٣٩) كتاب فضائل الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤١١٣).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٥٧٢) كتاب صفة الجنة، والنسائى (٥٥٢١) كتاب الاستعاذة، وابن ماجه (٤٣٤٠) كتاب الزهد، وأحمد (٣/ ٢٦٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٧٥).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٩١٤) كتاب البر والصلة.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٧٣٦) كتاب الشروط، ومسلم (٢٦٧٧) كتاب الذكر والدعاء.

(٣٩-٤١) أهل الجنة ثلاث!!!!

قال ﷺ في جزء من حديث طويل: «.... وأهل الجنة ثلاث: ذو سلطان مقسط متصدق مُوفَّق ورجل رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال......»(١).

(٤٢) من أطاعت زوجها فى غير معصية الله جل وعلا:

قال ﷺ لعمة حصين بن محصن: «انظرى أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك»(٢).

(٤٣) سبب خاص بالنساء (أسأل الله لهن الجنة):

قال ﷺ: «إذا صلَّت المرأة خَمسها وصامت شهرها وحصَّنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت»(٣).

(٤٤- ٤٩) اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة!!!

وها أنا أسوق لحضراتكم حديثًا يجمع ستة أسباب لدخول الجنة... قال ﷺ: «اضمنوا لى ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدُقوا إذا حدَّثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدُّوا إذا ائتُمنتم واحفظوا فروجكم وغضُّوا أبصاركم وكفوا أيديكم»(٤).

(٥٠-٥٩) عشرة أسباب لدخول الجنة:

وها هى عشرة أسباب لدخول الجنة مجموعة فى أربعة أحاديث.

قال ﷺ: «أطِب الكلام وأفشِ السلام وصِلْ الأرحام وصلِّ بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام»(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ٣٤١) وابن سعد (٨/ ٤٥٩) ، والطبرانى (٢٥/ ١٨٣)، والحاكم (٢/ ٢٠٦)، والبيهقى (٧/ ٢٩١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٠٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١/ ١٩١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦١).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠١٨).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥) قال الهيثمى (٥/ ١٦) : رجاله رجال الصحيح خلا أبا ميمونة، وهو ثقة. والحاكم (٤/ ١٧٦) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠١٩).

وقال ﷺ: «اعبدوا الرحمن وأفشوا السلام وأطعموا الطعام تدخلوا الجنان»[1].

وقال ﷺ: «إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام»[2].

وقال ﷺ: «اتقوا الله وصلُّوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم»[3].

فنخرج من تلك الأحاديث الأربعة بعشرة أسباب لدخول الجنة ألا وهى:

إلانة الكلام وإفشاء السلام وصلة الأرحام والصلاة بالليل والناس نيام وتقوى الله وعبادة الرحمن وإطعام الطعام ومتابعة الصيام وأداء الزكاة وطاعة أولى الأمر الذين يتحاكمون إلى شرع الله جل وعلا.

(٦٠) من مات على عمل صالح (حسن الخاتمة):

قال ﷺ: «.... وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة»[4].

(٦١) من غرس لنفسه فى الجنة غرسًا:

قال ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أُسرى بى فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[5].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٨٥٥) كتاب الأطعمة، وابن ماجه (٣٦٩٤) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٤١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٤٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٦١٦) كتاب الجمعة، وأحمد (٥/ ٢٥١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٨٦٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٣٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر.

(٥) حسن: رواه الترمذى (٣٤٦٢) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٥٢).

(٦٢) من عال ثلاث بنات فأحسن إليهن:

قال ﷺ : «ليس أحدٌ من أمتي يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيُحسن إليهن إلا كُن له ستراً من النار»(١) .

(٦٣) من احتسب ثلاثة من صُلبه :

قال ﷺ : «من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة»، قالت امرأة: واثنان؟ قال: «واثنان»(٢) .

(٦٤) من صبر على فقد عينيه:

قال ﷺ : «قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه (يريد عينيه) ثم صبر عوضته منهما الجنة»(٣) .

وفي رواية: «قال الله تعالى: إذا سلبت من عبدى كريمتيه وهو بهما ضنين لم أرضَ له بهما ثوابًا دون الجنة إذا حمدنى عليهما»(٤) .

(٦٥) من صبر على موت أحبابه:

قال ﷺ : «إن الله تعالى لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيِّه من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب دون الجنة»(٥) .

(٦٦) من أصيب بالحمى فصبر واحتسب وكان طائعًا لله :

قال ﷺ : «الحمى حظ المؤمن من النار يوم القيامة»(٦) .

---

(١) صحيح: أخرجه البيهقى فى «الشعب» (٧/ ٤٦٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٧٢).

(٢) صحيح: رواه النسائى (١٨٧٢) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٣٠٢).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٦٥٣) كتاب المرضى.

(٤) صحيح: أخرجه ابن حبان (٧/ ١٩٤)، والطبرانى (١٨/ ٢٥٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٦/ ١٠٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٠١٠).

(٥) حسن: رواه النسائى (١٨٧١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٥١).

(٦) صحيح: أخرجه ابن عساكر (٥٩/ ٣١٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٨٢١).

وقال ﷺ: «الحمى كيرٌ من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار» (١).

(٦٧) من سأل الوسيلة للنبي ﷺ وفاز بشفاعته يوم القيامة:

قال ﷺ: «سلوا الله لى الوسيلة فإنه لا يسألها لى عبدٌ فى الدنيا إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة» (٢).

ومما لاشك فيه أنه من فاز بشفاعة النبى ﷺ فهو من أهل الجنة حتى وإن كان ممن يدخلون النار بذنوبهم... فإنه يخرج بعدها بتلك الشفاعة ويدخل الجنة.

(٦٨) قراءة آية الكرسى دُبر كل صلاة مكتوبة:

قال ﷺ: «من قرأ آية الكرسى دُبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» (٣).

(٦٩) من جمع تلك الأعمال الصالحة فى يوم واحد فهو من أهل الجنة:

قال ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟» قال أبو بكر: أنا قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا» فقال أبو بكر: أنا. قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن فى امرئٍ إلا دخل الجنة» (٤).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٨٢٢).

(٢) حسن: أخرجه الطبرانى فى الأوسط (١/ ١٩٨)، وابن أبى شيبة (٦/ ٧٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٣٧).

(٣) صحيح: أخرجه النسائى فى الكبرى (٦/ ٣٠)، والطبرانى (٨/ ١١٤)، والطبرانى فى الشاميين (٢/ ٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٦٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٠٢٨) كتاب الزكاة.

(٧٠) خمسٌ من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة:

قال ﷺ: «خمسٌ من عملهن في يومٍ كتبه الله من أهل الجنة: من صام يوم الجمعة[١] وراح إلى الجمعة وعاد مريضًا وشهد جنازة وأعتق رقبة»[٢].

(٧١) قراءة سورة تبارك كل ليلة:

قال ﷺ: «سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهي تبارك»[٣].

وقال ﷺ: «سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر»[٤].

(٧٢) من قرأ سيد الاستغفار ليلاً أو نهارًا:

قال ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»[٥].

(٧٣) محبة النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم:

إن محبة النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

---

(١) قال الشيخ الألباني: قلت: يعني: اتفاقًا لا قصدًا كما في رواية لأبي يعلى «من وافق صيامه يوم الجمعة».

(٢) أخرجه أبو يعلى (٢/ ٣١٢) قال الهيثمي (٢/ ١٦٩): رجاله ثقات. وابن حبان (٧/ ٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٠٢٣).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ٧٦)، والضياء (٥/ ١١٤) وقال: إسناده حسن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٦٤٤).

(٤) صحيح: أبو الشيخ في «طبقات الأصبهانيين» (٢٦٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١١٤٠).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٦٣٠٦) كتاب الدعوات.

والسير على نهجهم سبب عظيم من أسباب دخول الجنة فقد قال ﷺ : «المرء مع من أحب»[١].

(٧٤) العدل فى القضاء:

قال ﷺ : «القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة... رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة......»[٢].

(٧٥) من قتل دون ماله مظلوماً:

قال ﷺ : «من قُتل دون ماله مظلومًا فله الجنة»[٣].

أى لو أن أُناسًا أرادوا أن يسرقوا رجلاً فدافع عن ماله فقُتل فله الجنة لأنه بذلك يكون شهيداً.

(٧٦) خصلتان لا يحافظ عليهما عبدٌ مسلم إلا دخل الجنة:

قال ﷺ : «خصلتان لا يحافظ عليهما عبدٌ مسلم إلا دخل الجنة، ألا وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل، يُسبِّح الله فى دُبر كل صلاة عشراً، ويحمده عشراً، ويكبره عشراً، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة فى الميزان ويكبر أربعًا وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمده ثلاثًا وثلاثين، ويسبح ثلاثًا وثلاثين، فتلك مائة باللسان، وألف فى الميزان، فأيكم يعمل فى اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٦٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٧٣) كتاب الأقضية، والترمذى (١٣٢٢) كتاب الأحكام، وابن ماجه (٢٣١٥) كتاب الأحكام، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٤٦).

(٣) صحيح: أخرجه النسائى فى الكبرى (٢/ ٣٠٩)، وأحمد (٢/ ٢٢٣)، والبيهقى (٨/ ٣٣٥) ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٤٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٥٠٢) كتاب الصلاة، والترمذى (٣٤١٠) كتاب الدعوات، والنسائى (١٣٤٨) كتاب السهو، وابن ماجه (٩٢٦) كتاب إقامة الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٣٠).

(٧٧) من تخلق بُخلق الحياء:

قال ﷺ : «الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار»(١) .

(٧٨-٨٤) سبعة يظلهم الله فى ظله:

وقد يسأل سائل: وما علاقة هذا بأسباب دخول الجنة؟!. . . أقول لك يا أخى الكريم وهل يُظل الله فى ظله إلا أحبابه الذين رضى عنهم فآواهم إلى ظله وأعد لهم تلك الوجبة العظيمة (زيادة كبد الحوت) ثم إذا أرادوا أن يشربوا فإنهم يذهبون إلى حوض الحبيب محمد ﷺ فيشربون من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا يظمأون بعدها أبدًا.

قال ﷺ : «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه مُعلَّق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»(٢) .

(٨٥) بر الوالدين :

قال ﷺ لأحد أصحابه: «الزمها فإن الجنة تحت أقدامها» - يعنى الوالدة.

وعن طيسلة بن مياس قال: (كنت مع النجدات فأصبت ذنوبًا لا أراها إلا من الكبائر، فذكرت ذلك لابن عمر، قال: ما هى؟ قلت: كذا وكذا قال: ليست هذه من الكبائر) إلى أن قال: (قال لى ابن عمر: أتَفْرَق من النار؟ - أى: تخاف من النار - وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: إى والله! قال: أحىٌّ

(١) رواه الترمذى والحاكم وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٩٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

والداك؟ قلت: عندي أمي، قال: فوالله لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة، ما اجتنبت الكبائر».

وروى البخاري (في الأدب المفرد) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسبًا إلا فتح الله له بابين - يعني من الجنة - وإن كان واحدًا فواحد، وإن غضب أحدهما لم يرضَ الله عنه حتى يرضى عنه، قيل: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه».

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «دخلت الجنة فسمعت قراءة فقلت: من هذا؟» فقيل: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: «كذلكم البر كذلكم البر» [1]، وزاد عبد الرزاق في روايته «وكان أبر الناس بأمه».

(٨٦) من سلك طريقًا في طلب العلم:

قال ﷺ: في جزء من حديث.... «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة.....»[2].

(٨٧) من كان لينًا رحيمًا بعيدًا عن الشدة والجبروت:

قال ﷺ: «ألا أخبرك بأهل الجنة كل مسكين لو أقسم على الله تعالى لأبَّره» وفي رواية: «ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره»[3].

وقال ﷺ: «ألا أنبئك بأهل الجنة؟ الضعفاء المغلوبون»[4].

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٦٥)، وأحمد (٦/ ٣٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١٦)، والحاكم (٣/ ٢٢٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٥٦)، وأبو يعلى (٧/ ٣٩٩)، قال الهيثمي (٩/ ٣١٣): رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٩١٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩١٨) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٥٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) صحيح: أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٥) قال الهيثمي: رجاله وثقوا، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٢٧).

(٨٨) الفقير الصابر المحتسب:

قال ﷺ : «قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين....»[١] .

(٨٩) الودود الولود العؤود (سبب خاص بالنساء) :

قال ﷺ : «.... ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود الولود العؤود التى إذا ظُلمت قالت: هذه يدى فى يدك لا أذوق غمضًا حتى ترضى»[٢] .

(٩٠) ثلاثة بيوت فى الجنة لمن فعل تلك الأشياء:

قال ﷺ : «أنا زعيم لمن آمن بى وأسلم وهاجر ببيت فى ربض الجنة وبيت فى وسط الجنة وبيت فى أعلى غرف الجنة وأنا زعيم لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت فى ربض الجنة وبيت فى وسط الجنة وبيت فى أعلى غرف الجنة فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبًا ولا من الشر مهربًا يموت حيث شاء أن يموت»[٣] .

(٩١-٩٣) ترك المراء وترك الكذب والتحلِّى بحُسن الخلق :

قال ﷺ : «أنا زعيم ببيت فى ربض الجنَة لمن ترك المِراء وإن كان مُحقًّا وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا وبيت فى أعلى الجنة لمن حَسُن خُلقه»[٤] .

(٩٤-٩٧) الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون:

قال ﷺ : «عُرضت علىّ الأمم - وفى نهاية الحديث - فإذا سواد عظيم

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٩٦) كتاب النكاح، ومسلم (٢٧٣٦) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) صحيح: أخرجه تمام الرازى فى «الفوائد» (ق ٢٠٢/ ١) وعنه ابن عساكر (٢/ ٨٧/ ٢) بتمامه، وأبوبكر الشافعى فى «الفوائد» (ق ١١٥ - ١١٦) وأبو نعيم فى «الحلية» (٤ / ٣٠٣) نصفه الأول، والنسائى فى «عشرة النساء» (١ / ٨٥ / ١) ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٢٨٧).

(٣) صحيح: رواه النسائى (٣١٣٣) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٥).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٦٥).

فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هم الذين لا يرقون[١] ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[٢].

(٩٨) الصبر على موت الولد:

قال ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدى؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدى؟ فيقولون: حَمدك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسمُّوه بيت الحمد»[٣].

قوله: «حَمِدك واسترجع»: أى قال: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٩٩-١٠٠) من ضمن الله لهم الجنة؟!

قال ﷺ: «خمسٌ من فعل واحدة منهم كان ضامنًا على الله: من عاد مريضًا أو خرج غازيًا أو دخل على إمامه يريد تعزيزه وتوقيره أو قعد فى بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس»[٤].

وجاء التصريح بدخول الجنة فى الرواية الأخرى: قال ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامن على الله: رجل خرج غازيًا فى سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيُدخله الجنة.....»[٥].

---

(١) قال الشيخ الألبانى: قوله: «لا يرقون» هو مما تفرد به مسلم دون البخارى وغيره ثم هو شاذ سندًا ومتنًا كما بينته فى محل آخر وحسبك دليلاً أن النبى ﷺ قد رقى غيره أكثر من مرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٥٢) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: رواه الترمذى (١٠٢١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٤١)، والطبرانى (٢٠/ ٣٧)، قال الهيثمى (٢/ ٢٩٩): فيه ابن لهيعة وفيه كلام وبقية رجاله ثقات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٥٣).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢٤٩٤) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٣).

(١٠١) التزاور في الله:

قال ﷺ : «إن رجلاً زار أخًا له فـي الله فأرصـد الله له ملكًـا فقـال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخي فلانًا فقال: لحـاجة لك عنده؟ قال: لا. قال: لقرابة بينك وبينه قال: لا. قال: فبنعمة له عندك؟ قال: لا. قال: فيم؟. قال: أحبه في الله قـال: فـإن الله أرسلـنى إليك يخبـرك بأنه يحبك لحـبك إياه وقـد أوجب لك الجنة»[١].

ولذا قـال النبى ﷺ : «ألا أخبـركم برجـالكم فى الجنة؟» قالوا: بلى يا رسول الله فـقال: «النبى فى الجنة والصـدِّيق فى الجنة والرجل يزور أخـاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله فى الجنة»[٢].

(١٠٢) سلامة صدرك لإخوانك المؤمنين سبب لدخول الجنة:

فعن أنس ﷺ قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنـطف لحيته من وضـوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلمـا كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كـان اليوم الثالث قـال رسول الله ﷺ مثل مقالته أيضًـا فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إنى لاحيت أبى فأقسمت أنى لا أدخل عليه ثلاثًا فـإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فـعلت قال: «نعم». . . . . قـال أنس فكان عبـد الله يحـدث أنه بات معـه تلك الليـالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غـير أنه إذا تعار (تقلَّب) على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. . . قال عبد الله: غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أن أحـتقر عمله قلت يا عبد الله

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة.

(٢) حسن: أخرجه الطبـرانى فى الكبير (١٩/ ١٤٠)، وفى الأوسط (٦/ ١١)، وحسنه العـلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٦٠٤).

لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت... فلما وليت دعانى فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشًا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله فهذه التى بلغت بك وهى التى لا تُطاق»[1].

(١٠٣) من حقق الولاء والبراء:

قال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

(١٠٤) طاعة الله ورسوله ﷺ:

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[3].

(١٠٥) الإيمان بالله ورسوله:

قال تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[4].

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ١٦٦)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب (١٧٢٨).

(٢) سورة المجادلة: الآية: (٢٢).

(٣) سورة النساء: الآية: (١٣).

(٤) سورة الحديد: الآية: (٢١).

(١٠٦) الاستقامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

(١٠٧) الأبرار المخلصون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (٢).

(١٠٨) أهل الإحسان:

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣).

والإحسان كما جاء فى الحديث: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(٤).

(١٠٩) المخبتون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥).

وقد وصف الله المخبتين فى سورة الحج فقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ

(١) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣، ١٤).
(٢) سورة الإنسان: الآيات: (٥-١٢).
(٣) سورة يونس: الآية: (٢٦).
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩، ١٠) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة، ورواه مسلم (٨) كتاب الإيمان، من حديث عمر.
(٥) سورة هود: الآية: (٢٣).

الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(١) .

(١١٠) الذين اتبعوا المهاجرين والأنصار بإحسان :

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢) .

(١١١) صفات عظيمة لأهل الجنة :

قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (٣) .

(١١٢) الوفاء بالعهد وصلة الأرحام وخشية الله والصبر:

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ

---

(١) سورة الحج: الآيتان: (٣٤ ، ٣٥).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٠٠).

(٣) سورة المعارج: الآيات: (١٩-٣٥).

وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾[1] .

(١١٣) التقوى:

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[2] .

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[3] .

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[4] .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولاً ﴾[5] .

(١١٤) الصبر والتوكل:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[6] .

---

(١) سورة الرعد: الآيات: (١٩-٢٣).

(٢) سورة آل عمران: (١٣٣-١٣٦).

(٣) سورة مريم: الآية: (٦٣).

(٤) سورة محمد: الآية: (١٥).

(٥) سورة الفرقان: الآيتان: (١٥-١٦).

(٦) سورة العنكبوت: الآيتان: (٥٨-٥٩).

(١١٥) إقامة شرع الله :

قال تعالى: ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم﴾ (١).

وإن كان الحديث عن أهل الكتاب إلا أن العبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(١١٦) من أسلم من أهل الكتاب (ومن غيرهم) ولو مات لساعته دخل الجنة:

قال تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴿٨٢﴾ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴿٨٣﴾ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴿٨٤﴾ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين﴾ (٢).

(١١٧) الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ (٣).

(١١٨) التوبة والإيمان والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا﴾ (٤).

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٦٥).

(٢) سورة المائدة: الآيات: (٨٢-٨٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٩٥).

(٤) سورة مريم: الآية: (٦٠).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

(١١٩) تحقيق العبودية لله:

لقد وصف الله تعالى عباد الرحمن بأجمل وأعظم الصفات إلى أن قال: ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (٢).

أسباب دخول النار

وبعد أن انتهينا من سرد أسباب دخول الجنة فإنى رأيت أن من تمام الفائدة أن أجمع لإخوانى وأخواتى تلك الأحاديث التى وردت فى أسباب دخول النار سائلاً الله - عز وجل - أن يعتق رقابنا من النار... وأنا لا أدَّعى أننى قد جمعت كل الأسباب، ولكنى ألقيت الضوء على أهمها بغير ترتيب لكى نعلم أننا ينبغى أن نبتعد عن كل ما يقرّب من النار، سواءً كان سببًا يسيرًا أو عظيمًا.

- وعند ذكر الأسباب، فإن بعض الأحاديث تُصرح بدخول النار لمن فعل كذا.... وبعضها يأتى بصيغة اللعن، ألا وهو الطرد من رحمة الله (لو مات على ذلك)... وأسأل المولى - عز وجل - أن يجيرنى وإياكم وسائر المسلمين من عذاب النار.

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٤٢).

(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (٧٥ ، ٧٦).

(١) الكذب على الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (١).

وقال ﷺ: «إن الله أذنَ لى أن أُحدّث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعُنقه مثنية تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظمك! فيرد عليه: لا يعلم ذلك من حلف بى كاذبًا» (٢).

(٢) التكذيب بآيات الله:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ۝٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٤).

(٣) هجر القرآن:

قال ﷺ: «القرآن شافعٌ مشفع وماحلٌ مصدَّق مَن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار» (٥).

(٤) قتل المؤمن متعمدًا:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٦).

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٠).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧١٤).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٣٩).

(٤) سورة الأعراف: الآيتان: (٤٠، ٤١).

(٥) صحيح: رواه ابن حبان والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٤٣).

(٦) سورة النساء: الآية: (٩٣).

وقال ﷺ : «لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا فى دم مؤمن لكبَّهم الله - عز وجل - فى النار»[1].

(٥) عدم الإيمان بالقدر :

قال ﷺ : «لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحدٍ ذهبًا فى سبيل الله ما قَبِله الله منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يَكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مُتَّ على غير هذا لدخلت النار»[2].

(٦) من تألَّى على الله:

قال ﷺ : «كانَ رجُلان فى بنى إسرائيلَ مُتواخيان، وكانَ أحدهُما مُذنبًا، والآخرُ مجتهدًا فى العبادة، وكان لا يزالُ المجتهدُ يرى الآخر علَى الذَّنب، فيقولُ: أقصر. فوجدهُ يومًا على ذنب، فقالَ لهُ: أَقصر. فقال: خلِّنى وربى، أبُعثت على رقيبًا؟! فقال: والله لا يغفر الله لك - أو لا يُدخلك الله الجنة - فقُبض روحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بى عالمًا، أو كنت على ما فى يدىَّ قادرًا؟! وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتى، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»[3].

(٧) الكذب على رسول الله ﷺ :

قال ﷺ : «إن الذى يكذب علىّ يُبنى له بيت فى النار»[4].

وقال ﷺ كما عند البخارى: «ومن كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٤٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٤٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٥٥).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٩٤).

(٨) الرياء:

قال ﷺ: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد، فأُتي به، فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلَّم العلم وعلَّمهُ، وقرأ القرآن فأُتي به فعرَّفه نعمهُ، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالمٌ، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئٌ فقد قيل ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ وسع الله عليه، وأعطاهُ من أصناف المال كله، فأُتي به فعرفهُ نعمهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل يُحَبُّ أن ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل: ثم أُمر به فسُحب على وجهه، ثم أُلقي في النار»(١).

(٩) النفاق وإظهار الصلاح للناس:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾(٢).

وقال ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»(٣) . . . زاد البخاري: «وإنما الأعمال بخواتيمها»(٤).

(١٠) الكفر:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥) كتاب الإمارة.

(٢) سورة النساء: الآية: (١٤٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٩٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٤٩٣) كتاب الرقاق.

جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١).

وقال ﷺ : «إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلاً من الكفار، فيقال له: هذا فداؤك من النار»(٢).

(١١) اقتطاع حق المسلم :

قال ﷺ : «من اقتطع حق امرئٍ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة»، فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيبًا من أراك»(٣)... قضيب الأراك: هو السواك.

(١٢) من كان له وجهان:

قال ﷺ : «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»(٤).

(١٣) الكذب والفجور:

قال ﷺ : «.... وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار»(٥).

(١٤) ظلم الناس :

قال ﷺ : «أتدرون ما المفلسُ؟» قالوا: المفلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإنه فنيت حسناته قبل أن يقضي ما

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٦٧) كتاب، بلفظ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول : هذا فكاكك من النار».

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٣٧) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه أبو داود، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤٩٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

عليه، أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح فى النار»(١).

(١٥) أكل الحرام:

قال ﷺ : **«كل جسد نبت من سُحت فالنار أولى به»**(٢).

(١٦) الذى يتخوض فى مال الله بغير حق:

قال ﷺ : **«إن رجالاً يتخوضون فى مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة»**(٣).

(١٧ - ١٩) الجعظرى والجواظ والمستكبر:

إن النبى ﷺ قد جمع فى هذا الحديث ثلاثة أصناف من أهل النار، فقال: **«ألا أخبرك بأهل النار؟ كل جعظرى جواظٍ مستكبر جمَّاعٍ منُوع.....»**(٤).

والجعظرى: هو الفظ الغليظ.

والجواظ: هو الجموع المنوع المختال فى مشيته.

والمستكبر: هو الذى يتكبر على عباد الله - جل جلاله.

وقد قال ﷺ : **«لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر...»**(٥).

(٢٠) من غش رعيته:

قال ﷺ : **«ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة»**(٦)، وفى رواية: **«أيما راعٍ غشَّ رعيته، فهو فى النار»**(٧).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.
(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو نعيم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥١٩).
(٣) صحيح: رواه البخارى (٣١١٨) كتاب فرض الخمس.
(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٩٤).
(٥) صحيح: رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.
(٦) صحيح: رواه مسلم (١٤٢) كتاب الإمارة.
(٧) صحيح: رواه ابن عساكر، والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧١٣).

(٢١) دعاة السوء وأتباعهم:

قال ﷺ: «تكون دُعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها......»(١).

(٢٢) من قال فى مؤمن ما ليس فيه:

قال ﷺ: «ومن قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج»(٢). . . . وردغة الخبال هى: عصارة أهل النار.

(٢٣) من أراد المدينة المنورة بشرٍّ:

قال ﷺ: «إنى أُحرمُ ما بين لابتى المدينة، أن يُقطع عضاهُها، أو يُقتل صيدُها، المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحدٌ رغبةً عنها، إلا أبدل الله فيها من هو خيرٌ منهُ، ولا يثبتُ أحدٌ على لأوائها وجهدها، إلا كنتُ لهُ شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة، ولا يُريدُ أحدٌ المدينة بشرٍّ إلا أذابهُ اللهُ فى النَّار ذوب الرصاصِ، أو ذوب الملح فى الماء»(٣).

(٢٤) من سألت زوجها الطلاق من غير بأس:

قال ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة»(٤).

(٢٥: ٢٨) إيذاء الحيوانات والتمثيل بها ووسمها أو ضربها فى وجهها:

قال ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرةٍ، ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»(٥).

وقال ﷺ: «لعن الله من مثّل بالحيوان»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٠٦) كتاب المناقب، ومسلم (١٨٤٧) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود والطبرانى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٩٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٣٦٣) كتاب الحج.

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٠٦).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٣٣١٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦١٩) كتاب التوبة.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٥٥١٥) كتاب الذبائح والصيد، ومسلم (١٩٥٨) كتاب الصيد والذبائح.

وقال ﷺ: «أما بلغكم أنى لعنت من وسم البهيمة فى وجهها أو ضربها فى وجهها»(١).

(٢٩) إيذاء الجار:

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»(٢).

(٣٠) من قتل ذميًا:

قال ﷺ: «من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا»(٣).

(٣١ - ٣٣) عقوق الوالدين وترك العبادة فى شهر رمضان وترك الصلاة على النبى ﷺ:

قال ﷺ: «أتانى جبريل، فقال: يا محمد، من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلتُ: آمين، قال: يا محمد، من أدرك شهر رمضان فمات فلم يُغفر له فأُدخل النار فأبعدهُ اللهُ، قل: آمين، فقلتُ: آمين، قال: ومن ذُكرت عندهُ فلم يُصلِّ عليك، فمات فدخل النار فأبعده اللهُ، قل: آمين، فقلتُ: آمين»(٤).

(٣٤) ترك الاستعاذة من النار:

قال ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار»(٥).

ولقد علمنا النبى ﷺ أن نتعوذ من نار جهنم بعد التشهد من كل صلاة، فقال: «إذا تشهَّد أحدكم، فليتعوذ من أربع: من عذاب جهنم، وعذاب

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٢٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه أحمد والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٨).

(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٥).

(٥) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٧٥).

القبر، وفتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له» [(١)].

(٣٥) عدم إخراج الزكاة:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [(٢)].

وقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة» [(٣)].

(٣٦) عدم السجود لله جل وعلا:

قال ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أُمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأُمرت بالسجود فعصيت، فلي النار» [(٤)].

(٣٧، ٣٨) الذين يضربون الناس بالسياط والنساء الكاسيات العاريات:

قال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» [(٥)].

(٣٩) معصية الزوج:

فقد قال ﷺ لعمة حُصين بن محصن: «انظري أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك» [(٦)].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٢).

(٢) سورة التوبة: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٢٣) كتاب الأدب، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٨١) كتاب الإيمان.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٦) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٠٩).

(٤٠، ٤١) المنان والعاق ومدمن الخمر:

قال ﷺ : «لا يدخل الجنة منان، ولا عاق، ولا مدمن خمر»[١] .

(٤٢) إسبال الإزار:

قال ﷺ : «كل شيء جاوز الكعبين من الإزار في النار»[٢] .

(٤٣) ترك الصلاة:

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [٣] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: والمصرُّ على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بـ(غيٍّ) وهو وادٍ في جهنم، بعيدٌ قعره، خبيثٌ طعمه... وقال أيضًا: وإضاعة الصلاة هنا ليس تركها بالكلية، وإنما تأخيرها عن وقتها.. أما عن ترك الصلاة بالكلية، فقد قال الله تعالى عن عقوبة تاركها: **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾** [٤] .

(٤٤) من قتل نفسه:

قال ﷺ : «من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سُمًّا فقتل نفسه، فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردَّى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردَّى في نار جهنم خالدًا مُخلدًا فيها أبدًا»[٥].

---

(١) **صحيح:** رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٧٦).

(٢) **صحيح:** رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٣٢).

(٣) سورة مريم: الآية: (٥٩).

(٤) سورة المدثر: الآيات: (٣٨: ٤٣).

(٥) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٧٧٨) كتاب الطب، ومسلم (١٠٩) كتاب الإيمان.

وقال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [١] .

(٤٥) مقاتلة المسلمين:

قال ﷺ : «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فقتل أحدهما صاحبه، فالقاتل والمقتول فى النار». قيل: يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه»[٢] .

(٤٦) احذر من تلك الحفرة:

قال ﷺ : «لا يُشر أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزعُ فى يده، فيقع فى حفرة من النار»[٣] .

(٤٧) حصائد الألسنة:

قال ﷺ : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوى بها سبعين خريفًا فى النار»[٤] . بل قال ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ : «وهل يكبّ الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[٥] .

(٤٨) النميمة:

قال ﷺ : «لا يدخل الجنة نمام»، وفى رواية: «لا يدخل الجنة قتّات»[٦] .

والقتات هو: النمام، ولكنه بالإضافة إلى أنه ينقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم، إلا أنه يزيد على النمام فى أنه يتسمع لكلام الناس دون علمهم، فهو يتجسس ويفسد بين الناس. . والله أعلم.

---

(١) سورة النساء: الآيتان: (٢٩، ٣٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣١) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٨٨٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٧٢) كتاب الفتن، ومسلم (٢٦١٧) كتاب البر والصلة الآداب.

(٤) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦١٨).

(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٣٦).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٥٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥) كتاب الإيمان.

(٤٩) إرادة الحياة الدنيا ونسيان الآخرة:

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

(٥٠) الشك ومجاراة الناس:

قال ﷺ في نهاية حديثه عن فتنة القبر:

«..... وإذا كان الرجلُ السوء أُجلس في قبره فزعًا، فيقالُ له: ما كنت تقول؟ فيقولُ: لا أدرى، فيقال: ما هذا الرجل الذى كان فيكم؟ فيقولُ: سمعتُ الناس يقولون قولاً، فقلتُ كما قالوا، فيُفرجُ له فرجةٌ من قِبل الجنة، فينظرُ إلى زهرتها وما فيها، فيقالُ له: انظر إلى ما صرف اللهُ عنك، ثم يُفرج له فرجةٌ قِبل النار، فينظرُ إليها يحطمُ بعضُها بعضًا، ويقالُ: هذا مقعدك منها، على الشكِّ كنت، وعليه متَّ، وعليه تُبعث إن شاء الله، ثم يُعذَّب»(٢).

(٥١) الفخر بالأنساب:

قال ﷺ: «انتسب رجلان على عهد موسى، فقال أحدهما: أنا فلانُ بنُ فلان، حتى عدَّ تسعةً فمن أنت لا أمَّ لك؟ قال: أنا فلانُ بن فلان ابن الإسلام، فأوحى اللهُ إلى موسى أن قل لهذين المتنسبين: أمَّا أنت أيُّها المتنسبُ إلى تسعة فى النار، فأنت عاشرهم فى النار، وأما أنت أيها المتنسبُ إلى اثنين فى الجنة، فأنت ثالثهما فى الجنة»(٣).

(٥٢) الذين يقطعون سدر الحرم:

قال ﷺ: «إن الذين يقطعون السدر يُصبُّون فى النار على رءوسهم صبًّا»(٤). قال الشيخ الألبانى: يعنى: سدر الحرم.

---

(١) سورة هود: الآيتان: (١٥، ١٦).

(٢) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٦١).

(٣) صحيح: رواه النسائى والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٩٢).

(٤) صحيح: رواه البيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٩٦).

(٥٣) سوء الخاتمة:

قال ﷺ في جزء من حديث رواه البخاري ومسلم: «.... فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار...»[١].

(٥٤) المصورون:

قال ﷺ: «كل مصور في النار يُجعل له بكل صورة صوّرها نفس، فتعذبه في جهنم»[٢].

وقال ﷺ: «إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورون»[٣].

وقال ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يُعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه الصور»[٤].

(٥٥) من كان من هؤلاء الجند:

قال ﷺ: «بين يدي الساعة تقاتلون قومًا نعالهم الشعر وهم أهل النار»[٥]. فمن كان من هؤلاء الجند، فهو من أهل النار بشهادة رسول الله ﷺ.

(٥٦) الذي يكتم العلم:

قال ﷺ: «من سُئل عن علم فكتمه؛ ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[٦].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٣٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢١١٠) كتاب اللباس والزينة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٥٠) كتاب اللباس، ومسلم (٢١٠٩) كتاب اللباس والزينة.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥٥٧) كتاب التوحيد، ومسلم (٢١٠٧) كتاب اللباس والزيمة.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٩١) كتاب المناقب.

(٦) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٤).

(٥٧) من أسباب زيادة العذاب (بكاء أهل الكافر عليه):

قال ﷺ: «إن الله يزيد الكافر عذابًا ببعض بكاء أهله عليه»[(١)].

(٥٨) قطيعة الأرحام

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [(٢)].

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع»[(٣)].

(٥٩) العبد الآبق من سيده:

قال ﷺ: «أيما عبدٍ مات فى إباقه دخل النار، وإن كان قُتل فى سبيل الله تعالى»[(٤)].

(٦٠) نبش القبور:

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله المختفى والمختفية»[(٥)].

قال الألبانى: المختفى هو نباش القبور.

(٦١) أهل الجفاء والبذاء:

قال ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء فى النار»[(٦)].

(٦٢) الذى يأتى امرأته فى دُبرها:

قال ﷺ: «ملعون من أتى امرأة فى دبرها»[(٧)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٢٩) كتاب الجنائز.

(٢) سورة محمد: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٨٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٣٦).

(٥) صحيح: رواه البيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٠٢).

(٦) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٩٩).

(٧) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨٨٩).

(٦٣) اتباع الشهوات:

قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (١).

وقال ﷺ : «حُجبت النار بالشهوات، وحُجبت الجنة بالمكاره»(٢).

وقال ﷺ : «.... ورُب متخوض فيما اشتهت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار»(٣).

(٦٤، ٦٥) الراشى والمرتشى:

قال ﷺ : «لعنة الله على الراشى والمرتشى»(٤).

(٦٦) من حال دون القصاص:

قال ﷺ : «من قتل فى عمِّيًّا أو رميًا يكون بينهم بحجر أو سوط، فعقله عقل خطأ، ومن قتل عمدًا، فقود يديه، فمن حال بينه وبينه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٥). العقل: الدية. والقود: القصاص.

(٦٧) من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا:

روى مسلم عن ابن عمر ﷺ أنه قال: إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا... كأن يربط عصفورًا أو هرة، أو كلبًا، ثم يتعلم فن الرماية بالضرب فى جسد هذا الطائر أو الحيوان (فهذا حرام).

(٦٨، ٦٩) الواصلة والمستوصلة

قال ﷺ : «لعن الله الواصلة والمستوصلة....»(٦).

---

(١) سورة مريم: الآية: (٥٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤٨٧) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤١٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١١٤).

(٥) صحيح: رواه أبو داود والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٥٠).

(٦) صحيح: رواه البخارى (٥٩٣٧) كتاب اللباس، ومسلم (٢١٢٤) كتاب اللباس والزينة.

(٧٠) من سبّ أصحاب النبى ﷺ:

قال ﷺ: «لعن الله من سبّ أصحابى»(١).

وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»(٢).

(٧١ - ٧٤) من لعن والديه ومن ذبح لغير الله ومن آوى مُحدثًا ومن غيَّر منار الأرض:

قال ﷺ: «لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غيّر منار الأرض»(٣).

(٧٥، ٧٦) المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال:

قال ﷺ: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»(٤).

(٧٧: ٧٩) الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور عند المصيبة:

قال ﷺ: «لعن الله الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور»(٥).

(٨٠، ٨١) حلق الرأس وخرق الثوب عند وقوع المصائب:

ففى سنن النسائى أنه لعن رسول الله ﷺ من حلق أو سلق أو خرق(٦).

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١١١).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥٤٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٧٨) كتاب الأضاحى.

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٠٠).

(٥) حسن: رواه ابن ماجة وابن حبان، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٩٢).

(٦) صحيح: رواه النسائى، وصححه الألبانى فى سنن النسائى (١٧٦١).

(٨٢) النياحة:

قال ﷺ : «.... وإن النائحة إذا لم تتب قبل الموت جاءت يوم القيامة عليها سربال من قطران، ودرع من لهب النار»[(١)].

(٨٣، ٨٤) المحلل والمحلل له:

قال ﷺ : «لعن الله المحلِّل والمحلَّل له»[(٢)].

(٨٥: ٨٩) الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجة للحسن:

قال ﷺ : «لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحُسن المغيرات خلق الله»[(٣)].

(٩٠: ٩٤) أهل النار خمسة!!!

ومن بين أصناف أهل النار، قال ﷺ : «....وأهل النار خمسة: الضعيف الذى لا زَبْر له الذين هم فيكم تبعًا لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذى لا يخفى له طمع، وإن دَقَّ إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذَكَر البُخل والكذب والشنظير الفحَّاش»[(٤)].

(٩٥) الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد:

قال ﷺ : «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٥)].

(٩٦: ١٠٤) الخمر:

قال ﷺ : «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها»[(٦)].

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٧٥).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٠١).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٨٨٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢١٢٥) كتاب اللباس والزينة.

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٢٩٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٥٢٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٦) **صحيح:** رواه أبو داود والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٩١).

(١٠٥) قذف المحصنات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

وقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات - وذكر منهم - وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (٢).

(١٠٦) المرأة التى تهجر فراش زوجها:

قال ﷺ: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها، لعنتها الملائكة حتى تصبح» (٣).

(١٠٧: ١١٠) آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه:

قال ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه هم فيه سواء» (٤).

(١١١) الذى يأكل أو يشرب فى آنية الذهب والفضة

قال ﷺ: «إن الذى يأكل أو يشرب فى آنية الفضة والذهب، إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم» (٥). (إلا أن يتوب).

(١١٢) آكل مال اليتيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٦).

وقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات - وذكر منهم - وأكل مال اليتيم» (٧).

---

(١) سورة النور: الآية: (٢٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٧) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٣٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٤٣٦) كتاب النكاح، واللفظ له.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٥٩٨) كتاب المساقاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٦٥ - ٢) كتاب اللباس والزينة.

(٦) سورة النساء: الآية: (١٠).

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٨٩) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٧٦٧) كتاب الوصايا.

(١١٣) الغيبة:

قال ﷺ: «لما عرج بى ربى - عز وجل - مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون فى أعراضهم»(١).

(١١٤) الديوث:

قال ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر»(٢).

(١١٥) التولى يوم الزحف:

قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات - وذكر منهم - والتولى يوم الزحف»(٣).

وقال تعالى مصوراً مآلهم ومصيرهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٤).

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١٣).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٦٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٧) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٤) سورة الأنفال: الآيتان: (١٥، ١٦).

وقفة مع النفس قبل الرحيل

أخى الكريم.. أختى الفاضلة:

وبعد أن عرفنا أسباب دخول الجنة وأسباب دخول النار كان لابد لنا من وقفة مع النفس لنأخذ بزمامها ونلزمها بطاعة الله - جل وعلا - قبل الرحيل من تلك الدار التى نغرس فيها العمل الصالح لنحصد الخير فى الآخرة.. وكل ذلك لا يكون إلا بالتجرد من حظوظ النفس والهوى، وإلا بالزهد فى الدنيا فنحن جميعًا مسافرون فى رحلة الرحيل التى بدأت ونحن فى ظهر أبينا آدم عليه السلام وتنتهى بنا إما فى الجنة أو فى النار فإن الإنسان إذا بلغ الأجل الذى قُدّر له واستوفاه جاءته رسل ربه عز وجل ينقلونه من دار الفناء إلى دار البقاء.

* **قال ﷺ مصوراً تلك الرحلة: «إنّ العَبْدَ المُؤْمنَ إذا كَانَ فى انْقطاع منَ الدُّنْيا وإقْبال منَ الآخرَة نَزَلَ إليه منَ السَّماء ملائكةٌ بيضُ الوُجُوه كأنَّ وجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ منْ أكفان الجَنَّة وحَنوطٌ منْ حَنوط الجَنَّة حتّى يَجْلسُوا منهُ مَدَّ البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عندَ رأسه فيَقولُ: أيتُّها النَّفْسُ الطيِّبةُ اخْرُجِى إلَى مَغْفرة منَ اللَّه ورضْوان فَتَخْرُجُ فتَسيلُ كَمَا تسيلُ القَطْرَةُ منْ فى السِّقاء فيأخذُهاً فَإذا أخَذَها لم يَدَعُوها فى يَده طَرْفَةَ عَيْن حتَّى يأخُذُوها فيَجْعَلُوها فى ذَلك الكَفَن وَفى ذَلك الحَنوط ويَخْرُجُ منْهَا كأطْيَب نَفْحَة مسْك وُجدَتْ على وَجْه الأرْض فيَصْعَدُونَ بها فَلاَ يَمُرونَ على مَلإ منَ المَلائكَة إلاَّ قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فيَقولونَ: فلانُ بْنُ فلان بأحْسَن أسْمائه الّتى كَانُوا يُسَمُّونَهُ بهَا فى الدُّنْيا حتَّى يَنْتَهُوا به إلَى سَماء الدُّنْيا فَيَسْتَفْتحُونَ لهُ فيُفْتَحُ لهُ فَيُشيِّعُهُ منْ كلِّ سَماء مُقَرَّبُوها إلَى السَّماء الّتى تَليها حَتَّى يَنتَهى إلَى السَّماء السَّابعَة فيَقولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتبُوا كتَابَ عَبْدى فى علِّيينَ وأعيدُوا عَبْدى إلَى الأرْض فإنِّى**

مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وفيهَا أُعيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تارَةً أُخْرى؛ فتُعادُ رُوحُهُ فيأتيه مَلَكان فيُجْلسانه فيَقولان لهُ: مَنْ ربُّكَ؟ فيَقولُ: ربِّى اللَّهُ فيَقولان لـهُ: مَا دينُكَ؟ فيَقولُ: دينِى الإِسْلامُ فيَقولان لَهُ: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هوَ رسولُ اللَّه فيَقولان لهُ: وَمَا علْمُكَ؟ فيَقولُ: قَرأتُ كتابَ اللَّه فآمَنْتُ به وصَدَّقْتُ فيُنادى مُناد منَ السَّماء: أنْ صَدَقَ عَبْدى فأفْرشوهُ منَ الجَنَّة وألْبسُوهُ مـنَ الجَنَّة وافْتَحُوا لهُ بَاباً إلَى الجَنَّة فيَأتيه منْ رَوْحها وطيبها ويُفْسَحُ لهُ فى قَبْره مَدَّ بَصَره ويأتيه رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْه حَسَنُ الثِّياب طَيِّبُ الرِّيح فيَقولُ: أبْشرْ بالَّذى يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذى كُنْتَ تُوعَدُ فيَقولُ لهُ: مَنْ أنتَ؟ فوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجىءُ بالخَيْر فيَقولُ: أنا عَمَلُكَ الصالحُ فيَـقولُ: رَبِّ أقـمِ الساعَـةَ رَبِّ أقمِ الساعَـةَ؟ حتَّى أرْجعَ إلَى أهْلى ومـالى؛ وإنَّ العَبْدَ الكافـرَ إذا كانَ فى انْقطاعٍ منَ الدُّنْيا وإقْبالٍ منَ الآخرَة نَزَلَ إليـه منَ السَّماء مَلائكَةٌ سُودُ الوُجُوه معهمُ المُسُوحُ فـيَجْلسُونَ منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسـه فيقول: أيتهـا النفس الخَبيثَةُ! اخْـرُجى إلَى سَخَط منَ اللَّه وغـضب فتـفرق فى جَسَده فـيَنْتَزعُـها كَـمَا يُـنْتَزَعُ السَّـفُودُ منَ الصـوف المَبْلُول فيأخُذُها فَإذا أخَذَها لم يَدَعُوها فى يَده طَرْفَةَ عَيْن حَتَّى يَجْعلوها فى تلْكَ المُسُوح ويَخْـرُجُ منْهَا كـأنْتَن ريح جيـفَة وُجـدَتْ على وَجْه الأَرْض فـيَصْـعَدُونَ بهـا فَلاَ يَمُرُّونَ بهَا على مَلإٍ منَ المَلائكَة إلاَّ قالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الخَـبيثُ؟ ! فيَقولون: فُلانُ بْنُ فلان بأقْبَح أسْـمائه الَّتى كانَ يُسَمَّى بها فى الدُّنْيـا فيُسْتَفْـتَحُ لَهُ فَلاَ يُفْتَحُ لهُ ثُمَّ قَرأَ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ فَيَقُـولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: اكتُبُوا كتـابَهُ فى سجِّين فى الأَرْض السُّفْلى فَـتُطرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا فَـتُعادُ رُوحُهُ فى جَسَده؛ ويأتيه مَلَكان فَيُجْلسانه فـيقُولان لهُ: مَنْ ربُّكَ؟ فيقُولُ: هاهْ هاهْ لا أدْرى فـيقُولاَن لهُ: مَا دينُكَ؟ فيقُولُ: هَاهْ هاهْ لا أدْرِى فيقُولانِ لهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذى بُعثَ فيكُمْ؟ فيقُولُ: هاهْ

هاهْ لاَ أدْرِى فيُنَادِى مُنادٍ منَ السَّماء: أنْ كَذَبَ عَبْدِى فأفْرِشُوهُ منَ النَّار وافْتَحُوا لهُ بَابا إلَى النَّار فيَأتيه منْ حَرِّها وسَمُومِها ويَضيقُ عَلَيْه قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلفَ أضلاعه ويأتيه رَجُلٌ قَبيحُ الوجْه قَبيحُ الثياب مُنْتنُ الرِّيح فيقول: أبشر بالذى يسوؤك هَذَا يَوْمُكَ الَّذِى كُنْتَ تُوعَدُ فيَقُولُ: مَنْ أنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بالشَّرِّ؟ فيقولُ: أنَا عَمَلُكَ الخَبيثُ فيَقُولُ: رَبِّ لا تُقم السَّاعَةَ» (١).

ثم يُنعَّم المؤمن فى البرزخ على حسب أعماله، ويُعذَّب الفاجر فيه على حسب أعماله ويختص كل عضو بعذاب يليق بجناية ذلك العضو، فتُقرض شفاه المغتابين الذين يمزقون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم بمقاريض من نار، وتُسجَّر بطون أَكَلة أموال اليتامى بالنار، وتُلقم أفواه أكلة الربا بالحجارة، ويَسْبَحون فى أنهار الدم، كما كانوا يَسبحون فى الكسب الخبيث، وتُرضُّ رءوس النائمين عن الصلاة المكتوبة بالحجر العظيم، ويُشقُّ شدق الكذاب الكذبة العظيمة بكلاليب الحديد إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينيه إلى قفاه، كما شقَّت كلمته النواحى، ويُعلَّق النساء الزوانى بثديهن، وتُحبس الزناة والزوانى فى التنُّور المحمى عليه، فيُعذَّب محل المعصية منهم.

حتى يأذن الله تعالى بانقضاء أجل العالم وطىِّ الدنيا، فتمطر الأرض مطرًا غليظًا أبيض كمنى الرجل - أربعين صباحًا - فينبتون من قبورهم كما تنبت الشجرة والعشب، . . . ثم يأمر الله سبحانه إسرافيل فينفخ فى الصور نفخة البعث، وهى الثالثة، وقبلها نفخة الموت وقبلها نفخة الفزع فتتشقق الأرض عنهم، فإذا هم قيام ينظرون.

يقول المؤمن: الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. . . . ويقول الكافر: **﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾** (٢)، فيُساقون إلى المحشر - حُفَاة عُراة غُرلاً، مع كل نفس سائق

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) سورة يس: الآية: (٥٢).

يسوقها وشهيد يشهد عليها.

حتى إذا تكاملت عدتهم، وصاروا جميعًا على وجه الأرض، تشققت السماء وانتثرت الكواكب، ونزلت ملائكة السماء الأولى، فأحاطت بهم، ثم نزلت ملائكة السماء الثانية، فأحاطت بملائكة السماء الدنيا، ثم كل سماء كذلك، فبينما هم كذلك، إذ جاء الله رب العالمين لفصل القضاء، فأشرقت الأرض بنوره، وتميز المجرمون من المؤمنين.... ونُصب الميزان وأُحضر الديوان واستُدعى الشهود، وشهدت يومئذٍ والأيدى والألسن والأرجل والجلود، ولا تزال الخصومة بين يدى الله سبحانه - حتى يختصم الروح والجسد.

فيقول الجسد: إنما كنت ميتًا لا أعقل ولا أسمع ولا أبصر، وأنت كنت السميعة المبصرة العاقلة، وكنت تصرفيننى حيث أردت.... فتقول الروح: وأنت الذى فعلت وباشرت المعصية وبطشت.

فيرسل الله سبحانه إليهما ملكًا يحكم بينهما، فيقول: مَثَلُكما مثل بصير مقعد، وأعمى صحيح دخلا بستانًا، فقال المُقعَد: أنا أرى الثمار، ولا أستطيع أن أقوم إليها. وقال الأعمى: أنا أستطيع القيام، ولكن لا أرى شيئًا، فقال له المقعد: احملنى حتى أتناول لى ولك ففعلا، فعلى من تكون العقوبة؟ فيقولان: عليهما، فيقول: فكذلك أنتما.

فيحكم الله سبحانه بين عباده بحكمه الذى يحمده عليه جميع أهل السموات والأرض، وكل بَرٍّ وفاجر ومؤمن وكافر، ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [1] . ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2] ، ثم ينادى مُنادٍ: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد.

(١) سورة النحل: الآية: (١١١).

(٢) سورة الزلزلة: الآيتان: (٧- ٨).

فيذهب أهل الأوثان مع أوثانهم، وأهل الصليب مع صليبهم، وكل مشرك مع إلهه الذى كان يعبد، لا يستطيع التخلف عنه، فيتساقطون فى النار.

ويبقى الموحدون، فيقال لهم: ألا تنطلقون حيث انطلق الناس؟ فيقولون: فارقنا الناس أحوج ما كنا إليهم، وإن لنا ربًّا ننتظره، فيقال: وهل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، إنه لا مثل له، فيتجلى لهم سبحانه فى غير الصورة التى يعرفونه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيتجلى لهم فى صورته التى رُئى فيها أول مرة ضاحكًا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعم أنت ربنا ويخرُّون لله سُجدًا، إلا من كان لا يصلى فى الدنيا أو يصلى رياءً، فإنه يُحال بينه وبين السجود.

ثم ينطلق سبحانه ويتبعونه، ويُضرب الجسر ويساق الخلق إليه، وهو دحض مزلة مظلم لا يمكن عبوره إلا بنور، فإذا انتهوا إليه، قُسِّمت بينهم الأنوار على حسب نور إيمانهم وإخلاصهم وأعمالهم فى الدنيا، فنور كالشمس ونور كالنجم ونور كالسراج فى قوته وضعفه.

ويُنصب على جنبيه كلاليب لا يعلم قدر عظمتها إلا الله عز وجل، تعوق من علقت به عن العبور على حسب ما كانت تعوقه الدنيا عن طاعة الله ومرضاته وعبوديته.

ثم ضُرب بينهم وبين أهل الإيمان بسور له باب: باطنه الذى يلى المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره الذى يليهم **﴿مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** [1].

---

(١) سورة الحديد: الآيات: (١٣ - ١٥).

فإذا جاوز المؤمنون الصراط - ولا يجوزه إلا مؤمن - أَمِنوا من دخول النار، فيُحبسون هنالك على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتصِ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى دار الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا أُذن لهم فى دخول الجنة.

فإذا استقر أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار، أُتى بالموت فى صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة! فيطّلعون وَجِلين، ثم يقال: يا أهل النار! فيطلعون مستبشرين، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، وكلهم قد عرفه، فيقال: هذا الموت. فيُذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت.

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا من الذين سبقت لهم منه الحسنى، ولا يجعلنا من الذين غلبت عليهم الشقاوة، فخسروا فى الدنيا والآخرة، إنه سميع الدعاء وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



٨٠ سبباً للنجاة من عذاب الله

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد:

فإن لكل إنسان هدفًا يسعى لتحقيقه ويبذل من أجله ما فى وسعه ويضحى بكل شىء من أجل الوصول إليه.

وفى الوقت الذى تشتَّت فيه هموم البشر نجد المؤمن قد وحَّد همومه فجعلها همًّا واحدًا - همّ الآخرة - فهو يبذل كل جهده ويضحى بدنياه من أجل الفوز برضوان الله والنجاة من سخطه وعذابه والفوز بجنته التى فيها ما

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [١].

ولقد كان النبي ﷺ - وهو سيد الأولين والآخرين - يستعيذ بالله تعالى من عذابه وعقابه.

فكان ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخط وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك» [٢].

وكان ﷺ يقول: «اللّهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار...» [٣].

فتعالوا بنا لنتعايش مع بعض أسباب النجاة من عذاب الله والفوز بجنته... سائلاً ربي (عز وجل) أن ينفع بها كل مسلمٍ ومسلمة وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصري
(أبو عمار)

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٨٦) كتاب الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٧٧) كتاب الجنائز، ومسلم (٥٨٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(١) التوحيد:

إن أمر العقيدة ليس أمرًا ثانويًا حتى نؤجله أو نؤخره بل هو الأساس الذى يقوم عليه الدين كله.. فالإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة وتلك الشريعة تنظم شئون الحياة ولا يقبل الله من قومٍ شريعتهم حتى تصحّ عقيدتهم.

قال تعالى: «... **يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[١]. وأهل التوحيد هم الذين ينالون شفاعة النبى ﷺ... فقد قال ﷺ: «**لكل نبى دعوة مُستجابة فتعجَّل كل نبيٍ دعوته، وإنى خبَّأت دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة فهى نائلةٌ إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا**»[٢].

فاللهم لا تحرمنا من نعمة التوحيد واحشرنا فى زُمرة الموحدين مع سيد الموحدين ﷺ.

(٢) المحافظة على الصلوات الخمس:

قال ﷺ: «**أتانى جبريلُ من عند الله تبارك وتعالى، فقال: يا محمد! إن الله عز وجل يقول: إنى قد فرضت على أمتك خمس صلوات، فمن وافى بهنَّ، على وضوئهنَّ، ومواقيتهنَّ، وركوعهنَّ، وسجودهنّ، كان له عندى بهنَّ عهدٌ أن أدخله بهنَّ الجنة، ومن لقينى قد انتقص من ذلك شيئًا، فليس له عندى عهدٌ، إن شئتُ عذبتهُ وإن شئتُ رحمتُه**»[٣].

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٥/٥٤٨، رقم ٣٥٤٠)، وقال: غريب. والضياء (٤/٣٩٩، رقم ١٥٧١)، وقال: إسناده صحيح، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه الطيالسى (ص ٧٨ رقم ٥٧٣)، ومحمد بن نصر فى تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٧٠، رقم ١٠٥٤)، والضياء من طريق الطبرانى (٨/ ٣٠٥، رقم ٣٦٨)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧).

(٣) الصدق:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١).

وقال ﷺ: «عليكم بالصدق، فإنَّ الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرَّى الصدق حتى يُكتب عند الله صِدِّيقًا...»(٢).

(٤) التعايش مع القرآن:

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (٣).

وقال ﷺ: «اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»(٤).

وقال ﷺ: «القرآن شافعٌ مشفع وماحلٌ مصدّق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»(٥).

وقال ﷺ: «يُقالُ لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»(٦).

(٥) كثرة السجود لله (جل وعلا):

قال ﷺ: «أكثر من السجود فإنه ليس من مسلم يسجد لله تعالى سجدة إلا رفعه الله بها درجة فى الجنة وحطَّ عنه بها خطيئة»(٧).

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١١٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) سورة فاطر: الآية: (٢٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) صحيح: رواه الطبرانى وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٤٣).

(٦) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٩٢، رقم ٦٧٩٩)، وأبو داود (٢/ ٧٣، رقم ١٤٦٤)، والترمذى (٥/ ١٧٧، رقم ٢٩١٤) وقال: حسن صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٢٢).

(٧) صحيح: رواه أحمد (٣ / ٤٢٨) وابن سعد (٧ / ٥٠٨)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٠٤).

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته. فقال لي: «سَلْ». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة فقال: أَوَ غير ذلك؟... قلت: هو ذاك... قال: «فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود»(١).

(٦) الخوف من الله (عز وجل):

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (٣).

وقال ﷺ: «مَنْ خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»(٤).

فالخوف من الله يُثمر لك المغفرة، بل والنعيم الأبدي في جنة الرحمن (جل وعلا).

(٧) كثرة الاستغفار:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٥).

وقال ﷺ: «مَنْ أحبَّ أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار»(٦).

وقال ﷺ: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهمّ أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

(٢) سورة الملك: الآية: (١٢).

(٣) سورة الرحمن: الآية: (٤٦).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٤/ ٦٣٣ رقم ٢٤٥٠) وقال: حسن غريب. والرامهرمزي (١/ ١٢٠ رقم ٨٣)، والحاكم (٤/ ٣٤٣، رقم ٧٨٥١) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٥) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

(٦) حسن: رواه البيهقي (١/ ٤٤٠ رقم: ٦٤٨)، والضياء في «المختارة» (١ / ٢٩٧)، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٩٥٥).

صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»(١).

(٨) كثرة الصلاة على النبى ﷺ:

* عن أُبىّ بن كعب، قال: قلتُ يا رسول الله: إنى أُكثر الصلاة عليك، فكم أجعلُ لك من صلاتى؟ فقال: «ما شئت». قلت: الرُّبع؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خيرٌ لك». قلتُ: فالنصف؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خيرٌ لك» قلت: «فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خيرٌ لك». قلتُ: أجعلُ لك صلاتى كلها؟ قال: «إذن يُكفى همك، ويُغفر لك ذنبك»(٢).

فلا تفتر لحظة واحدة - أخى الحبيب - عن الصلاة على الحبيب ﷺ الذى جعله الله سببًا لخروجنا من الظلمات إلى النور.

(٩) قيام الليل:

أخى الحبيب حسبُك أن تعلم أن جبريل - عليه السلام - قال للحبيب ﷺ: «... واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزَّه استغناؤه عن الناس»(٣).

بل دعا النبى ﷺ بالرحمة لأهل قيام الليل فقال ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلَّت فإن أبت نضح فى وجهها الماء. رحم الله امرأة قامت من الليل فصلَّت وأيقظت زوجها فصلَّى فإن أبى نضحت فى وجهه الماء»(٤).

وقال ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصلَّيا ركعتين جميعًا كُتبا

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٦) كتاب الدعوات.

(٢) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٩٩٩).

(٣) حسن: رواه الحاكم والبيهقى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣).

(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٩٤).

ليلتذ من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات»(١).

(١٠) الاستقامة على الطاعة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣).

(١١) الاتصاف بصفات عباد الرحمن:

لقد وصف (الله تعالى) عباد الرحمن بأجمل وأعظم الصفات ثم قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٤). والغرفة هى الجنة.

فكن عبدًا للرحمن لتفوز بالغُرف فى أعلى الجنان.

(١٢) عيادة المرضى:

قال ﷺ: «مَنْ عاد مريضًا أو زار أخًا له فى الله ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا»(٥).

وقال ﷺ: «ما من مسلم يعود مسلمًا غُدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسى وإن عاده عشيةً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريفٌ فى الجنة»(٦).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠٣٠).

(٢) سورة فصلت: الآيات: (٣٠-٣٢).

(٣) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣، ١٤).

(٤) سورة الفرقان: الآيتان: (٧٥، ٧٦).

(٥) حسن: رواه الترمذى (٤/ ٣٦٥، رقم ٢٠٠٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٨٧).

(٦) صحيح: رواه الترمذى (٣/ ٣٠٠، رقم ٩٦٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٦٧).

(١٣) البكاء من خشية الله (جل وعلا):

قال ﷺ : «عينان لا تمسهما النار أبدًا: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله»(١).

وقال ﷺ : «لا يلجُ النار رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع...»(٢).

بل إنه من السبعة الذين يظلهم الله في ظله «... ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه...»(٣).

(١٤) التحلل من المظالم:

ومن أعظم أسباب النجاة من عذاب الله (جل وعلا) التحلل من مظالم البشر.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهمٌ؛ إن كان له عملٌ صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات، أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه»(٤).

(١٥) حُسن الخلق:

قال ﷺ : «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا...»(٥).

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى (٧/ ٣٠٧، رقم ٤٣٤٦)، قال الهيثمي (٥/ ٢٨٨): رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط بنحوه إلا أنه قال: «لا يريان النار» ورجال أبي يعلى ثقات، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤١١٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٥٠٥، رقم ١٠٥٦٧)، وهناد (١/ ٢٦٨، رقم ٤٦٥)، والترمذي (٤/ ١٧١، رقم ١٦٣٣) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٦/ ١٢، رقم ٣١٠٨) والحاكم (٤/ ٢٨٨، رقم ٧٦٦٧) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٧٧٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤/ ٢٢٠، رقم ٤٦٨٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٠، رقم ٧٣٩٦)، والدارمي (٢/ ٤١٥، رقم ٢٧٩٢)، وابن حبان (٢/ ٢٢٧، رقم ٤٧٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٢٣٠).

وقال ﷺ: «إن المؤمن ليُدرك بحُسن الخُلق درجة الصائم القائم»(١).

وسُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحُسن الخُلق»(٢).

وقال ﷺ: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»(٣).

وقال ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا وببيت فى أعلى الجنة لمن حَسُن خُلقه»(٤).

(١٦) بيت فى الجنة باثنتى عشرة ركعة:

قال ﷺ: «من ثابر على اثنتى عشرة ركعة من السُّنة بنى الله له بيتًا فى الجنة: أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر»(٥).

(١٧) قضاء حوائج المسلمين:

قال تعالى: ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦).

وقال ﷺ: «مَن نفَّس عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كُربة

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤/ ٢٥٢، رقم ٤٧٩٨)، وابن حبان (٢/ ٢٢٨، رقم ٤٨٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٣٢).

(٢) رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٦٣٠).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٤/ ٣٧٠، رقم ٢٠١٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧٩١)، وصحيح الجامع (٢٢٠١).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤/ ٢٥٣، رقم ٤٨٠٠)، والطبرانى (٨/ ٩٨، رقم ٧٤٨٨)، والبيهقى (١٠/ ٢٤٩، رقم ٢٠٩٦٥)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢/ ٢٧٣، رقم ٤١٤) وقال: غريب. والنسائى (٣/ ٢٦١، رقم ١٧٩٥)، وابن ماجه (١/ ٣٦١، رقم ١١٤٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٨٣).

(٦) سورة الحج: الآية: (٧٧).

من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد، ما كان العبدُ فى عون أخيه...»[١] .

فإذا كنت فى حاجة أخيك فإن الملك (جل جلاله) سيكون عونًا لك على أمور دينك ودنياك.

(١٨) الثبات على الدين:

قال ﷺ: «المتمسك بسُنتى عند اختلاف أمتى كالقابض على الجمر»[٢] .

وقال ﷺ: «يأتى على الناس زمانٌ الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»[٣] .

وقال ﷺ: «إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدًا منكم»[٤] .

فاللهم يا مقّلب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك وعلى سُنة نبيك ﷺ .

(١٩) صيام النوافل:

قال ﷺ: «من خُتم له بصيام يومٍ دخل الجنة»[٥] .

وقال ﷺ: «من صام يومًا فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفًا»[٦] .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) حسن: رواه الحكيم (١/١١٩)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٧٦).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٤/٥٢٦، رقم ٢٢٦٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٠٢).

(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/١٨٢، رقم ١٠٣٩٤)، والبزار (٥/١٧٨، رقم ١٧٧٦). قال الهيثمى (٧/ ٢٨٢): رواه البزار والطبرانى ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلى وثقه ابن حبان، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٣٤).

(٥) صحيح: رواه البزار (٤/٣٤٨ رقم: ٢٨٥٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٤).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٤٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٥٣) كتاب الصيام.

وفى رواية قال ﷺ: «من صام يومًا فى سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام»(١).

وقال ﷺ: «من صام يوم عرفة غفر الله له سنتين: سنة أمامه وسنةً خلفه»(٢).

وقال ﷺ: «... وصيام يوم عاشوراء إنى أحتسب على الله أن يكفِّر السنة التى قبله»(٣).

(٢٠) مصاحبة الصالحين:

قال ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى»(٤).

فالصاحب المؤمن هو الذى يأخذ بيديك إلى طاعة الله (جل وعلا) ويُبعدك عن معصيته ويدعو لك بعد موتك بل ويشفع لك يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥).

وأما الصاحب الفاسق فهو الذى يأخذ بيديك إلى كل معصية ويُبعدك عن كل طاعة.. ولذلك تكون العداوة بينكما شديدة يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ (٦).

---

(١) حسن: رواه النسائى (٤/ ١٧٤، رقم ٢٢٥٤)، وأبو يعلى (٣/ ٣٠١، رقم ١٧٦٧)، والطبرانى (١٧/ ٣٣٥، رقم ٩٢٧)، وابن عساكر (٤٩/ ١٠٢)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٣٠).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (١/ ٥٥١، رقم ١٧٣١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٣٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٦٢) كتاب الصيام.

(٤) حسن: رواه أحمد (٣/ ٣٨، رقم ١١٣٥٥)، والدارمى (٢/ ١٤٠، رقم ٢٠٥٧)، وأبو داود (٤/ ٢٥٩، رقم ٤٨٣٢)، والترمذى (٤/ ٦٠٠، رقم ٢٣٩٥) وقال: حسن، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٥) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

(٦) سورة الفرقان: الآيات: (٢٧-٢٩).

(٢١- ٢٢) البُعد عن الكذب والمراء:

قال ﷺ : «أنا زعيمٌ ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُن خُلُقُه»(١) .

(٢٣) الإيمان والتقوى:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٣) .

(٢٤) الجهاد في سبيل الله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ

---

(١) حسن: رواه أبو داود والضياء، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣- ١٣٦).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٦٥).

(٤) سورة الصف: الآيات: (١٠-١٢).

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

وقال ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»(٢).

وقال ﷺ: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجّر أنهار الجنة»(٣).

وقال ﷺ: «عليكم بالجهاد فى سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة يُذهب الله به الهم والغم»(٤).

(٢٥) الشهادة فى سبيل الله تعالى:

قال ﷺ: «للشهيد عند الله سبع خصال: يُغفر له فى أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويُحلى حُلة الإيمان ويُزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ويُجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويشفع فى سبعين إنسانًا من أهل بيته»(٥).

ثم يوضح النبى ﷺ: أن الشهادة لا تقتصر على من قاتل فى سبيل الله - وإن كان هذا هو أفضل الشهداء - فقال ﷺ: «القتل فى سبيل الله شهادة

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٠٢) كتاب الإمارة.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير.

(٤) **صحيح:** رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم (٢/ ٨٤، رقم ٢٤٠٤) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى (٩/ ٢٠، رقم ١٧٥٧٧) وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٦٣).

(٥) **صحيح:** رواه أحمد (٤/ ١٣١، رقم ١٧٢٢١)، والترمذى (٤/ ١٨٧، رقم ١٦٦٣)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه (٢/ ٩٣٥، رقم ٢٧٩٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٨٢).

والطاعون شهادة والغرق شهادة، والبطن شهادة، والحرق شهادة، والسل شهادة والنفساء يجرها ولدها بسررها إلى الجنة»[١] .

ثم يخبر عن حالهم بعد موتهم فيقول ﷺ : «إن أرواح الشهداء فى طير خضر تعلق (أى: تأكل) من ثمار الجنة»[٢] .

(٢٦) بر الوالدين وصلة الأرحام:

قال ﷺ لأحد أصحابه: «الزمها فإن الجنة تحت أقدامها - يعنى الوالدة»[٣].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «دخلت الجنة فسمعت قراءة، فقلت: من هذا؟» فقيل: حارثة بن النعمان. فقال رسول الله ﷺ : **«كذلكم البر كذلكم البر!»[٤]** . وزاد عبد الرزاق فى روايته: **«**وكان أبر الناس بأمه**»**.

فياليت الذين يعقون آبائهم وأمهاتهم يعلمون أن الله قد حرَّم الجنة على العاق. . .

قال ﷺ : «ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه...»[٥] .

* وأما عن صلة الأرحام فهى سببٌ عظيم للنجاة من عذاب الله والفوز

---

(١) حسن صحيح: رواه أحمد (٣/ ٤٨٩، رقم ١٦٠٤١)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٩٦)، وصحيح الجامع (٤٤٣٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (١٦٤١) كتاب فضائل الجهاد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٥٩).

(٣) حسن: رواه أحمد (٣/ ٤٢٩، رقم ١٥٥٧٧)، والنسائى والحاكم (٢/ ١١٤، رقم ٢٥٠٢) وقال: صحيح الإسناد، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٤٩).

(٤) صحيح: رواه الترمذى والنسائى فى الكبرى (٥/ ٦٥، رقم ٨٢٣٣)، وأحمد (٦/ ٣٦، رقم ٢٤١٢٦)، رقم ١٩٥٩)، والحاكم (٣/ ٢٢٩، رقم ٤٩٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٧١).

(٥) صحيح: رواه الحاكم (١/ ١٤٤، رقم ٢٤٤) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٤١٢، رقم ١٠٧٩٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٦٣).

بالجنة قال ﷺ : «أطب الكلام وأفش السلام وصل الأرحام وصلِّ بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام»(١) .

(٢٧) صيام شهر رمضان وقيامه:

قال ﷺ : «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).

وقال ﷺ : «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٣).

وقال ﷺ : «اتقوا الله وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم»(٤) .

(٢٨) الأذان:

قال ﷺ : «من أذَّن ثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة وكُتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، وبإقامته ثلاثون حسنة»(٥) .

وقال ﷺ : «المؤذن يُغفر له مدَّ صوته وأجره مثل أجر من صلى معه»(٦) .

(٢٩) من أنظر مُعسرًا:

عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «أنَّ رجلاً مات فدخل الجنة فقيل له: ما كنت تعمل (قال: فإما ذكر وإما ذُكِّر) فقال: إني كنت أبايع الناس فكنت

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٩٥، رقم ٧٩١٩) قال الهيثمى (٥/ ١٦): رجاله رجال الصحيح خلا أبا ميمونة، وهو ثقة. والحاكم (٤/ ١٧٦، رقم ٧٢٧٨) وقال: صحيح الإسناد، وأبو نعيم فى الحلية (٩/ ٥٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٠١٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٥٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢/ ٥١٦، رقم ٦١٦) وقال: حسن صحيح. وابن حبان (١٠/ ٤٢٦ رقم ٤٥٦٣) والحاكم (١/ ٦٤٦، رقم ١٧٤١)، وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبى، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٨٦٧)، وصحيح الجامع (١٠٩).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٧٢٨) كتاب الأذان والسنة فيه ،والحاكم، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٤٢)، والمشكاة (٦٧٨)، وصحيح الجامع (٦٠٠٢).

(٦) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٨/ ٢٤١، رقم ٧٩٤٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٤٣).

أُنظر المعسر، وأتجوز في السكة أو في النقد (أي في الدراهم والدنانير المضروبة) فغفر له»[١].

(٣٠) إماطة الأذى عن الطريق:

قال ﷺ: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس»[٢].

وهكذا يكون المسلم صاحب القلب الرحيم الذي يخشى على من حوله أن يصيبهم أي نوعٍ من أنواع الأذى بل ويسارع إليهم بكل معروف وإحسان.

(٣١) أن تسأل الله الجنة وتستجير به من النار:

قال ﷺ: **«ما سأل رجلٌ مسلمٌ الله الجنة ثلاثة إلا قالت الجنة اللهم أدخله ولا استجار رجلٌ مسلمٌ الله من النار ثلاثًا إلا قالت النار: اللهم أجره مني»[٣].**

فاللهم إنا نسألك الجنة ونستجير بك من النار (ثلاث مرات).

(٣٢) ثلاثة بيوت في الجنة:

قال ﷺ: «أنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في أعلى غرف الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبًا ولا من الشر مهربًا يموت حيث شاء أن يموت»[٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٦٠) كتاب المساقاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩١٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٤١، رقم ١٢٤٦٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤٥٣، رقم ٤٣٤٠)، وأبو يعلى، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٠).

(٤) صحيح: رواه النسائي (٦/ ٢١، رقم ٣١٣٣)، وابن حبان (١٠/ ٤٧٩، رقم ٤٦١٩)، والحاكم (٢/ ٨١ رقم ٢٣٩١) وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٥).

(٣٣) التوكل:

قال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾**[١].

فنعمة التوكل نعمة عظيمة. . . فالمتوكلون على الله حق التوكل هم الذين يدخلون الجنة يوم القيامة بغير حساب ولا عذاب.

قال ﷺ : **«عُرضت عليَّ الأمم - وفي نهاية الحديث - فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب... هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»**[٢].

(٣٤) من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة:

قال ﷺ : **«... عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد. من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة...»**[٣].

وليس المقصود هنا أن تذهب لتنضم إلى إحدى الجماعات الإسلامية المنتشرة على الساحة. . . ولكن المقصود أن تلزم العلماء العاملين وأن تعيش في وسط إخوانك الصالحين الذين يسيرون على منهج السلف الصالح ويكونون عونًا لك على طاعة الله (جل وعلا) فإنما يأخذ الذئب من الغنم القاصية.

---

(١) سورة العنكبوت: الآيتان: (٥٨- ٥٩).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٥٤١) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

(٣) **صحيح:** رواه أحمد (١/ ١٨، رقم ١١٤)، والترمذي (٤/ ٤٦٥، رقم ٢١٦٥) وقال: حسن صحيح غريب. وأبو يعلى (١/ ١٣١، رقم ١٤١)، وابن حبان (١٦/ ٢٣٩، رقم ٧٢٥٤)، والحاكم (١/ ١٩٧، رقم ٣٨٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٣٥) الرضا بقضاء الله (جل وعلا):

قال ﷺ: «من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة». قالت امرأة: واثنان؟ قال: «واثنان»[(١)].

وقال ﷺ: «قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه (يريد عينيه) ثم صبر عوضته منهما الجنة»[(٢)].

وقال ﷺ: «إن الله تعالى لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض، فصبر واحتسب بثواب دون الجنة»[(٣)].

فاللّهم ارزقنا نعمة الرضا بالقضاء.

(٣٦) الترديد خلف المؤذن:

قال ﷺ: «إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر - إلى آخر الحديث - ثم قال: لا إله إلا الله قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة»[(٤)].

(٣٧) افتح بخير واختم بخير... ولك الجنة:

عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أوى الرجل إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان؛ فيقول الملك: اختم بخير. ويقول الشيطان: اختم بشرّ. فإن ذكر الله ثم نام، بات الملك يكلؤهُ. فإذا استيقظ قال الملك: افتح بخير. وقال الشيطان: افتح بشر. فإن قال: الحمد الله الذى ردَّ عليَّ نفسي ولم يُمتها فى منامها، الحمد لله الذى ﴿يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا﴾[(٥)]. الحمد لله الذى يُمسك

---

(١) صحيح: رواه البخارى فى «التاريخ» (٣ / ٢ / ٤٢١) والنسائى (١ / ٢٦٤) وابن حبان (٧٢١)، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٣٠٢)، وصحيح الجامع (٥٩٦٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٥٣) كتاب المرضى.

(٣) حسن: رواه النسائى (١٨٧١) كتاب الجنائز، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٥١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٨٥) كتاب الصلاة.

(٥) سورة فاطر: الآية: (٤١).

السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه. فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة»(١).

(٣٨) متابعة الحج والعمرة:

قال ﷺ : «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»(٢).

(٣٩) المداومة على أربع ركعات قبل الظهر وبعده:

قال ﷺ : «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حُرِّم على النار»(٣).

(٤٠) السماحة فى البيع والشراء:

قال ﷺ : «أدخل الله عز وجل الجنة رجلاً كان سهلاً مشتريًا وبائعًا وقاضيًا ومقتضيًا»(٤).

(٤١) تبرأ من ثلاث لتدخل الجنة:

قال ﷺ : «من فارق الروحُ جسده وهو برىءٌ من ثلاثٍ دخل الجنة: الكبر والدَّين والغُلول»(٥).

---

(١) روه أبو يعلى (٣/ ٣٢٦، رقم ١٧٩١)، قال المنذرى (١/ ٢٣٥): إسناده صحيح. وقال الهيثمى (١٠/ ١٢٠): رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشامى وهو ثقة. وابن حبان (١٢/ ٣٤٣، رقم ٥٥٣٣)، والحاكم (١/ ٧٣٣، رقم ٢٠١١) وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبى.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٨٧، رقم ٣٦٦٩)، والترمذى (٣/ ١٧٥، رقم ٨١٠) وقال: حسن صحيح غريب. والنسائى فى الكبرى (٢/ ٣٢٢، رقم ٣٦١٠)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٠١).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢/ ٢٣ رقم ١٢٦٩) والترمذى (٢/ ٢٩٢ رقم ٤٢٨) وقال: حسن صحيح غريب. والحاكم (١/ ٤٥٦ رقم ١١٧٥)، والطبرانى (٢٣/ ٢٣٢، رقم ٤٤١)، والبيهقى (٢/ ٤٧٢، رقم ٤٢٦٤)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٩٥).

(٤) حسن: رواه أحمد (١/ ٦٧، رقم ٤٨٥)، والنسائى فى الكبرى (٤/ ٦٠، رقم ٦٢٩٥)، وابن ماجه (٢/ ٧٤٢، رقم ٢٢٠٢)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤٣).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٧٦، رقم ٢٢٤٢٣)، والترمذى (٤/ ١٣٨، رقم ١٥٧٣)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٢٣٢)، وابن ماجه (٢/ ٨٠٦، رقم ٢٤١٢)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤١١).

(٤٢) طاعة الرسول ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٢).

وقال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أَبَى. قيل: ومن يأبى يا رسول لله؟!. قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»(٣).

وقال ﷺ: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي، وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك؛ إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول، من أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها»(٤).

(٤٣) بيت الحمد في الجنة:

قال ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ - وهو أعلم - فيقولون: حَمِدك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا

---

(١) سورة الفتح: الآية: (١٧).

(٢) سورة النساء: الآية: (٦٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٧٢٨١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، والترمذي (٢٨٦٠) كتاب الأمثال، واللفظ له.

لعبدى بيتًا فى الجنة وسمُّوه بيت الحمد»[١] .

قوله حَمدك واسترجع: أى قال الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٤٤) لا تغضب... ولك الجنة:

قال رجلٌ لرسول الله ﷺ : دُلَّنى على عملٍ يُدخلنى الجنة. قال: «لا تغضب ولك الجنة»[٢] .

والسبب فى ذلك أن الغضب مفتاح كل شر، فمن ترك الغضب ولم يغضب إلا لله فإنه بذلك يحافظ على قلبه نقيًا طاهرًا خاليًا من كل الآفات.. فلا يشغله شىء عن السير فى طاعة الله والعمل لدين الله، ولذلك قال ﷺ : «لا تغضب ولك الجنة».

(٤٥) كثرة النوافل... والفوز بمحبة الله:

قال تعالى (فى الحديث القدسى): «من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينَّه، وإن استعاذنى لأعيذنَّه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله تردُّدى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[٣] .

(٤٦) الحب فى الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[٤] .

---

(١) حسن: رواه أحمد (٤/ ٤١٥، رقم ١٩٧٤٠)، والترمذى (٣/ ٣٤١، رقم ١٠٢١) وقال: حسن غريب. وابن حبان (٧/ ٢١٠، رقم ٢٩٤٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير وابن أبى الدنيا، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٤٩)، وصحيح الجامع (٧٣٧٤).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٤) سورة مريم: الآية: (٩٦).

وقال ﷺ : «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»(١).

بل إن الحب في الله يجعل العبد يفوز بمحبة الله (جل وعلا).

قال تعالى: «حقت محبتي للمتحابين فيَّ....»(٢).

بل يصبح من السبعة الذين يظلهم الله في ظله.

فقد قال ﷺ : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظله إلا ظله: - وذكر منهم - ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»(٣).

ولقد كانت تلك المحبة سببًا في وجوب الجنة لرجل يحب أخاه من أجل الله عز وجل.

قال ﷺ : «إن رجلاً زار أخًا له في الله فأرصد الله له ملكًا، فقال أين تريد، قال: أريد أن أزور أخي فلانًا، فقال: لحاجة لك عنده؟ قال: لا. قال: لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا. قال: فبنعمة لك عنده؟ قال: لا. قال: فبِمَ؟ قال: أحبه في الله. قال: فإن الله أرسلني إليك أخبرك بأنه يحبك لحبك إياه، وقد أوجب لك الجنة»(٤).

(٤٧) التوبة والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (٥).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٨١) والضياء، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٠)، وصحيح الجامع (٥٩٦٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/٣٢٨، رقم ٢٢٨٣٤)، والطبراني في الكبير والحاكم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٣٢١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) سورة مريم: الآية: (٦٠).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1].

فاللهم ارزقنا توبة تُرضيك عنا واختم لنا بخاتمة أهل السعادة.

(٤٨) ماء زمزم لما شُرب له:

قال ﷺ: «ماء زمزم لما شُرب له»[2].

فاشرب يا أخى مـاء زمزم بنية النجاة من عذاب القـبر وعذاب النار واشربـه بنية الفـوز بالجنة والرضوان والنظر إلى وجـه الرحيم الرحـمن (جل وعلا).

(٤٩) طلب العلم:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [3].

وقال ﷺ: فى جزء من حديث «.. ومن سلك طريقًا يـلتمس فيـه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة...»[4].

وقال ﷺ: «من يُرد الله به خيرًا يفقه فى الدين»[5].

فاللّهم ارزقنا العلم النافع والعمل الصالح وارزقنا الصدق والإخلاص فى الأمور كلها.

---

(١) سورة التحريم: الآية: (٨).

(٢) صحيح: رواه أحمـد (٣/ ٣٥٧، رقم ١٤٨٩٢)، وابن ماجه (٢/ ١٠١٨، رقم ٣٠٦٢)، وصححـه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥٠٢).

(٣) سورة المجادلة: الآية: (١١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٥٠) من صلى لله أربعين يومًا فى جماعة:

قال ﷺ: «من صلى لله أربعين يومًا فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كُتب له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق»[(١)].

(٥١) الإنفاق:

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[(٣)].

وقال ﷺ: «فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[(٤)].

(٥٢) لا تسأل الناس شيئًا.. ولك الجنة:

قال ﷺ: «من يتكفل لى أن لا يسأل الناس شيئًا أتكفل له بالجنة»[(٥)].

(٥٣) قراءة سورة (الملك) كل ليلة:

قال ﷺ: «سورة من القرآن ما هى إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهى تبارك»[(٦)].

وقال ﷺ: «سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر»[(٧)].

فاحرص يا أخى الحبيب... واحرصى أيتها الأخت الفاضلة على قراءة سورة (المُلك) كل ليلة.

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢/ ٧، رقم ٢٤١)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٦٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

(٣) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٧) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢/ ١٢١، رقم ١٦٤٣)، والطبرانى (٢/ ٩٨، رقم ١٤٣٣)، والحاكم (١/ ٥٧١، رقم ١٥٠٠)، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٨١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٠٤).

(٦) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٤/ ٧٦، رقم ٣٦٥٤)، والضياء (٥/ ١١٤، رقم ١٧٣٨) وقال: إسناده حسن. وأخرجه أيضًا: الطبرانى فى الصغير (١/ ٢٩٦، رقم ٤٩٠) قال الهيثمى (٧/ ١٢٧): رجاله رجال الصحيح، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٤٤).

(٧) رواه الحاكم وابن مردويه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٤٣).

(٥٤) ثلاثة كلهم ضامن على الله (جل وعلا):

قال ﷺ: «خمسٌ من فعل واحدة منهم كان ضامنًا على الله: من عاد مريضًا أو خرج غازيًا أو دخل على إمامه يريد تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فسَلِم الناس منه وسَلِم من الناس»(١).

وجاء التصريح بدخول الجنة في الرواية الأخرى: قال ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامن على الله: رجلٌ خرج غازيًا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة...»(٢).

(٥٥) تحقيق الولاء والبراء:

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

فالمؤمن لا يوالي إلا الله ورسوله ﷺ والمؤمنين... ولا يعادي إلا المشركين والكافرين والمنافقين.

(٥٦) هكذا تزحزح نفسك عن النار:

قال ﷺ: «إنه خُلق كلُّ إنسان، من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبَّر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبَّح الله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس، أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس، وأمر بمعروف، أو نهى

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٤١، رقم ٢٢١٤٦)، والطبراني (٢٠/ ٣٧ رقم ٥٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٢٥٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣/ ٧، رقم ٢٤٩٤)، وابن حبان (٢/ ٢٥٢، رقم ٤٩٩)، والحاكم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٣).

(٣) سورة المجادلة: الآية: (٢٢).

عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السُّلامى، فإنه يُمسى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»[١].

(٥٧) طاعة الزوج - سببٌ خاص بالنساء -:

قال ﷺ لعمة حصين بن محصن رضي الله عنه: «اُنظرى أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك»[٢].

وقال ﷺ: «حق الزوج على زوجته أن لو كانت به قرحة فلحستها، ما أدَّت حقه»[٣].

وقال ﷺ: «إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت»[٤].

(٥٨) قراءة آية الكرسى دبر كل صلاة:

قال ﷺ: «من قرأ آية الكرسى دُبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[٥].

فلنحرص جميعًا على قراءتها بعد كل صلاة مكتوبة بل وقبل النوم لتكون لنا حصنًا من كيد الشيطان.

(٥٩) دعاء يونس (عليه السلام) وأجر شهيد:

﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٦]. إنه دعاء نبى ﷺ يونس (عليه السلام).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٠٧) كتاب الزكاة.

(٢) حسن: رواه أحمد (١٨٥٢٤)، والطبرانى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٠٩).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان (٩/ ٤٧٢، رقم ٤١٦٤)، والحاكم (٢/ ٢٠٥، رقم ٢٧٦٧) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٤٨).

(٤) رواه ابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٠).

(٥) صحيح: رواه النسائى فى الكبرى (٦/ ٣٠، رقم ٩٩٢٨)، والرويانى (٢/ ٣١١، رقم ١٢٦٨)، والطبرانى (٨/ ١١٤، رقم ٧٥٣٢). وأخرجه أيضًا: الطبرانى فى الأوسط (٨/ ٩٣، رقم ٨٠٦٨)، والطبرانى فى الشاميين (٢/ ٩، رقم ٨٢٤). قال الهيثمى (١٠/ ١٠٢): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بأسانيد وأحدها جيد، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٦٤).

(٦) سورة الأنبياء: الآية: (٨٧).

قال ﷺ : «أيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطى أجر شهيد، وإن برأ برأ وقد غُفر له جميع ذنوبه»[1] .

(٦٠) البعد عن الشحناء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ : «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر فيها لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا»[2].

فيا ليت كل أخ مسلمٍ يقرأ هذا الحديث جيدًا ليقف على العواقب الوخيمة للتشاحن بين المسلمين. . . فاللهم ألِّف بين قلوب المسلمين.

(٦١) (الذكر) دُبر كل صلاة مكتوبة:

قال ﷺ : «من سبَّح الله في دُبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين وحَمِد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبرَّ الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعٌ وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غُفرت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»[3].

(٦٢) دعاء السوق:

قال رسول الله ﷺ : «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيءً قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتًا في الجنة»[4] .

(١) ضعيف جدًا: رواه الحاكم (١/ ٦٨٥، رقم ١٨٦٥)، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٣٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٩٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) حسن: رواه أحمد، والترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٣١).

(٦٣) الرحمة بالحيوان:

قال ﷺ: «غُفر لامرأة مومسة، مرّت بكلب - على رأس ركى - يلهثُ، كاد يقتله العطش، فنزعت خُفها فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغُفر لها بذلك»[(١)].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينما رجل يمشى بطريقه، اشتدَّ عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى. فنزل البئر، فملأ خُفه ماءً، ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، فأدخله الجنة»[(٢)].**

نعم هذا هو ديننا العظيم الذى لا يأمرنا إلا بكل خير.. فإن كانت هذه رحمة المسلم بالحيوان فكيف تكون رحمته بأخيه المسلم؟.

(٦٤) سورة الإخلاص... وبيت فى الجنة:

قال ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتًا فى الجنة»[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وذكر حديثًا طويلاً، قال فى آخره: فلما أتاهم النبى ﷺ، أخبروه الخبر، فقال: **«يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة؟»**.

فقال: إنى أحبها. فقال: **«حبُّك إياها أدخلك الجنة»[(٤)].**

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٣٢١) كتاب بدء الخلق.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٠٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٢٤٤) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣/٤٣٧، رقم ١٥٦٤٨)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٧٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٧٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٨١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٦٥) أن تسأل الله (الوسيلة) للنبى ﷺ :

قال ﷺ : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ، فإنه من صلَّى علىَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لى الوسيلة؛ فإنها منزلةٌ فى الجنة، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلَّت عليه الشفاعة»(١).

(٦٦) من عال ثلاث بنات فأحسن إليهم

قال ﷺ : «ليس أحدٌ من أمتى يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهم إلا كُنَّ له سترًا من النار»(٢). فاللهم ارزقنا الرحمة والرأفة ببناتنا وأخواتنا.

(٦٧) كفالة الأيتام:

قال ﷺ : «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره فى الجنة»(٣). فمن أراد صُحبة النبى ﷺ فى الجنة فعليه أن يكفل يتيمًا.

(٦٨) خاتمة الأخيار... والنجاة من النار:

قال ﷺ : «إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، قال الله: صدق عبدى: لا إله إلا أنا. وأنا أكبر، فإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدى لا إله إلا أنا وحدى فإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له. قال: صدق عبدى لا إله إلا أنا ولا شريك لى، فإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدى لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد، فإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدى لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى، من رُزقهن عند موته لم تمسَّه النار»(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه البيهقى (٧/ ٤٦٨ رقم: ١١٠٢٣)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٧٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٨٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) صحيح: رواه والنسائى فى الكبرى (٦/ ٩٥، رقم ١٠١٨٠)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٦ رقم ٣٧٩٤)، وأبو يعلى (١١/ ١٤، رقم ٦١٥٤)، وابن حبان (٣/ ١٣١، رقم ٨٥١)، والحاكم (١/ ٤٦، رقم ٨) وقال: صحيح، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٧١٣).

(٦٩: ٧٣) ضمان بالجنة لمن فعل تلك الأشياء:

وها أنا أسوق لحضراتكم حديثًا يجمع ستة أسباب للنجاة من عذاب الله وللفوز بجنته.

قال ﷺ: «اضمنوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة؛ اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمُنتم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكُفُّوا أيديكم»(١).

(٧٤: ٧٧) الجنة لمن عمل خمسة أشياء:

قال ﷺ: «خمسٌ من عملن فى يومٍ كتبه الله من أهل الجنة: من صام يوم الجمعة(٢) وراح إلى الجمعة، وعاد مريضًا وشهد جنازة، وأعتق رقبة»(٣).

(٧٨) سلامة الصدر من الغش والحسد للمسلمين:

إن سلامة صدرك لإخوانك المؤمنين سببٌ عظيم من أسباب النجاة من عذاب الله والفوز بجنته ورضوانه.

عن أنس رضي الله عنه قال: «كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلعُ عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيتُه من وضوئه قد تعلق نعليه فى يده الشمال، فلما كان الغد قال النبى ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبى ﷺ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إنى لاحيتُ -

---

(١) حسن: رواه أحمد (٥/ ٣٢٣، رقم ٢٢٨٠٩)، وابن حبان (١/ ٥٠٦، رقم ٢٧١)، والحاكم (٤/ ٣٩٩، رقم ٨٠٦٦)، وقال: صحيح الإسناد، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٠١٨).

(٢) قال الشيخ الألبانى: قلت: يعنى اتفاقًا لا قصدًا، كما فى رواية لأبى يعلى: «من وافق صيامه يوم الجمعة».

(٣) صحيح: رواه أبو يعلى (٢/ ٣١٢، رقم ١٠٤٤) قال الهيثمى (٢/ ١٦٩): رجاله ثقات. وابن حبان (٧/ ٦، رقم ٢٧٧١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٥٢).

خاصمت - أبى، فأقسمتُ أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت؟ قال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يُحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعارّ - استيقظ - وتقلَّب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبَّر، حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث ليال، وكدت أن أحتقر عمله، قلتُ: يا عبد الله، إنى لم يكن بينى وبين أبى غضبٌ ولا هجرٌ ثمَّ، ولكن سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرار: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**». فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردتُ أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت. قال: فلما وليتُ دعانى، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنى لا أجدُ فى نفسى لأحد من المسلمين غشًا، ولا أحسدُ أحدًا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التى بلغت بك، وهى التى لا نطيق»(١).

(٧٩) من يحصى أو يحفظ أسماء الله الحسنى:

قال ﷺ: «**إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**»(٢).

وفى رواية أخرى: «**إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا، مائة غير واحد لا يحفظها أحدٌ إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر**»(٣).

(٨٠) ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة:

قال ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» قال أبو بكر: أنا قال: «فمن

---

(١) رواه أحمد وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٣٦) كتاب الشروط، ومسلم (٢٦٧٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤١٠) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٦٧٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟» فقال أبوبكر: أنا. قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة»[1].

* هكذا كان الصحابة ﭫ يتسابقون دائمًا ويتنافسون فى طاعة الله (جل وعلا) لأنهم يعلمون أن الدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة ولذلك كانت نفوسهم تشتاق دائمًا إلى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فأسأل الله (جل وعلا) أن يجيرنا من عذابه فى الدنيا والآخرة وأن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة ولا يجعلها حفرة من حفر النار وأن يجعلنا فى ظل عرشه يوم القيامة وأن يجمعنا بحبيبنا ﷺ وأن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٢٨) كتاب الزكاة.

دعوة مستجابة

أخى الحبيب .. أختى الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتيب المتواضع سائلاً ربى - عز وجل - أن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله فى ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان فى هذا الكتيب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان . . والله ورسوله ﷺ منه براء . . . وأعوذ بالله أن أُذكّركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل علىَّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

* **روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثله»**(١) .

* جزى الله خيراً كل من قرأ هذا الكتاب وتعلم منه شيئًا وعلَّمه لمن حوله.

* كما أنصح إخوانى وأخواتى بقراءة هذا الكتاب على المسلمين فى المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

* سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . . . . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

الفهرس

قصص وعبر
(الجزء الثانى)

صبرًا يا أهل البلاء

تعلق القلب بالآخرة

مشاهد الفرحة يوم القيامة

صفات أهل الجنة

رجل من أهل الجنة

هل تريد بيتًا فى الجنة؟

لهيب النار ورياح الجنة

٨٠ سببًا للنجاة من عذاب الله

* * *